الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي

كلية الآداب واللغات

قسم اللّغة والأدب العربي

محاضرات في مقياس المدارس اللسانيّة

لطلبة السنة الثانية ليسانس نظام L.M.D

شعبة: الدراسات اللغوية

إعداد الدكتور:

موسى لعور

الموسم الجامعي: 1442-1443هـ/2021-2022م

مفردات المقياس

1 – مدخل: المدرسة/ الحلقة/ النظرية

2 – لسانيات دو سوسير

3 – حلقة موسكو

4 – مدرسة براغ 1

5 – مدرسة براغ 2

6 – مدرسة كوبنهاغن

7 – المدرسة الوظيفية الفرنسية

8 – المدرسة السياقية

9 – المدرسة التوزيعية

10 – المدرسة التوليدية التحويلية 1

11 – المدرسة التوليدية التحويلية 2

12 – المدرسة الوظيفية الأمريكية

13 – مدرسة أوكسفورد

14 – المدرسة الخليلية

مقـــــدّمة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، وبه أستعين، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم، وأصلِّي وأسلِّم على أشرف خلق في الوجود، سيِّدنا محمد صلّى الله عليه وسلَّم، وبعد:

يعدّ القرن العشرون قرن اللسانيات بامتياز، إذ انتبه العلماء إلى أنّ اللغة مدخل حقيقي لفهم الإنسان والكون الذي يعيش فيه، فراح كلّ يدلوا بدلوه ويطرح أفكاره حسب مرجعيته لتفسير الظاهرة اللغوية وفهم طبيعتها، فبرزت اتجاهات لسانية عديدة أكملت بعضها البعض أحيانا، أو عارضت إحداها الأخرى، ممّا أدّى إلى ظهور مدارس لسانية عديدة، لكل منها مبادئها ومنطلقاتها وأهدافها ومنهجها في الدراسة. ومن ثمّ تأتي هذه المحاضرات الموسومة بـ: "**محاضرات في مقياس المدارس اللسانيّة**". موجِّها إيّاها إلى أبنائي الطلبة؛ طلبة السنة ثانية ليسانس (شعبة: الدراسات اللغوية) في قسم اللّغة والأدب العربي، بجامعة محمّد البشير الإبراهيمي، برج بوعريريج، وذلك خلال الموسم الجامعي 2022/2021. في محاولة للإلمام بالاتجاهات والمدارس اللسانية، وتحقيقا للأهداف الآتية:

- التعريف بالأصول العامة، والمنهج المتّبع من لدن مدرسة معينة في مقابل مدرسة أخرى.
- التعرف على أهم المدارس اللسانية ومميزاتها
- إعطاء صورة واضحة المعالم عن نشأة المدارس وتصنيف روادها وتحديد مبادئها
- الوقوف على ما ترتضيه المدارس اللسانية من مصطلحات
- الوصف والتأريخ للاتّجاهات اللسانية الكبرى

- الكشف عن المرجعية الفلسفية والنفسية والتربوية للتفكير اللساني الذي صدر عنه الأعلام المؤسسون
- التعريف بخصوصيات المدارس من حيث منظوماتها المفهومية

وقد اعتمدت في إعداد هذه المحاضرات على مجموعة من المصادر والمراجع، أهمها:

اللسانيات النشأة والتطور لأحمد مومن، ومباحث في اللسانيات لأحمد حساني، والمدارس اللسانية المعاصرة لنعمان بوقرة، ونحو نظرية وظيفية للنحو العربي ليحيى بعيطيش، والكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي لسميّة المكي، واللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، لمصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، وفي اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم لخليفة بوجادي وغيرها من المصادر والمراجع.

وموضوعات هذه المحاضرات، كانت وفق المفردات الرسمية للوزارة الوصيَّة

مفاتيح العلوم مصطلحاتها ومفاهيمها، فبواسطتها يتوسل الباحث إلى منطق العلم ويتوغل في مساربه التيهاء، فمن ظنّ أنّ العالم قادر على أن يتحدث عن العلم بغير جهازه المصطلحي ، فقد ظلمه ما لا طاقة له به إلّا أن يتواطأ على امتصاص روح العلم وإذابة رحيقه، وهذا لممّا يصدق على كل معرفة تحتكم إلى أواصر العقل"[1]

من هذا المنطلق نقف على إبانة مفاهيم المصطلحات الآتية: المدرسة، الحلقة، النظرية.

1 - المدرسة:

مصطلح المدرسة " أكثر ما يطلق على المذهب أو الاتّجاه، وذلك متى اتّسم بمنطق علمي وفرضيات سليمة متفق عليها، ومتى قاد إلى نتائج مضبوطة بقواعد معلومة"[2] كما تحيل التسمية إلى " مختلف التيارات اللسانية التي عرفتها دراسة اللغة بعد ظهور لسانيات دو سوسير؛ التي اشتهرت في أوروبا وأمريكا وروسيا، خصوصا في القرن 20 وتحديدا في الربع الأول منه، بعد أن انتشرت محاضرات دو سوسير المنشورة في 1916"[3]

2 - الحلقة:

مصطلح الحلقة مرادف لمصطلح المدرسة؛ من حيث كونه يحيل إلى مختلف التيارات اللسانية التي عرفتها دراسة اللغة بعد ظهور لسانيات دو سوسير، على يد ثلّة من اللسانيين المترابطين فيما بينها بروابط معيّنة ضمن مكان محدّد، مثل: حلقة أو مدرسة براغ.

---

[1] عبد السلام المسدي، صياغة المصطلح وأسسها النظرية، في تأسيس القضية الاصطلاحية، بيت الحكمة، قرطاج، د ط، 1989، ص 30.

[2] خليفة بوجادي، اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2012، ص67.

[3] المرجع نفسه، ص68.

3 - النظرية:

يرى منجي العمري بأنّ النظرية هي:" مجموعة من الفرضيّات والأفكار المنسجمة فيما بينها وتمثّل نسقا متكاملا فلا قيمة لأيٍّ مفهوم إلّا بربطه ببقيّة المفاهيم. وعادة النظريّة الناجحة هي التي تكون قادرة على تفسير الظواهر اللغويّة وتقديم أجوبة واضحة عن الأسئلة التي يطرحها البحث اللساني في عصرها. ومن أمثلة النظريّات الشهيرة؛ نظريّة النحو البنيويّ لتنيار ونظريّة النحو التوليديّ لتشومسكي...الخ. وغالبا ما تكون النظريّة للسانيّ واحد يعرّف بها في منشوراته أو تكون لمجموعة من اللسانيّين يشتركون في نشرها ضمن مدرسة لسانيّة"[1].

يرى عز الدين مجدوب بأنّه ينبغي أن نفصل في النظرية العلمية – من حيث كونُها: مجموعة متناسقة من الفروض العلمية– بين مفهومين أساسيين:

أ - الفرضيّات* العامة

ب - المنوالات

وهو فصل معهود في فلسفة العلوم (épistémologie) (الابستومولوجيا)* والمنطق والعلوم الصحيحة[1] حيث يقول:" إنّ النظرية العلمية فيها مستويان: فرضيات عامة

---

[1] منجي العمري، نظريات لسانية – نموذج النحو التوليديّ– جامعة القيروان، مدونة إلكترونية، ص 1.

* الفرضيّة: هي ذلك الاقتراح النظري الذي يروم تفسيرا يحل لغزا ما. (ينظر: محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية "البنيوية والتوليدية"، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2012، ص7.) أو هي فكرة تستهدف تفسير الظواهر الطبيعية وتمهد للقانون العلمي، أو هي فكرة أولية يظنّ العالم أنّ في وسعها تفسير الظاهرة موضوع البحث، ولا تصبح الفرضيّة قانونا إلّا بعد القيام بتجارب كافية. أو هي مجهود عقلي يهدف إلى إيجاد حل يخلّص الباحث من التناقض الذي طرحته الظاهرة المشكلة، لذا فإنّ(تاريخ العلوم هو تاريخ قدرة الإنسان على وضع فرضيّات جديدة). يقول بوانكاريه: إن التجريب دون فكرة سابقة غير ممكن لأنّه سيجعل كلّ تجربة عقيمة، ذلك أنّ الملاحظة الخالصة والتجربة الساذجة لا تكفيان لبناء العلم. ينظر: رقية العوض، خطوات المنهج التجريبي: الملاحظة والفرضيّة والتجربة، موقع فيلو زاد.

* الإبستيمولوجيا: في القواميس الأجنبية يقصد بها: الدراسة النقديّة للمعرفة العلميّة؛ التي تهتمّ بالبحث النقدي لمبادئ العلوم، وموضوعاتها، وفرضيّاتها، ونتائجها، وقوانينها، وحدودها؛ بغية إبراز منطقها الداخلي ونسقها المعرفي.

ذات طابع منهجي، وفرضيات أخص لها طابع تطبيقي مباشر، وهذه الثنائية نصطلح عليها بالفرضية العامة والمنوال. نعطي أمثلة توضح طبيعة هذه الثنائية، مثلا تعريف علم الدلالة وكذا علم اللسانيات هي فرضيّة عامّة، لكن الدخول في التفاصيل كالمفاهيم التي تمكنك من وصف الألسنة بصفة عمليّة اختبارية آنذاك دخلنا في المنوال، فتمّييزات دو سوسير بين كلام ولسان ولغة، وبين الدراسة التزامنيّة والآنية هذه تميّيزات منهجية، لكن لن تجد في كتاب دو سوسير مثالا تطبيقيا يمكنك من الحسم في قضيّة نحويّة خلافيّة، لأنّه لم يقدّم منوالا تطبيقيا تستطيع أن تناقش به قضية جزئية في الصرف أو في النحو، فمبادئه تشابه أصول النحو، فهي مبادئ عامة، ولكنّها ليست مفاهيم تطبيقية إجرائية، أعطي مثالا من علم الفيزياء: من الفرضيات العامة فرضية الجاذبية؛ ملاحظة في حياتنا اليومية على الأقل في "حركة المياه"؛ المياه لماذا تنزل من قمّة الجبل إلى السفح فهذا تطبيق لقانون الجاذبيّة، نكتشف نحن قانون الجاذبية عندما نقارن وضعنا بوضع رواد الفضاء وكيف يسبحون في المركبات الفضائية، أو الفضاء العام لغياب قانون الجاذبية، فالقول بفرضية جاذبية الأرض لا يؤسس في حدّ ذاته علم الفيزياء. الذي يؤسس علم الفيزياء هو صياغة هذه الجاذبية في قاعدة رياضية معروفة ونعرفها اختباريا بتسارع سقوط الأجزاء بحيث إنّ الحصاة أو نواة التمر لا يمكن أن يؤذي إن كان من مسافة قريبة، ولكن قد يقتل لو أرسل من عشرة كيلو مترات فآنذاك تسارعه يعطيه قوّة

L'épistémologie: 1- Étude critique des sciences, destinée à déterminer leur origine logique, leur valeur et leur portée (théorie de la connaissance). 2- Théorie de la connaissance ; « étude de la constitution des connaissances valables » (Piaget). *Épistémologie génétique.*(le Robert, déco en ligne, https://dictionnaire.lerobert.com/definition/epistemologie

أو هي: علم العلوم، أو الدراسة النقدية للعلوم. (ينظر: محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 7، 2011، ص 18). أو هي: علم نظري يحصل عن طريق التأمل والتجريد في مواضيع مختلفة طبيعية وميتافيزيقية محضة. (ينظر: أحمد ملاح، المختصر في تاريخ الإبستمولوجيا، منشورات مختبر الفلسفة وتاريخها، دار القدس، وهران، الجزائر، د ط، 2010، ص 11.).

[1] عز الدين مجدوب، المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة، تونس، ط1، 1998، ص 6.

ليصبح قاتلا. إذا صياغة ذلك في قاعدة رياضية هي صياغة منوال، وصياغة المنوال ذلك هي تسمح بصناعة الطائرات لأنّك تعرف كم ينبغي لك من قوّة حصان أن تسلطها في محرّك الطائرة لكي تتغلب على جاذبية الأرض.

إذا هذه الثنائية نظيرها في البحث اللغوي. عندما نقول اللّغة العربيّة لغة سامية يشهد على ذلك الكثير من القرائن، أو أنّها لغة اشتقاقية هذه فرضية، لكن ما المنوال الذي يدعم هذه الفرضية؟ هو وضع الأوزان والأفعال التي تحيط بألفاظ العربية، إذا أوزان الصرف هي منوال العربية. إذا الفرق بين المنوال (النموذج) والفرضية العامة: هو تواضع اصطلاحي لفائدة معرفية؛ لكي نميّز بين فرضية عامة ذات طابع منهجي وفرضية تطبيقية لها صلة بالمعطيات التي ندرسها"[1]

ومهما يكن فإنّ تحديد مفهوم النّظرية" يعود بالأساس إلى الإبستومولوجيا وقد يفهم هذا بطرائق مختلفة منها أن تكون النظرية:

أ – **نظاما من الفرضيات:** ومؤداها في هذا السياق يتحدد بمفهومها من خلال علاقة التأثر بين النظرية وموضوع إجراءاتها التي تكون في اتّجاه واحد، وفي هذا التصوّر فالموضوع هو الذي يفرض وجهة نظر معيّنة (نظرية)، ويؤثر فيها ولا ينعكس، ومن هنا فإذا كانت النظرية نظاما من الفرضيات، فإنّ سلامتها في العلوم التجريبية يتوقف على اختبار صحتها في الواقع العيني

ب – **نظاما استدلاليا خالصا** والنظرية في هذا التصوّر منيعة لا تطالها التجربة، ولا تخضع لمعطيات الواقع العيني، وبهذا المعنى فالنظرية ضرب من العلوم العقلانية المحضة، التي ليس فيها تقليد لمشرع ولا محاكاة لواقع أو إخبار عنه[2] " وإنّما تعلم بمجرد العقل، فلا يجوز أن

[1] عز الدين مجدوب، النحو العربي واللسانيات: من الخصوصية إلى الكونية، أمسية لغوية من أمسيات مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، بمكة المكرمة، أقيمت يوم السبت الموافق لـ: 1439/06/01 هـ.

[2] شنان قويدر، مفهوم النظرية في اللسانيات، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، المجلد (2)/ العدد (4)، ص 220.

تصحح بالنقل، بل لا يتكلم فيها إلّا بالمعقول المجرد، فإذا دلّ المعقول الصريح على بطلان الباطل منها لم يجز ردّه فإنّ أهلها لم يدعو أنّها مأخوذة عمّن يجب تصديقه، بل عن محض عقل". [1]

3 ـ شروط بناء النظريّة:

تتكوّن النظريّة عادة من مفاهيم وافتراضات وقوانين يجمع بينها منهج. أمّا المفاهيم فتعبّر عنها مصطلحات خاصّة بالنظريّة وهي الأداة الرئيسيّة التي تفصح بها النظريّة عن نفسها فمثلا يفصح دو سوسير عن تصوراته النظرية باستخدام مصطلحات خاصّة بمفاهيم واضحة مثل: الدال والمدلول والشكل والقيمة والآنيّة...الخ أمّا الافتراضات فتكون في شكل فكرة مجرّدة يفترضها اللسانيّ وهي لا تقبل التكذيب لأنّها موضوعة للاستدلال وقبولها يتوقّف على قدرتها على التفسير للظواهر المدروسة. أمّا القوانين فهي ما يخلص إليه الاستدلال من قواعد عامّة يقع تعميمها على سائر الظواهر.

أمّا المنهج فعادة نميّز بين منهجين؛ المنهج الأوّل منهج تجريبيّ؛ فيقع استقراء الظاهرة عبر سلسلة تجارب واختبارات وتحليلات ونستخلص منها استنتاجات كبرى تمثّل قواعد نظريّة(منهج استقرائي استنتاجي). وهو ما فعله **بلومفيلد** فمن خلال اختبار تحليل الأقوال استخلص منها قواعد التحليل إلى المكوّنات المباشرة. أمّا المنهج الثاني فهو منهج افتراضي وهو منهج رياضيّ يعتمد الانطلاق من مسلّمات أو افتراضات حدسيّة لا دليل على صحّتها أو كذبها يستنبطها اللسانيّ كما يشاء دون عودة إلى التجربة ثمّ يقوم بالاستدلال على قدرتها التفسيرية ويستخرج من ذلك قواعد عامّة تقبل الانطباق على الظواهر المدروسة (منهج استنباطي استدلالي) وهذا ما فعله **تشومسكي** حين افتراض وجود جهاز نحو في الدماغ متكوّن من بنية عميقة وبنية سطحيّة.[2]

---

[1] ابن تيمية، الرد على المنطقيين، تقديم: سليمان الندوي، دار المعرفة، بيروت، ص 219. نقلا عن: شنان قويدر، مفهوم النظرية في اللسانيات، ص 220.

[2] منجي العمري، نظريات لسانية – نموذج النحو التوليديّ– جامعة القيروان، مدونة إلكترونية، ص 2.

لقد أصبح من التقليدي القول بأنّ **فرديـنان دو سوسير** Ferdinand de Saussure هو أب اللسانيات الحديثة، فبفضله أصبحت دراسة اللّغة تتمّ وفق منهج علمي وصفي آني يتوخى الشمول والدقة وعدم التناقض[1]

فما الجوّ العام الذي مهّد لظهور اللسانيات الوصفية على يد فرديـنان دو سوسير نهاية القرن 19 وبداية القرن 20؟

1 الجو العام الذي ميّز القرن19م وبداية القرن 20م:

" في 1890 ظهرت اتجاهات جديدة في التّحليل العلمي للظواهر الاجتماعية وبصفة خاصة الأحداث الاقتصادية، وقد بني في أغلبها على فكرة تقدم المجتمع على الفرد وأسبقية المؤسسة من حيث الوجود على الشخص الذي هو وليد الاجتماع والعمران، يقول **أوغست كونت** زعيم هذه النّظرية في كتابه: روح الإيجابية:" إنّ الإنسان الحقيقي لا وجود له إنّما الموجود هو الإنسانيّة"

ويقول **كارل ماركس:**" إنّ وجود الإنسان الاجتماعي هو الذي يسبب وعيه وليس العكس"، فهذه الآراء الفلسفية تؤكد تبعية العنصر للمؤسسة.

كما نبّه **دوركايم** اللغويّين إلى فكرة العامل الاجتماعي بعد أن كانوا غافلين عنها"[2] ويهتمون فقط باللّغة في مستوى الأفراد فربطوا مثلا تطوّر اللّغة عبر الزمان والمكان بتطوّر مخارج الأصوات عند الأفراد وتطوّر العقل البشري، متناسين أنّ هؤلاء الأفراد يكوّنون وحدة شعورية أو وعيا جماعيا سابقا على وجود الفرد وباق بعده، وهذا الوعي الجمعي له قوّة يفرضها على الفرد، ويبدو أنّ التحوّل في الرؤية بدأ مع" **أنطوان ميي**" الذي صرّح لأوّل مرّة بأنّ اللّغة حدث اجتماعي بالدرجة الأولى، فكان أن كرّس هذه

[1] نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، دط / دت، ص 71. وينظر: كاثرين فوك وبيار لي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تعريب المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص17.

[2] نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 71.

النزعة الاجتماعية وقد تابع سوسير بنفسه بكل عناية واهتمام هذه الآراء التي انعكست بجلاء في تعريف اللّغة"[1]

كما أنّ الفكرة التي نادى بها" **وتني**" عالم الأنثربولوجيا الأمريكي، والتي تقول بوجود نظام باطني يمثّل الصورة أو الصيغة الناتجة عن التركيب والذي يخالف مجموعة العناصر الجزئية، هذه الفكرة نفسها كانت منطلقا لسوسير ليعرض النظام –البنية– باعتباره كيانا على حدة مؤسس على التناسق ويفرض على عناصر المجموعة الخضوع لعلاقاته[2]

2– **التعريف بدو سوسير:**

ولد دو سوسير في عام 1857 في جنيف بسويسرا، " بعد عام واحد من مولد سيجموند فرويد sigmund Freud مؤسس علم النفس الحديث، وقبل عام واحد من مولد إميل دوركايم Emile Durkheim مؤسس علم الاجتماع الحديث، فكان لهذا الثلاثي شأن كبير في توجيه مسار العلوم الإنسانية"[3]

"كان دو سوسير مولعا إيلاعا شديدا بالدراسات اللغوية، وهو الأمر الذي جعله يهتم بدراسة اللّغتين : اليونانية والسنسكريتية، فضلا عن إتقانه اللّغة الفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، واللّاتنية.

قرّر دو سوسير في سنة 1876 الذهاب إلى ألمانيا، فالتحق بحلقة اللّغويين الألمان، وأسهم بأفكاره في مجال الدراسات المقارنة

وفي شهر ديسمبر من سنة 1878 أنهى مشروع البحث الذي يحمل عنوان: مذكرة في النسق البدائي للصوائت في اللّغات الهندو– أوربية، وقد حقق له هذا البحث شهرة عالمية رافقته حتّى وفاته.

---

[1] نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 72.

[2] المرجع نفسه، ص 72.

[3] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط/ 2002، ص118.

وفي سنة 1880 تقدّم بأطروحته للدكتوراه التي كان موضوعها:" استعمال المضاف المطلق في اللّغة السنسكريتية، وما عدا هذين البحثين كلّ ما نشر له تمّ بعد وفاته، باستثناء مجموعة مذكرات ومقالات وملاحظات نشرت في فترات متباعدة، وجمعت بعد وفاته في كتاب:

Recueil des publications scientifiques de Ferdinand de Saussure 1922

كلّف سنة 1881 بالتدريس بمعهد الدروس العليا بباريس مدّة عشر سنوات، نشر من خلالها عدّة مقالات في مجلّة:[1]

Mémoires de la Société de Linguistique

عاد إلى جنيف سنة 1891 وهنا المرحلة الحاسمة في حياته الاجتماعية والفكرية إذ أُسِّس في جامعة جنيف آنذاك كرسي التاريخ المقارن للغات الهندو –أوروبية، وظلّ يشغل دو سوسير هذا الكرسي إلى غاية 1896 ثمّ فجأة توارى عن الأنظار، وبعد إلحاح شديد من تلامذته رجع إلى التدريس سنة 1907

لم يستطع دو سوسير أن ينجز كتابا يجمع فيه أفكاره الثائرة في اللسانيات، إذ انتهى أجله سنة 1913، ولم يحقق رغبته التي نلمسها من خلال الرسالة التي بعثها إلى صديقه **ميي** Antoine Meillet (1866– 1936) الذي كان تلميذه في باريس سنة 1894 [2] يقول فيها:" لقد سئمت من كلّ هذا، ومن الصعوبة التي ألاقيها غالبا في تحرير عشرة أسطر فقط، ثمّ موضوع الأوصاف التي تشترك فيها الأحداث اللغوية، وأنا مهتم منذ زمان طويل بتصنيف هذه الأحداث تصنيفا معقولا، فصرت ألمح أكثر فأكثر ضخامة العمل الذي يجب على الباحث أن يضطلع به حتّى يشعر اللّغوي بحقيقة ما يجريه من تحليل (...) وسأختم عملي هذا بكتاب أحرره وأنا مكره

[1] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، سلسلة الكتاب الجامعي، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، الإمارات العربية المتّحدة، ط2، 1913، ص27

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص28.

على ذلك، أفسر فيه دون حماس، لماذا لا يوجد لفظ واحد يستعمل الآن في علم اللسان التاريخي يمكنني أن أبيّن فيه معنى من المعاني"[1]

وبعد وفاته تأسف تلامذته على عدم تنفيذه المشروع الذي كان يتوخاه، فانبرى اثنان منهم على تحقيق هذا الطموح، وهما: **شارل بالي** و**سيشهاي** فجمعا الأمالي التي كانت مدوّنة عند تلامذته في الفترة ما بين 1907-1911، ودوّنت في كتاب ظهر إلى الإنسانية سنة 1916 بعنوان:" دروس في اللسانيات العامة"*

[2] Cours de linguistique générale

---

[1] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص28.

* لقد أثار كتاب: دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير الكثير من الاهتمام لدى المفكرين والدارسين آنذاك على الرغم من الظروف غير المواتية بسبب الدمار الفكري والحضاري الذي أحدثته الحرب العالمية الأولى، فقد ذكره وتحدث عنه أشهر الدارسين اللغويين في ذلك الوقت منهم: ميي (Meillet) (1916-1917)، وغرامون (Grammont) (1917)، وجسبرسن (Jespersen) (1916-1917)، وماروزو (Marouzeau)(1923) وبلومفيلد(Bloomfield)(1929). وما إن ظهرت الطبعة الأولى للكتاب(1916) حتى بدأ ينتشر في الثقافات الإنسانية المختلفة، فأوّل ترجمة له كانت إلى اللغة اليابانية سنة 1928 في طبعتها الأولى على يد(H.kobayashi) بعنوان: Gengogakugenron، ثمّ توالت الطبعات فيما بعد. فكانت الطبعة الثانية سنة 1940 وهي طبعة مزيدة ومنقحة، ثمّ تلتها الطبعة الثالثة بمقدمة جديدة، وكان ذلك سنة1941، وفي سنة 1950 كانت الطبعة الرابعة. ثمّ ترجم إلى الألمانية سنة 1931 في طبعته الأولى على يد (H.lommel) بعنوان: Grundfragen der allgemeinen Sprachwissenschaft ثمّ الطبعة الثانية كانت سنة 1967 ببرلين.
ترجم إلى الروسية سنة 1933 في طبعته الأولى على يد(H.M.SUHOTIN) بعنوان:
Kurs obščej lingvistiki . ترجم إلى الإسبانية سنة 1945 في طبعته الأولى على يد:
(Amado Alonson) بعنوان: Curso de lingüística general ثمّ توالت الطبعات على النحو الآتي: الطبعة الثانية 1955، الطبعة الثالثة 1959، الطبعة الرابعة 1961. ترجم إلى الإنجليزية سنة 1959 على يد (W.Baskin) بعنوان: Coure in general linguistics، ثمّ ترجم إلى البولونية سنة 1961 على يد (Krystina Kasprzyk) بعنوان: Kurs iezy Koznawswa ogolnergo. ترجم إلى الإيطالية سنة 1967، ولم يترجم إلى العربية إلا في بداية الثمانينات في ترجمات متعددة؛ أي حوالي سبعين سنة من نشره، ذلك ما يثير الحيرة والعجب، إذ ظلّ البحث اللّغوي العربيّ بعيدا عن هذا الزخم المعرفي الكثيف الذي أحدث ثورة عميقة في الفكر اللساني العالمي. ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص29.

[2] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص28.

3-الثنائيات والثلاثيات الدوسوسرية:

3 ـ 1 اللسان واللغة والكلام:

يرى دو سوسير أنّ الظاهرة اللغوية تتمثل في ثلاثة مصطلحات أساسية: اللسان (Le langage) واللّغة (La langue) والكلام (La parole).

3 ـ 1 ـ 1 اللسان (Le langage):

يدل على النظام العام للغة، ويضم كل ما يتعلق بكلام البشر؛ وهو لسان أيّ قوم من الأقوام. ويتكوّن من ظاهرتين مختلفتين: اللّغة والكلام. [1] أو هو ظاهرة بشرية مطلقة وعمومية؛ أي أنّها لا تخص مجتمعا معيّنا أو طبقة معيّنة، فحينما يكون إنسان إلّا وهناك لسان، فهي موجودة في الذهن البشري العام، وهي غير واضحة، ولا يمكن ملاحظتها. أو هو الخلفية الحتمية لكلّ اللّغات، واللّغات هي الكشف عن هذه الملكة. أو هو" الملكة الإنسانية التي تتجلى في تلك القدرات الفطرية التي يمتلكها الإنسان دون سواه من الكائنات الحية الأخرى، التي تسمح له بالإنجاز الفعلي للكلام، بواسطة نسق من العلامات"[2]

3 ـ 1 ـ 2 اللغة: (La langue):

اللّغة في نظر دو سوسير واقعة اجتماعية. أو: هي مجموع كلي متكامل كامن ليس في عقل واحد بل في عقول جميع الأفراد الناطقين بلسان معيَّن. ويمثّل دو سوسير اللّغة بالقاموس الذي يمثّل في الأصل الذاكرة الجماعية لما يحتويه من علامات لا يطيق الفرد الواحد أن يختزلها في دماغه. [3] أو هي ظاهرة اجتماعية، وهي مظهر من مظاهر تجلّي اللّسان، إذ لا لسان دون لغة، ولا لغة دون لسان.

---

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص123.

[2] ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009، ص 6. (بتصرف)

[3] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص123.

إنّ اللغة كنز اجتماعي من الوحدات والقوانين يمثّل نظاما عاما لا يمكن للفرد أن يحيد عنه فإذا طلبنا من أيّ إنسان متعلّم أن يصرّف الفعل "كتب" مع جميع الضمائر في الماضي أو المضارع فإنّه يحاول جاهدا أن يتبع قواعد التصريف المتعارف عليها دون إلحاق أيّ تغيّير بالنظام العام. لذا فإنّ موضوع اللسانيات هو:" اللّغة بكل جوانبها، أي كلّ ما يعرفه النّاس عن لغتهم وليس ما يتفوهون به".[1] أو هي:" نظام من العلاقات، أو مجموعة من الأنظمة المترابطة فيما بينها، بحيث لا تتمتع العناصر (الأصوات–الكلمات) بأيّ قيمة مستقلة خارج علاقات التعارض أو التساوي التي تربطها بالعناصر الأخرى"[2]

3 ǂ 3 ǂ **الكلام**: (La parole):

فعل ملموس، ونشاط شخصي مراقب، يمكن ملاحظته من خلال كلام الأفراد أو كتاباتهم. وقد عرّفه دي سوسير بقوله:" إنّه مجموع ما يقوله الأفراد"[3]

ثمّ إنّ الجدول الآتي يوضح أوجه الافتراق بين اللّغة والكلام:

اللغة	الكلام
1 ǂ اللغة اجتماعية	1 ǂ الكلام فردي
2 ǂ اللغة جوهرية أساسية	2 ǂ الكلام تابع وعرضي
3 ǂ اللغة هي النتيجة التي يسجلها الفرد بكيفية سلبية	3 ǂ الكلام نابع عن إرادة وذكاء

ومهما يكن من أمر؛ فإنّ اللّغة والكلام في جوهرهما متصلان، حيث إنّ كلّا منهما يقتضي وجود الآخر، فاللّغة راسب للاستعمال الفعلي للكلام، والكلام لا يعدو أن

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص124.

[2] ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ص 6. (بتصرف).

[3] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص124.

يكون إنجازا فعليا للحدث اللساني في الواقع، بواسطة أدوات صوتية وتركيبية ومعجمية يوفرها النظام اللساني[1]

3 2 - اللسانيات الآنية* والزمانية*:

تدرس اللّغة في نقطة زمنيّة معيّنة ولا تقتصر على دراسة اللّغات الحديثة أو المعاصرة، بل يمكنها أيضا أن تدرس اللغات الميِّتة. أمّا اللسانيات الزمانيّة فتتناول بالدراسة التغيّرات والتطورات المختلفة التي طرأت على لغة ما عبر فترة من الزمن أو خلال حقب متتابعة في الزمن الماضي.[2] والمؤكد أنّ دو سوسير لم يرفض البتّة اللسانيات الزمانيّة ولم يعدّها شيئا غير ضروري، ولكنّه ألحّ فقط على الفصل بينهما كي لا تدحض النظرة التطورية الوصف الآني وكي تثبت كل واقعة في مجالها الخاص. ولتوضيح العلاقة بين اللسانيات الآنية والزمانية استعان دو سوسير بمثال حيّ ممثّل في " لعبة الشطرنج"؛ حيث إنّ ما يهمنا في هذه اللعبة ليس نشأتها أو تاريخها كانتقالها من إيران إلى دول أخرى، وليس كلّ التحركات السابقة للبيادق منذ بداية اللعبة لأنّها لا تغيّر شيئا من الأمر الواقع. بل ما يهمنا فعلا هو تموضع البيادق في اللحظة الحالية وعلاقاتها ببعضها البعض حيث ترتبط قيمة البيدق بموقعه على الرقعة، وكذلك الحال بالنسبة للّغة، إذ تستمد كلّ مفردة قيمتها من خلال مقابلتها مع باقي المفردات الأخرى"[3]

وعلى الرغم من هذا التشابه؛ فقد ركز دو سوسير على نقطة واحدة تكون فيها المقارنة ضعيفة، " فلاعب الشطرنج يعتزم إحداث النقلة، لكن بيادق اللغة تنتقل أو تتغيّر بطريقة عرضية، وعليه فلكي تشبه لعبة الشطرنج حركية اللغة ينبغي أن نفترض لاعبا غير واع وغير ذكي"

---

[1] ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ص ص 7-8. (بتصرف)

* يطلق عليها أيضا: اللسانيات السكونية/ الثابتة/السنكرونية/التزامنية.

* يطلق عليها أيضا: اللسانيات الحركية/ التطورية/ الدياكرونية/ التطورية.

[2] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص125.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص126.

نستخلص من كلامه أنّ اللغة لا تتحكم فيها قوانين ثابتة، بل إنّ هناك قوّة عمياء تدفع بالوقائع اللغوية في أيِّ اتجاه لتولد نظاما مغايرا من العلامات، ويبدو أن التغيّر اللغوي لا يتم دائما بطريقة عفوية، بل يسير أحيانا في اتّجاه معيّن حسب قوانين ثابتة وإن كانت هناك بعض الاستثناءات، وفي هذا الخصوص يقول سامبسون:" يجب أن ننظر إلى لعبة الشطرنج وهي تمارس من طرف لاعبَيْن؛ أحدهما يحرّك بيادقه بطريقة عمياء والآخر بطريقة ذكية راصدا التحركات العشوائية"[1]

3 3 – العلاقات التركيبية والترابطية:

3 3 1 العلاقات التركيبية(Relation Syntagmatique)

يتمثّل هذا النوع في العلاقات الأفقية بين الوحدات اللغوية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة، وكلمات الجملة الواحدة، وتضفي كل وحدة معنى إضافيا على الكل، وتكون في حالة تقابلية مع بقية الوحدات اللغوية الأخرى، ولا تكتسب قيمتها إلّا بتقابلها مع الوحدات التي تسبقها أو تليها أو معهما جميعا، وتسمّى هذه الأنساق الخطيّة تراكيب، ففي جملة: (صار الطقس باردا) هناك علاقة تركيبية من ثلاث وحدات: (صار+الطقس+باردا). أمّا على مستوى المفردات فتتمثل هذه العلاقة في إدماج بعض الصوامت في أنساق تركيبية حسب القوانين الفونولوجية المتعارف عليها في تكوين مفردات اللغة كهذه المجموعة من الصوامت للفظة (صار) مثلا: (صـ+ا+ر). يقول دو سوسير:" تكتسب الكلمات علاقات مبنية على صفة اللّغة الخطيّة بسبب ترابطها فيما بينها ممّا يستثني إمكانية لفظ عنصرين في آن واحد"[2]

3 3 2 العلاقات الترابطية (Relation Paradigmatique)

يطلق هذا المصطلح على العلاقات الاستبدالية بين الوحدات اللغوية التي يمكن أن تحلّ محلّ بعضها بعض في سياق واحد. أي أنّ هناك علاقات موجودة بين علامة

---

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص127.

[2] المرجع نفسه، ص ص 130-131.

في جملة ما وعلامة غير موجودة في الجملة أصلا بل موجودة في أذهاننا طبعا. وقد أطلق دو سوسير عبارة الترابطية على هذه العلاقة. وتتضح لنا العلاقات الترابطية –على مستوى التراكيب– من خلال المثال الآتي حيث يمكن أن نعوّض كلمة "أصبح" بـ: "صار"، و"كان"، و"أضحى"(...) وكلمة "الجو" بـ: "المناخ"، و"الأمن". وكلمة "صحوا" بـ:"رطبا"، و"منعدما". وذلك وفق النحو الآتي:

أصبح الجو صحوا

صار المناخ رطبا

كان الأمن منعدما.

أمّا على مستوى المفردات: فيكون تحديد كلّ فونيم بمقابلته بالفونيمات الأخرى التي يمكن أن تحلّ محلّه في سياقات مختلفة لتكوين الكلمات وذلك كاستبدال الفونيم الاستهلالي ببعض الفونيمات والإبقاء على الفونيم الثاني والثالث كما في هذه المفردات (نام–هام–قام–رام) أو استبدال الفونيم الثاني من الكلمة بفونيم آخر مع الإبقاء على الفونيم الاستهلالي والختامي كما في هذه الكلمات: (عجن–عفن–عان) الخ[1]

وهناك علاقات ترابطية أخرى جاء بها دي سوسير كما في قوله: "تكتسب الكلمات التي يجمعها شيء مشترك علاقات من نوع آخر، حيث تترابط في الذاكرة مشكلة مجموعات تميّزها علاقات مختلفة، فكلمة (enseignement) (تعليم) تستدعي لا شعوريا إلى الذهن مجموعة من الكلمات الأخرى (enseigner) (علّم) و (renseigner) (أعلم)...الخ. (...) وهكذا فإنّ كلّ هذه الكلمات تربطها علاقة معيّنة من جانب أو من آخر". وبعبارة أخرى فإنّ هذه الكلمات (enseignement) (enseignants) (enseigner) يجمعها عنصر مشترك هو الجذر.

[1] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص ص130–131.

وقد ترد الكلمات في سلسلة مختلفة مبنية على عنصر مشترك آخر كاللاحقة (ment) مثل:

(armement) (changement); (amendement), (enseignement)

كما يمكن أن ينبثق الترابط عن تشابه المدلولات مثل:

(enseignement) (instruction) (éducation) (apprentissage)؛ أي: (تعليم–تثقيف–اكتساب –تربية). يقول دو سوسير:" إنّ العلاقة التركيبية حضورية وتقوم على عبارتين أو أكثر في سلسلة موجودة بالفعل، وبالمقابلة فإنّ العلاقة الترابطية تجمع بين عبارات غيابية في سلسلة كامنة في الذاكرة"[1]

3 4 – العلامة اللغوية (الدليل اللغوي):

اللّغة في نظر دو سوسير عبارة عن:" مستودع من العلامات"، والعلامة وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معيّن" [2] " فنحن لا نتكلم بعلامات منعزلة، وإنّما بمجموعة علامات، بل وبكتل منظمة، هي نفسها أيضا علامات، وفي اللّغة إذا كان كل شيء يرجع إلى الفوارق، فإنّه أيضا يرجع إلى تجمعات"[3]

كما تعتبر العلامة اللغوية وحدة النظام؛ فهي العنصر اللساني المكوّن من صورة سمعية ومفهوم؛ أي الفكرة التي تقترن بالصورة السمعية[4] ولمّا حسم دي سوسير مفهوم العلامة اللسانية على النحو المتقدم استبدل كلا من الصورة السمعية والمفهوم بمصطلحي الدال (Signifiant) والمدلول (Signifie)[5]

---

[1] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور ص 132.

[2] المرجع نفسه، ص127.

[3] عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، دار هومة، الجزائر، د ط، 2014، ص 10.

[4] علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، منشورات ألفا للوثائق، الجزائر، ط1، 2020، ص 67.

[5] المرجع نفسه، ص 69.

3 4 1 الدال:

هو الصورة السمعية التي تدل على شيء ما أو تعني شيئا ما[1] أو هو: الإدراك النفسي لتتابع الأصوات.[2] أو هو: الأثر السيكولوجي (النفسي) الناتج عن الصوت، أي ذلك التمثل الذي تهبنا إيّاه شهادة حواسنا، فهي ناتجة عن أعضائنا وقدراتنا الحسية[3] أو هو: الإدراك النفسي للكلمة الصوتية، أي تصوّر الإنسان للأصوات التي يتلفظ بها أو الانطباع الذهني، فهو صوت لغوي وظيفي ذو خاصية نطقية[4]

3 4 2 المدلول:

هو الصورة الذهنية المقابلة للصورة السمعية، ويسميه سوسير المفهوم أو التصوّر[5] والمقصود به الفكرة أو مجموعة الأفكار التي تقترن بالصورة السمعية[6] أو هو" مجموع السمات الدلالية (حيّ، ناطق، عاقل، إنسان، أنثى، راشد وغيرها)" [7]

ويرى دو سوسير أنّ العلامة اللغوية لا تربط شيئا باسم بل تصوّرا بصورة سمعية. وهذه الأخيرة ليست الصوت المادي الذي هو شيء فيزيائي صرف، بل هي البصمة النفسية للصوت، أو ذلك الانطباع الذي تشكله على حواسنا"[8] وحتّى يؤسس دي سوسير هذا الرأي ويدعمه قدّم دليلا من الواقع اللغوي، إذ يقول:" إنّ الصورة النفسية (السيكولوجية) لصورنا السمعية تظهر جيّدا عند ملاحظتنا للّغة الخاصة بنا، حيث

---

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص127.

[2] علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ص 67.

[3] فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قنيني، مراجعة أحمد جيبي، إفريقيا للنشر، دط، 1987، ص86. نقلا عن: علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ص 68.

[4] ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983، ص 180. نقلا عن: علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ص 72.

[5] سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت ، ص11. نقلا عن: علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ص 73.

[6] نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د ط، 2006، ص319. نقلا عن: علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ص 73.

[7] علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ص 67.

[8] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص127.

بإمكاننا أن نتحدث مع أنفسنا، أو أن نأتي بقطعة من أذهاننا دون تحريك الشفتين أو اللسان"[1]

ويشبّه سوسير " الدال والمدلول في ترابطهما واتّحادهما بوجه الورقة وقفاها (ظهرها)"[2] حيث لا يمكننا فصل هذين الأخيرين عن بعضهما البعض، فالمدلول يمثّل وجهها الأمامي، أمّا الدال فهو وجهها الخلفي، فمن المحال أن نتخيّل صفحة لا خلفية لها، كما لا يمكن أن نتخيّل أيضا دالا بدون مدلول. يقول دو سوسير:" ويمكن أن تشبه اللغة أيضا بورقة يكون الوجه فيها الفكر، والظهر هو الصوت، علما بأنّه لا يمكن أن يقطع وجهها دون أن يقطع في الوقت نفسه ظهرها"[3]

4 - خصائص العلامة اللسانية:

4 1 - الطابع الخطّي للعلامة اللسانية:

إنّ من أهمّ خصائص الدال اللّغويّ الخاصية الخطية، فهو يتميز بامتداده على خطّ الزمن، فعناصره تتوزّع وتتعاقب على بعد واحد هو البعد الزمني، مثل تتالي النقط التي يتكوّن منها الخط.[4] ومن ثمّ فإنّ التعابير الصوتية تحدث ضروريا تعاقبا في الزمان، فلا يمكن أن تجتمع وحدتان في نقطة واحدة من تسلسل الكلام، بل تأخذان قيمتهما من تعاقبهما وتعارضهما على السلسلة.[5]

يقول دو سوسير: "لَمَّا كان الدال ذا طبيعة سمعية، فإنّه يمتد منتشرًا في الزمان"

---

[1] علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ص 68.

[2] كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، دار غريب، 2000، ج1، ص53. نقلا عن: علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ص 74.

[3] عبد القادر هني، اللسانيات البنيوية في مطلع القرن العشرين –فرديناند دي سوسير نموذجا–، مجلة اللغة والأدب، معهد اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد (11)، ماي 1997، ص 233. نقلا عن: علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ص 74.

[4] علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ص 72.

[5] بول فابر وكريتسيان بايلون، مدخل إلى الألسنية (مع تمارين تطبيقية)، ترجمة طلال وهبة، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، ط1، 1992، ص 13. نقلا عن: علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ص 73.

وبما أنّ الركيزة المادية للدليل اللغوي هو الصوت؛ لذا فإنه أثناء عملية النطق يتسلسل الصوت مع الزمن في خط أُفقي، وصفةُ التسلسل تَجعل العلامةَ اللغوية قابلةً للتحليل، وبعبارة أخرى: "إذا كان الدال ذا طبيعة سمعية، فهو يُمثل بُعدًا، ويقاس هذا البعد من منحى واحد هو المنحى الخطي. ولتوضيح هذا نضرب المثالين الآتيين:

- كلمة (قَلب) يمكن تقسيمها إلى وحدات متوالية وفق النحو الآتي: ق + فتحة + ل + ب+ حركة الإعراب حسب موقعها في الجملة، وهذا يعني أن صوت القاف يَسبق زمنيًّا صوت اللام، وكذلك اللام تَسبق صوت الباء، فإذا غيَّرنا التسلسلَ الزمني والخطيَّ في هذه السلسلة الكلامية، وجعلنا صوت اللام في الأول ثم أردفناه بصوت القاف وبعده الباء (ل+ق+ب) فسنحصل على كلمة (لقب) لنستنتج: أنّ أيّ تغيّر في التسلسل الخطي ينجم عنه تغيّر في المعنى.[1]

-قول أحدهم: (شاهدت دار الرجل)، فهنا نلاحظ تلاحق هذه العناصر في سياق خطي يحمل معنى معيّنا، لكن بمجرد تغيير التسلسل؛ أي قوله مثلا: (شاهدت رجل الدار) فهذا يؤدي إلى تغيّير المعنى الذي أشارت إليه الجملة الأولى[2]

ثمّ إنّه ينبغي التنبيه بأنّ الطابع الخطيّ للدال يدخل ضمن محور التركيب، وذلك وفق المبادئ الآتية:

أ- **مبدأ التخالف:** ذلك أنّ التشابه لا يؤدي وظيفة كأن تقول: (جاء جاء جاء) فهذا يؤدّي إلى اللّامعنى.

ب- مبدأ الحضور: فهذه العناصر لا بدّ أن تكون حاضرة موجودة.

ج- مبدأ التعارض: مثل: صليتُ المَغْرِبَ بالمَغْرِبِ. فالمغرب الأولى تتشابه مع المغرب الثانية خطّا لذا لا بدّ من تخالف على مستوى نحوي وهذا ما يسمّى تعارضا.

---

[1] رشيد الأركو، الدلالة اللغوية اعتباطيتها وقيمتها عند دي سوسير، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، تاريخ الإضافة: 2017/12/13.

[2] بول فابر وكريتسيان بايلون، مدخل إلى الألسنية (مع تمارين تطبيقية)، ص 13. نقلا عن: علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ص 73.

4 2 – اعتباطية العلامة:

إنّ العلاقة الموجودة بين الشكل الصوتي (الدال) وما يدل عليه (المدلول) بالنسبة لدى سوسير " هي علاقة غير ضرورية ولا طبيعية، وإنّما لها خاصيّة تدعى الاعتباطية". فدو سوسير يرى أنّ الرابط الذي يوحد الدال بالمدلول اعتباطي (Arbitraire). ويقصد بالاعتباطي؛ أنّ الدال غير مسبَّب؛ أي غير معلّل، بل اعتباطي بالنسبة إلى المدلول الذي لا تربطه به أيّة علاقة طبيعية في الواقع[1]

وحتّى يبرهن دو سوسير على صحة هذه الخاصيّة، قدّم حججا من بينها: أنّ معنى كلمة "أخت" لا ترتبط بأيّة علاقة داخلية مع تعاقب أصوات: أ–خ–ت؛ التي تقوم مقام الدال بالنسبة إليها، وحجته على صحّة هذه الرؤية الاختلافات القائمة بين اللّغات[2]

4 3 – ثبوت العلامة وتغيّرها:

4 3 1 الثبوت:

عادة ما تميل العلامات إلى الثبوت، لأنّ ثمّة قِوى تعمل على منع التغيّر اللّغوي، وتقاول التبدّل الاعتباطي. ومن بين هذه القوى كما يقول "وترمان": " الثروة المفرداتية الكبيرة، والبنية اللغوية المعقدة، والجمود الذي يميّز اللغة، بالإضافة إلى كون اللّغة ملك الجميع، وأنّ جذورها ضاربة في أعماق التاريخ، ونحن ورثناها عن الأجداد، وما علينا إلّا تقبّلها". إنّ اللغة نتاج قوى تاريخية وهذه القوى نفسها هي التي تقاوم كل تغيّر اعتباطي[3]

ويمثّل سوسير لهذه المسألة بلعبة الورق، حيث يقول: "... فقد ألفنا مثلها حين لعب الورق، حتّى إنّنا نسميها: الحاجة الدافعة إلى رمي الورقة. فنحن نقول للاعب اختر

---

[1] علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ص 75.

[2] ينظر: فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ص 88. نقلا عن: علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ص 76.

[3] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص128.

ورقتك، ولكنّنا نضيف معقبين اختر هذا اللّون أو هذه العلامة وليس غيرها، فهنا لا يستطيع الفرد تغيير شيء من ذلك الاختيار، كما هو الحال بالنسبة للجماعة الإنسانية ذاتها كونها مقيّدة باللّغة كما وجدتها وكما هي عليها"[1]

4 3 2 التغيّر:

تتغيّر اللغة بصورة تدريجية عبر الزمن، ويمسّ هذا التغيّر خاصة أشكال المفردات ومعانيها، ويقصد دو سوسير بالتغيّر تلك " التغيّرات الصوتية التي تصيب الدال، أو تلك التغيّرات في المعنى التي تصيب تصوّر المدلول(...) ومهما تكن قوى التغيّر(...) فإنّها تؤدي دائما إلى تبدّل العلاقة بين الدال والمدلول". ويبدو –كما قال دو سوسير– أنّ اللغة عاجزة جذريا عن الدفاع عن نفسها ضدّ القوى التي تغيّر من حين لآخر العلاقة بين الدال والمدلول، وأنّ هذه لإحدى عواقب الطبيعة الاعتباطية للعلامة"[2]

5 – القيمة اللغوية:

إنّ اللغة في نظر دو سوسير لا يمكن أن تكون إلّا نظاما من القيم المجردة، وتكمن قيمة الكلمة في خاصيتها التي تمكّنها من تمثيل فكرة معيَّنة، وقد جاء دو سوسير بمفهوم القيمة (La Valeur) من الاقتصاد. " حيث ذهب إلى أنّ خمسة فرنكات لا يتم تحديدها إلّا بمعرفة أنّه يمكن تبديلها بكمية محدّدة من شيء آخر كالخبز مثلا" أو مقارنتها بقيمة مماثلة لها في النظام ذاته كقطعة فرنك واحدة أو بقطع نقود من نظام آخر كدولار واحد مثلا. وبهذه الطريقة يمكن تبديل كلمة بشيء مغاير كفكرة ما أو تشبيهها بشيء من طبيعة واحدة لكلمة أخرى مثلا. إنّ قيمة الكلمة ليست ثابتة ما دام يمكن تبديلها بتصوّر معيّن أي بدلالة أو بأخرى. ولا يتحدّد مضمون الكلمة تماما

[1] فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ص 90. نقلا عن: علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، ص 81.

[2] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص129.

إلّا بتواجد كينونات أخرى خارج عنها. ولكونها جزءا من نظام فإنّها لا تتمتع بدلالة فحسب بل بقيمة خاصة أيضا"[1]

وقد ضرب دو سوسير لتوضيح مفهوم القيمة منها أنّ كلمة: (mouton) (خروف) في الفرنسية الحديثة تقابلها من حيث الدلالة الكلمة الإنجليزية (sheep) ولكن ليس لها القيمة نفسها نظرا لأسباب عديدة خاصة؛ لأن الإنجليزية تستعمل كلمة (mutton) وليس (sheep) عند الحديث عن قطعة لحم مهيّأة للأكل على المائدة. إنّ الاختلاف في القيمة بين (sheep) و(mutton) يعود إلى أنّ الكلمة الأولى لها عبارة أخرى تقف إزاءها في حين أنّ الكلمة الفرنسية ليست لها أيّة عبارة أخرى من هذا القبيل. إنّ كلّ ما يقال على الكلمات ينطبق على الكينونات النحوية أيضا؛ فقيمة الجمع في الفرنسية لا تساوي قيمته في العربية والسنسكريتية على الرغم من أن الدلالة متشابهة بين هذه اللغات، فالفرنسية تعدّ الكلمات الآتية (العينان – الأذنان– اليدان– الرجلان) جمعا بينما تعدّ العربية والسنسكريتية هذه الكلمات مثنّى؛ حيث إنّ الجمع بالنسبة لهاتين اللغتين ما كان عدده ثلاثة أو ما فوق.[2]

6 – السيمياء والمؤسسات الاجتماعية:

السيمياء علم يدرس حياة كل العلامات المستخدمة في المجتمع كاللغة والعادات والطقوس...الخ، ومع هذا فإنّها فرع من علم النفس الاجتماعي ومن ثمة من علم النفس العام، وما اللسانيات–حسب دو سوسير– إلّا جزء من السيمياء[3]

–محصول الحديث:

1 –إنّ " دو سوسير كان مولعا بنظرة فلسفية إلى الأشياء مما جعله يُقبل على إقامة عدّة ثنائيات، وممّا لا ريب فيه أنّ هذه الثنائيات تساعد على فهم طبيعة اللغة"[4]

---

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 129.

[2] المرجع نفسه، ص130.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 132.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 133.

2 –عند إلحاح دو سوسير على عدّ الصوت ظاهرة فيزيائية لا تنتمي إلى النظام اللغوي بل تنتمي إلى الكلام فإنّه كان بصدد إرساء دعائم العلم الذي سمي فيما بعد بالفونولوجيا(....) أمّا في ملحقه للمقدّمة الذي ورد تحت عنوان: مبادئ الفونولوجيا؛ فقد تناول فيه أساسا ما يطلق عليه اليوم بالفونتيك، وكذلك ما أطلق عليه اسم الفونتيك قد اشتمل على كل من الفونتيك التاريخية والفونولوجيا التاريخية"[1] من هذا المنطلق أقام دو سوسير تمييزا حاسما بين الفونتيك والفونولوجيا؛ " أي دراسة أصوات الكلام بصفتها حوادث فيزيائية من جهة، ودراسة الصورة السمعية الوظيفية في اللغة من جهة أخرى".[2]

3 -اللسانيات الأمريكية عُنيت بالعلاقات التركيبية أكثر من العلاقات الترابطية بينما عنيت اللسانيات الأوروبية بالعلاقات الترابطية أكثر من العلاقات التركيبية[3]

[1] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 132.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 132.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 135.

حلقة موسكو أو جماعة موسكو منحى لساني من المناحي الأربع (حلقة موسكو، جماعة أبوياز، وجماعة تارتو* السيميائية، وحلقة براغ اللسانية)؛ التي تمثلت الفكر الشكلاني*[1]

1 - حلقة موسكو اللسانية(1915-1920م):

تكونت هذه الحلقة سنة 1915م، ومن أهم عناصرها البارزة: رومان جاكبسون، وبيوتر بوجاتريف (عالم فلكلور)، والعالم الفلكلوري فلاديمير بروب والألسني جريجوري فينوكور، والمنظرين للأدب والمؤرخين "أوسيب بريك" و"بوريس توماشفسكي". والملاحظ لتركيبة هذه الجماعة يلمح تنوع اختصاصات أعضائها الذين يتراوحون بين الفلكلوريين والأدباء والنقاد والمؤرخين والألسنيين والمنظريين ممّا يساعد على شمولية دراستهم.[2]

1 1 - رومان جاكبسون(Roman Jakobson) (1896-1982م)

أثرى اللسانيات بأبحاثه الصوتية والفونولوجية. كما أغنى الشعرية بكثير من القضايا الإيقاعية والصوتية والتركيبية، سيما نظريته المتعلقة بوظائف اللغة، والتوازي، والقيمة المهيمنة، والقيم الخلافية[3] وهو من ابتكر مصطلح البنيوية فيما بعد، وهو أحد أعضاء كل من المدرسة الشكلانية في موسكو-كما أسلفنا الذكر-

* تارتو(TARTU) نسبة إلى جامعة تارتو بموسكو.

* دعت الشكلانية إلى دراسة الأدب باعتباره بنية جمالية مستقلة، أو نسقا بنيويا بسيطا أو مركبا، يتضمن مجموعة من العناصر التي تتفاعل فيما بينها إيجابا أو سلبا. ولم تظهر الشكلانية إلا بعد الأزمة التي أصابت النقد والأدب الروسيين، بعد انتشار الإيديولوجية الماركسية، واستفحال الشيوعية، وربط الأدب بإطاره السوسيولوجي في شكل مرآوي انعكاسي؛ مما أساء ذلك إلى الفن والأدب معا." ينظر: جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن، ص ص 3 -8.

[1] جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن، ص ص 6-7.

[2] ينظر: قرواز نجمة، النقد الشكلاني، مجلة الناص، جامعة جيجل، العدد 21 جوان 2017، ص90.

[3] جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن، ص 8.

وحلقة براغ اللسانية فيما بعد[1] فمنذ عام 1920 تمكن رومان جاكبسون من نقل روح الأبحاث الشكلانية إلى عاصمة تشيكوسلوفاكيا (براغ)، وهناك أسس حلقة براغ اللسانية مع تروبتسكوي، والتي تولدت عنها اللسانيات البنيوية والمدرسة اللغوية الوظيفية. [2] وهذا ما يفسر العلاقة المتينة بين الشكلانية والبنيوية، وبالتالي يمكننا القول بأن البنيوية هي ميلاد جديد للشكلانية[3]

وقد عرفت مسيرته العلمية ثلاث مراحل أساسية هي: مرحلة حلقة موسكو اللسانية (1915–1920م) التي اندمجت في الأبوياز؛ ومرحلة حلقة براغ بتشيكوسلوفاكيا (1920–1930م)؛ ومرحلة التدريس بالولايات المتحدة الأمريكية في جامعة هارفارد ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT). وفي هذه الفترة بالذات، انشغل باللسانيات العامة، وتدريس اللغات والآداب السلافية[4].

وقد قال عنه الباحث الأمريكي ديفيد كارتر (David Carter)؛ صاحب كتاب **(النظرية الأدبية)**: "كان رومان جاكبسون جسرا بين الشكلانية الروسية والبنيوية. وقد كان عضوا مؤسسا لدائرة موسكو اللغوية، حيث تكشف جميع كتاباته عن مركزية النظرية اللغوية في فكره، وخاصة تأثير سوسير. كما كان أحد المؤيدين المتحمسين للشعراء التجريبيين في عام 1920م. انتقل جاكبسون إلى تشيكوسلوفاكيا، وساعد على تأسيس دائرة براغ اللغوية المؤثرة. وبسبب الغزو النازي لتشيكوسلوفاكيا في عام 1939، غادر البلاد، واستقر أخيرا في الولايات المتحدة في عام 1941م."[5]

كما يعدّ رومان جاكبسون أوّل من طبق المنهج البنيوي اللساني على الشعر، حينما حلّل مع كلود ليفي شتراوس قصيدة القطط (Les Chats) لشارل بودلير سنة

---

[1] مراد عبد الرحمن مبروك، آليات المنهج الشكلي في نقد الرواية العربية المعاصرة التحفيز نموذجا تطبيقيا، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2002، ص12. نقلا عن: قرواز نجمة، النقد الشكلاني، ص 86.

[2] ينظر: جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن، ص ص7–8.

[3] قرواز نجمة، النقد الشكلاني، ص 86.

[4] جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن، ص ص44– 45.

[5] المرجع نفسه، ص 45.

1962م[1]. وقد درسها الاثنان دراسة داخلية مغلقة، في إطار نسق كلي من الشبكات البنيوية المتفاعلة، بغية البحث عن دلالة البناء. وقد انصب هذا العمل التشريحي على مقاربة القصيدة تفكيكا وتركيبا، بالاعتماد على اللسانيات البنيوية، مع استقراء المعطيات الصوتية والصرفية والإيقاعية والتركيبية والبلاغية.

كما تمثّل رومان جاكبسون منهجية تواصلية وظيفية في دراسة اللغة ونظامها التواصلي، ودراسة الفونيمات اللّغوية باستقراء سماتها المميّزة، في إطار نحو كلي كوني على غرار النحو الكلي لنوام تشومسكي (Chomsky). وعلى العموم، فقد كان رومان جاكبسون أوّل من أرسى البويطيقا أو الشعرية (Poétique) في ضوء مقاربة بنيوية ولسانية وشكلانية موضوعية، وميّز بين الأجناس الأدبية وفق نظرية القيمة المهيمنة. وهو كذلك أوّل من سعى إلى دراسة النحو الكلي، انطلاقا من نظرية السمات المميّزة في مجال علم الأصوات والفونولوجيا.[2]

1 1 1 – وظائف اللغة عند رومان جاكبسون:

بعد حوالي ربع قرن أكمل جاكبسون في كتابه (أصول اللسانيات العامة) عمل "بوهلر" فيما يتعلق بوظائف اللغة[3]

يرى جاكبسون أنّ هناك ستة عناصر ضرورية لإتمام عملية التواصل هي:

1 **المرسل** (المتكلم–الباث–المخاطِب)
2 **المرسل إليه** (المتلقي–السامع–المخَاطَب– المستقبِل)
3 **الرسالة** (الخطاب–النص): وهي محتوى الإرسال

---

[1] --C. Lévi-Strauss et R. Jakobson: («Les Chats" de Charles Baudelaire), **L'Homme**, *revue française d'anthropologie*, t. II, n° 1, 1962.pp:5-21.

[2] جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن، ص 46.

[3] ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1423، ص 174.

4 **السياق** (الموقف–المرجع–الوضعية–مقتضى الحال–المقام–سياق الحال–حال الخطاب–سياق الموقف)

5 **السنن** (الشفرة–التشفير–الترميز–نظام الرموز–القيد–العقد–السُنن–السَنن–القانون– الوضع–المواضعة–الكود)

6 **القناة** أو **الصلة:** وهي القوانين والقواعد التي يشترك فيها طرفا الإرسال.[1]

وبإزاء كل عنصر وظيفة وذلك وفق النحو الآتي:

1 **المرسل: الوظيفة التعبيرية/ الانفعالية:**

وهي المركزة على المرسل وتهدف إلى أن تعبّر بصفة مباشرة عن موقف المتكلم تجاه ما يتحدّث عنه. وتمثّل صيغ التعجب في اللّغة العربية الطبقة الانفعالية الخالصة للإشارة إلى السخرية أو الغيظ تنقل في الظاهر إخبارا.[2]

2 **المرسل إليه: الوظيفة الإفهامية/ التوكيدية/ الندائية/ استدعائية:**

وهي الوظيفة المتجهة نحو المرسل إليه؛ وتوجد في الجمل التي يُنادي بها المرسِل المرسَل إليه، لإثارة انتباهه، أو ليطلب منه القيام بعمل، وتدخل جمل النداء والأمر ضمن هذه الوظيفة[3]

3 **الرسالة** (الخطاب–النص): **الوظيفة الشعرية:**

وهي التي تستهدف الرسالة/ النص بوصفها رسالة، والتركيز عليها لحسابها الخاص[4]

4 **السياق: الوضعية المرجعية/ الوضعية/ المعرفية:**

هي أساس كل تواصل، فهي التي تحدّد العلاقات بين الرسالة والشيء أو الغرض الذي ترجع إليه، وهي أكثر وظائف اللّغة أهمية في عملية الاتّصال ذاتها.[1]

---

[1] ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص77.

[2] ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص 549.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 550

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 551.

5 السنن: وظيفة اللغة الواصفة/ اللغة الشارحة/ الكلام على الكلام/ ما وراء اللغة:

تظهر هذه الوظيفة في الرسائل التي تكون اللّغة مادة دراستها، أي التي تقوم على وصف اللغة، وذكر عناصرها، وتعريف مفرداتها.[2]

6 القناة أو الصلة: الوظيفة الانتباهية:

وهي تهدف لإقامة التواصل وتمديده أو فصمه، وتوظف للتأكد ممّا إذا كانت دورة الكلام تشتغل:(ألو، أتسمعني؟)، وتوظف لإثارة انتباه المخاطَب أو للتأكد من أنّ انتباهه لم يرتخ (قل، أتسمعني؟)[3]

يقول ابن جني: " ... أو لا تعلم أنّ الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب صاحبه، ويُنعِم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه؛ فيقول له: يا فلان، أين أنت، أرني وجهك، أقبل عليَّ أُحدِّثْك، أما أنت حاضر هُناه. فإذا أقبل عليه وأصغى إليه، اندفع يحدِّثُه أو يأمره أو ينهاه، أو نحو ذلك"[4]

- محصول الحديث:

إنّ النصوص والخطابات والصور والمكالمات الهاتفية عبارة عن رسائل يرسلها المرسل إلى مرسل إليه؛ حيث يحوّل المتكلم رسالته إلى نسيج من الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الذاتية، ويستخدم في ذلك ضمير المتكلم. ومن ثمَّ يتخذ المرسل بعدا ذاتيا قوامه التعبيرية الانفعالية. بمعنى أنَّ الوظيفة الانفعالية التعبيرية هي التي تحدّد العلائق الموجودة بين المرسل والرسالة، وتحمل هذه الوظيفة، في طياتها، انفعالات ذاتية، وتتضمن قيما ومواقف عاطفية ومشاعر وإحساسات،

---

[1] ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص 550

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 550

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 550.

[4] ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، د ط، د ت، ج1، ص ص 246-247.

يسقطها المتكلم على موضوع الرسالة المرجعي. أمّا المرسل إليه، فهو المخاطَب الذي توجه إليه رسائل المتكلم بضمير المخاطب؛ بغية إقناعه، أو التأثير فيه، أو إثارة انتباهه سلبا أو إيجابا. ومن هنا فإنّ الوظيفة التأثيرية هي التي تقوم على تحديد العلاقات الموجودة بين المرسل والمتلقي؛ حيث يتمّ تحريض المتلقي، وإثارة انتباهه، وإيقاظه عبر الترغيب والترهيب، وهذه الوظيفة ذاتية بامتياز، ما دامت قائمة على الإقناع والتأثير. إذاً: يتحول الخطاب اللفظي أو غير اللفظي إلى رسالة، وهذه الرسالة يتبادلها المرسل والمرسل إليه؛ فيساهمان في تحقيق التواصل المعرفي والجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية، يفككها المستقبِل، ويؤولها بلغته الواصفة. وتتجسد هذه الرسالة ذات الوظيفة الشعرية أو الجمالية بإسقاط المحور الاستبدالي على المحور التأليفي، أو إسقاط محور الدلالة على محور التركيب والنحو انزياحا. ويعني هذا أنّ الوظيفة الجمالية هي التي تحدّد العلائق الموجودة بين الرسالة وذاتها، وتتحقق هذه الوظيفة أثناء إسقاط المحور الاختياري على المحور التركيبي، وكذلك عندما يتحقق الانتهاك والانزياح المقصود بشكل من الأشكال.

كما تهدف الرسالة، عبر وسيط القناة، إلى الحفاظ على التواصل، وعدم انقطاعه: (آلو.. آلو... هل تسمعني جيدا؟)؛ أي: تهدف وظيفة القناة إلى تأكيد التواصل، واستمرارية الإبلاغ، وتثبيته أو إيقافه، والحفاظ على نبرة الحديث والكلام المتبادل بين الطرفين. وللّغة كذلك وظيفة مرجعية، ترتكز على موضوع الرسالة باعتباره مرجعا وواقعا وسياقا أساسيا، تحيل عليه تلك الرسالة، وهذه الوظيفة في الحقيقة موضوعية، لا وجود للذاتية فيها؛ نظرا لوجود الملاحظة الواقعية، والنقل الصحيح، والانعكاس المباشر(...) وثمة وظيفة أخرى مرتبطة بالسنن، وتسمى بالوظيفة الواصفة أو الوظيفة الميتالغوية القائمة على الشرح والوصف والتفسير والتأويل، وتهدف إلى تفكيك الشفرة اللغوية، بعد تسنينها من قبل المرسل، والهدف من السنن هو وصف الرسالة لغويا، وتأويلها وشرحها وفهمها، مع الاستعانة بالمعجم أو القواعد اللغوية والنحوية المشتركة بين المتكلم والمرسل إليه. [1]

[1] جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن، ص ص53- 54.

1 -النشأة:

أسست حلقة براغ* في أكتوبر/ تشرين الأول سنة 1926 من قبل فيلهم ماتزيوس (1882-1945) في رحاب جامعة براغ[1]

ضمّت الحلقة مجموعة من المفكرين التشيكيين والروس والألمان، لسانيين وغير لسانيين، ومن أشهر هذه الأسماء: رينيه ويليك (1903-1995) وجان موكاروفسكي (1891-1975) وتوماشفسكي ويوري تينيانوف (1894-1943) وفينوغرادوف، وهافرانيك وترنكا وفلاديمير شكاليكا وجوزيف فاشك[2]

وانتمى إلى الحلقة أيضا مجموعة من اللسانيين العالميين والمشتغلين بها من خارج تشيكوسلوفاكيا إمّا بصفتهم أعضاء وإمّا بصفتهم مشاركين، نذكر من بينهم: الإنجليزي دانيال جونز (1881-1967) والفيلسوف اللساني وعالم النفس الألماني كارل بوهلر (1879-1963) ومجموعة من اللسانيين الفرنسيين نذكر منهم: جوزيف فندريس (1875-1960) ولوسيان تنيير (1893-1954) وإميل بنفنيست (1902-1976) وأندري مارتيني (1908-1999) وغيرهم.[3]

وعرفت الحلقة نشاطا ملحوظا مع انضمام العلماء الروس تروبتسكوي ورومان جاكبسون وكرسيفسكي* [1]

---

* ظهرت تسمية حلقة براغ اللسانية رسميا على الصعيد العالمي في المؤتمر الأول للعلوم الصوتية المنعقد بأمستردام سنة 1928، لتصبح بعد ذلك مشهورة ومتداولة في مجال اللسانيات والآداب. ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2013، ص 217.

[1] المرجع نفسه، ص 215.

[2] المرجع نفسه، ص 216.

[3] المرجع نفسه، ص 217.

* تابع كرسيفسكي دروس سوسير في جنيف من 1906 إلى أن توفي سوسير ونقل بعد رجوعه إلى موسكو كل الأفكار التي أخذها عن شيخه إلى تروباتزكوي ورومان جاكبسون بالخصوص، ويعترف هؤلاء بأخذهم الكثير من أفكار سوسير، وأخذهم بأفكار غيره، وذلك مثل: بدوان دي كروتوني ولا سيما تلميذه كروسيفسك وهو غير

ومهما يكن من أمر؛ فإنّنا نقتصر في محاضرتنا على جهود أهم أعلام حلقة براغ ممثلين في: فيلهم ماتزيوس ودانيش و فيرباس (في المستوى التركيبي من خلال الوجهة الوظيفية للجملة) وتروبتسكوي ورومان جاكبسون (في المستوى الصّواتي أو الفونولوجي)

2 -في المستوى التركيبي: نظرية الوجهة الوظيفية للجملة:

يرجع تاريخ الوجهة الوظيفية للجملة أو المنظور الوظيفي للجملة إلى القرن الماضي، حين درس اللغويون الألمان وعلى رأسهم " **ويل**" الجملة من منظور نفسي، مهتمين خاصة بمفهوم " الفاعل النفسي"، وتوبع هذا النوع من الدراسات فيما بعد في تشيكوسلوفاكيا، في فترة ما بين الحربين على يد اللغويين، كان أبرزهم **ماتزيوس** الذي طوّر أفكار "**ويل**" وبلور مفهوم " الوجهة الوظيفية للجملة" كأحد المفاهيم المتحكمة في ترتيب مكونات الجملة[2].

2 ـ 1 - أسس نظرية الوجهة الوظيفية للجملة:

إن هذه النظرية قامت على الأسس التي تبناها الاتّجاه الوظيفي عامة في مقابل الاتّجاه غير الوظيفي في اللسانيات الحديثة والمتمثلة في:

1 ـ السعي إلى وصف خصائص اللّغات الطبيعية ومحاولة تفسيرها.
2 ـ محاولة استكشاف الخصائص الجامعة بين اللغات الطبيعية على اختلاف أنماطها من خلال وضع نحو كلي تتفرّع عنه أنحاء خاصة مقترحة لوصف كل لغة

كرسيفسكي رفيق تروباتزكوي. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، الباب الثاني في المذاهب والنظريات اللسانية الحديثة، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، العدد (7)، ص 8.

[1] ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 217.

[2] يحيى بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، دفعة 2005-2006، ص 50

3 صوغ نماذج صورية يفترض فيها أنّها تكفل التمثيل الملائم للظواهر الموصوفة

4 وصف قدرة المتكلم؛ أي معرفته للغته التي تمكنه من الإنجازات في مواقف تواصلية معينة.

5 إفراد مستويات للتمثيل للجوانب التركيبية والجوانب الدلالية والجوانب التداولية.

6 اعتبار اللغة وسيلة للتواصل الاجتماعي، أي نسقا رمزيا يؤدي مجموعة من الوظائف أهمها وظيفة التواصل.

7 اعتماد فرضية أنّ بنية اللغات الطبيعية لا يمكن أن نرصد خصائصها إلّا إذا ربطت هذه البنية بوظيفة التواصل، أي لا يمكن وصف خصائص العبارات اللغوية وصفا ملائما إلّا إذا روعي في هذا الوصف الطبقات السياقية الممكن أن تستعمل فيها

8 قدرة المتكلم– السامع هي معرفة المتكلم للقواعد التي تمكنه من تحقيق أغراض تواصلية معينة بواسطة اللغة، ومنه فهي قدرة تواصلية تشمل القواعد التركيبية والقواعد الدلالية والقواعد الصوتية والقواعد التداولية.

9 تعلّم الطفل لنحوِ اللغة يكون باستعانته بالنسق الثاوي خلف اللغة واستعمالها، أي العلاقات القائمة بين الأغراض التواصلية والوسائل اللغوية التي تتحقق بواسطتها.

10 – اعتبار الكليات اللغوية مجموعة من المبادئ العامة تربط بين الخصائص الصورية للسان الطبيعي ووظيفة التواصل، ومنه فهي كليات صورية–وظيفية.

11 – إفرادهم في نماذجهم المصوغة لوصف اللغات مستوى يضطلع بالتمثيل للخصائص التداولية، ويحتلّ هذا المستوى موقعا مركزيا حيث إنّه

يحدّد والمستوى الدلالي الخصائص الممثّل لها في المستوى التركيبي – الصرفي[1]

2 2 – نماذج التحليل في إطار النظرية:

بعد التعريج على الأسس التي قامت عليها النظريات الوظيفية نعرض فيما يأتي لمقترحات أصحاب نظرية الوجهة الوظيفية للجملة والتي تمثلت في ثلاثة نماذج رئيسية هي:

✓ نموذج ماتزيوس:

اقترح ماتزيوس تقسيما جديدا للجملة، يعتمد معيار ربط الجملة بالسياق أو الموقف الكلامي، عوض التقسيم البنيوي الشكلي العام للجملة، فإذا كان العنصران الأساسيان للتقسيم الشكلي للجملة، هما المسند والمسند إليه، أو مجموعة المسند إليه والكلمات التي ترتبط به، ومجموعة المسند والكلمات المرتبطة به، فإنّ التقسيم الوظيفي الجديد، يميّز بين العنصر الأساسي وما يرتبط به من كلمات الذي يكون قبل كل شيء نقطة ابتداء الكلام، أو أساس الكلام الذي يكون معلوما، أو على الأقل باديا للعيان وينطلق منه المتكلّم، وبين نواة الكلام، أي ما يحدّث به المتكلم عن نقطة الابتداء أو بخصوصها، فترتيب الكلمات إذا هو المعوّل عليه في نظرية الوجهة الوظيفية حيث تكون كلمة أو كلمات البداية، المنظور الأول للكلام أو موضوع الجملة –الموضوع thème–، وتكون المنظور الثاني الكلمة أو الكلمات المشكلة لنواة الكلام، أو محمول الجملة – المحمول rhème–، وبناء على ذلك، يكون الموضوع معلوما لدى السامع، أو مذكورا أمامه من قبلُ في السياق الكلامي، أما المحمول فلا يكون معلوما لديه، لأنّه يحمل له معلومة أو خبرا جديدا.

وبناء عليه يكون الترتيب العادي للكلمات في الجملة الخبرية، ينطلق من ذكر الموضوع أولا، وذكر المحمول بعده، ويسمّى هذا الترتيب التسلسلي للكلمات ترتيبا

[1] أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط2، 2010م، من ص 14 إلى ص 16

موضوعيا فهو المنظور أو الوجهة الوظيفية الموضوعية للجملة، لكن قد تبرز ضرورة ذاتية انفعالية للمتكلم تجعله يعكس الترتيب فيبدأ بالمحمول ثم يضيف بعده الموضوع، ويسمى هذا القلب بالترتيب الذاتي وهو الوجهة الوظيفية الذاتية، وهو ترتيب طبيعي في الجمل الاستفهامية والتعجبيّة، وكمثال عن ذلك نشير إلى أنّ اللغات الهندو أوروبية كالفرنسية والانجليزية مثلا تميّز بين صيغة المبني للمعلوم وبين صيغة المبني للمجهول بتقديم المفعول الذي كان محمولا في صيغة المعلوم ليصبح موضوعا في صيغة المجهول، وتنقلب معه وظيفة الفاعل حيث نقول في اللغة الفرنسية في صيغة المعلوم:

Ali mange une pomme ويكون التحليل إلى Ali موضوع و mange une pomme محمول. أما في صيغة المجهول فنقول:

la pomme est mangée par Ali ليصبح la pomme موضوعا

est mangée par Ali محمولا، وكمثال في العربية فإنّ الترتيب الموضوعي للجملة الاسمية هو مبتدأ وخبر؛ أي موضوع ثمّ محمول. أمّا إن أردنا تخصيص الخبر أو التوكيد عليه فإنّنا نقدمه ليصبح الترتيب ترتيبا ذاتيا محمول ثمّ موضوع[1]

لاقت أفكار ماتزيوس إقبال الكثير من اللغويين في أوروبا خاصة بعد تطوير دانيش أفكار أستاذه مقترحا مقاربة تحليلة للجملة نعرضها فيما يأتي:

✓ **نموذج دانيش:**

اقترح دانيش تحليل الجملة وفق ثلاثة مستويات هي على التوالي: المستوى الدلالي والمستوى النحوي والمستوى الوظيفي، حيث تتضمن الجملة في المستوى الدلالي حدثا ومشاركين في هذا الحدث، كالمنفذ والمتقبّل والهدف، ومن ثمّ تحلّل الجملة الآتية: "كتب المغترب رسالة إلى أمه" وفق النحو الآتي:

[1] يحيى بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص ص 50، 51

* في المستوى الدلالي:

كتب: حدث، المغترب: منفّذ، رسالة: متقبل، إلى أمه: هدف.

*في المستوى النحوي:

كتب: فعل، المغترب: فاعل، رسالة: مفعول، وهي الوظائف الثلاث التي يقتصر عليها المستوى النحوي.

* في المستوى الوظيفي: وهو مستوى تنظيم الجملة على أساس مطابقتها للسياق التبليغي، فإنّ الجملة تتضمّن مكونين أساسيين: المكوّن " الموضوع" الدال على ما يشكل محطّ الحديث، والمكوّن " المحمول" الدال على ما يشكل الحديث ذاته؛ أي ما يتحدّث به عن الموضوع فيكون الموضوع في الجملة السابق " المغترب" والمحمول هو " كتب رسالة إلى أمّه" وهذه المستويات الثلاث حسب دانيش هي مستويات تحليل الجملة، كما أنّه يعرّف الموضوع والمحمول تعريفا تداوليا، فالموضوع هو العنصر الذي يشكل موضوع الحديث وهو المعلومة المتقاسمة بين المتخاطبين وبالتالي معلومة سياقية، أما المحمول هو المكوّن الحامل للمعلومة الجديدة والحامل لنبر الجملة[1].

✓ **نموذج فيرباس:**

ساهم فيرباس هو الآخر في تطوير أفكار ماتزيوس حيث يضيف للمستوى الوظيفي السابق (مستوى تنظيم الجملة باعتبار تقسيمها إلى " موضوع" و" محمول") مفهوم المحركة التبليغية ويقصد بهذا المفهوم مدى إسهام مكونات الجملة في التواصل وتطوّره، حيث تأخذ المكونات الحاملة للمعلومات الجديدة أعلى درجات الحركية التبليغية في حين تأخذ المكونات الحاملة للمعلومات المعطاة أدنى درجات الحركية التبليغية، وبعبارة أخرى فإن توزيع المكونات داخل الجملة يتم طبقا لقدم وجدّة ما تحمله من معلومات، حيث تتقدّم المكونات الحاملة للمعلومات القديمة على المكونات

[1] المرجع السابق، ص ص51-52

الحاملة للمعلومات الجديدة وينتج عن ذلك أن المكونات الواردة في أول الجملة ذات حركة تبليغية أضعف من الحركة التبليغية التي تحظى بها المكونات الواردة في وسط الجملة أو في آخرها، وعليه تأخذ الجملة بالنظر إلى بنيتها التركيبية (فاعل، فعل، مفعول) توزيع درجات الحركية التبليغية كالآتي:

المغترب: درجة ثالثة، كتب: فعل درجة ثانية، رسالة: درجة أولى.

ومنه فإن المفعول يأخذ الرتبة أو الدرجة الأولى وهي أعلى درجات الحركية التبليغية[1]

ومن النماذج السابقة يمكن التفريق بين الموضوع والمحمول كما يأتي:

- **خصائص الموضوع:**
  1. هو موضوع الحديث؛
  2. عبارة عن معلومة متقاسمة ومشتركة؛
  3. لا يقع عليه النبر؛
  4. يملك أدنى درجات الحركية التبليغية.
- **خصائص المحمول:**
  1. هو الحديث؛
  2. معلومة جديدة غير مشتركة؛
  3. حامل لنبر الجملة؛
  4. يملك أعلى درجات الحركية التبليغية.

2 3 - أهمية نظرية الوجهة الوظيفية للجملة:

مما سبق نلاحظ أن الأساس الذي أجمع عليه اللسانيّون الوظيفيّون أصحاب الوجهة الوظيفية للجملة هو اعتبار عناصر كل مستوى من المستويات الثلاث (دلالي، نحوي، وظيفي) تقوم بدور معيّن في تحديد بنية الجملة، غير أنّ مكوّنات المستوى الوظيفي هي من يقوم بالدور الأساسي فترتيب المكوّنات داخل الجملة آيل إلى وظيفتي الموضوع والمحمول، ومنه اقترح دانيش في المرحلة الأخيرة، تحليلا تحويليا

[1] المرجع نفسه، ص52

للجمل، قائما على فكرة أن مجال التحويل لا يتم انطلاقا من المكوّن التركيبي بل من المكوّن التداولي الوظيفي[1]، وبهذا تعدّ نظرية الوجهة الوظيفية للجملة البذرة الأولى لبروز الموجة الوظيفية بالإضافة إلى نظريّة النحو النسقي لهاليداي المنبثقة عن اللسانيات الفريثية، فقد سارت النظريّتان جنبا إلى جنب مع النظريات النحوية البنويّة، وعايشتا النماذج التوليدية التحويلية الأولى، ليبدأ الصراع بين النموذج التحويلي والنموذج الوظيفي الذي تعزّز بنظرية وظيفيّة هي نظرية النّحو الوظيفي، وانتهى الصراع وحُسم لصالح النموذج الوظيفي في نهاية السبعينات، حيث دخل المكوّن التداولي إلى كل نماذج التحليل اللساني[2]

-محصول الحديث:

1 يعدّ الاتّجاه الوظيفي في اللسانيات من أهم التوجهات التي ظهرت منذ نشأت اللسانيات الحديثة.

2 اهتمت اللسانيات الوظيفية بكل مستويات اللغة الداخلية.

3 ركزت نظرية الوجهة الوظيفية للجملة على المستوى التركيبي وربطته بالمستوى الوظيفي.

4 يربط اللسانيون الوظيفيون جميع مستويات اللغة بالوظيفة الأساسية للغة وهي التواصل.

5 اعتبر ماتزيوس الجملة مكوّنا وظيفيا يتم تحليله وفق ترتيب موضوعي وظيفي.

6 طوّر دانيش أفكار ماتزيوش وحدّد مستويات ثلاث لتحليل الجملة.

7 استثمر فيرباس التحليل الذي قدّمه ماتزيوس وربطه بالدرجات التبلغيّة للوحدات المكوّنة للجملة.

8 -فرّقت نماذج نظرية الوجهة الوظيفية بين الموضوع والمحمول من جانب وظيفي تداولي.

---

[1] يحيى بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 53

[2] الزايدي بودرامة، النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي، دراسة في نحو الجملة، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، دفعة 2013،2014م ص ص 35،36.

9 اعتبار المستوى الوظيفي التداولي أهم مستوى في التحليل الإجرائي لمكوّنات الجملة.

10 – تجاوز التحليل البنيوي المجرّد إلى التحليل التداولي واعتباره المنطلق الأساس الذي تقوم عليه اللغة.

كما أسلفنا القول في المحاضرة السابقة بأنّ هذه المدرسة أو الحلقة العلمية كُتب لها الشهرة والذيوع بدخول ثلاثة لغويين فيها من أصل روسي، وذلك في عام 1928 وهم الأمير الروسي نيكولاي تروبتسكوي وورومان جاكبسون و كرسيفسكي، كما أنّها أخذت طابعها العلمي المميز بقدوم الأعلام الثلاث الآنفين الذكر، حيث إنّهم صاغوا بيانا هاما إلى العلماء الذين شاركوا في أول مؤتمر دولي للغويين، المؤتمر الذي ظهرت فيه الفونولوجيا المعاصرة، وذلك (في لاهاي سنة 1928)**[1]

1 في المستوى الصّواتي (الفونولوجي):

يرتبط اسم حلقة براغ اللسانية باللسانيات البنيوية عموما وبالدراسات الصّواتية (الفونولوجية) بخاصة، وهو المجال الذي دفعت به إلى مستوى عال من الضبط المنهجي والدّقة في التحليل، خاصّة مع أعمال تروبتسكوي (1890-1938) وجاكبسون (1887-1982).[2]

وتأتي مساهمة الحلقة في تطوير اللسانيات البنيوية بصفة عامة بتأكيدها الصريح على المفاهيم الجوهرية في لسانيات سوسير وتبنيها لها مثل: التمييز بين لسان/ كلام، ومفهوم البنية والتقابل، والعلاقات السياقية والجدولية، والربط بين التزامن والتعاقب[3]

بناء على هذا " تقدّم جاكبسون إلى المؤتمر (مؤتمر لاهاي 1928) ببيان جماعي وقعه أيضا تروبتسكوي وكرسيفسك عنوانه:" ما المناهج الملائمة لعرض متكامل

** ثمّ تتابعت مؤتمرات المدرسة وفق النحو الآتي: مؤتمر جنيف 1933، ومؤتمر كوبنهاجن 1936، ومؤتمر باريس 1948، ومؤتمر لندن 1952، ومؤتمر أوسلو 1957، ومؤتمر كمبريج (الولايات المتحدة الأمريكية) 1962، ومؤتمر بوخاريست 1967، ومؤتمر بولونيا بإيطاليا 1972. ينظر: السعيد شنوفة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 2008، ص 70.

[1] ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 14.

[2] ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 215.

[3] المرجع نفسه، ص 215.

وعملي لصواتة لسان؟ ليتم تبنيه أرضية منهجية للحلقة قدمت للمؤتمر الأول للفيلولوجيين السلافيين المنعقد ببراغ سنة 1929 تحت اسم أطروحات حلقة براغ[1] وقد نشرت الأطروحات في العدد من مجلة: أعمال حلقة براغ اللسانية لسان حال الحلقة. وتقدم الأطروحات وجهة نظرها في مختلف المجالات المتعلقة بتحليل اللغة على المستوى الصواتي والصرافي والنحوي والشعري بصفة عامة مع إشارة خاصة إلى الألسن السلافية[2]

وقد أكد البيان الذي قدمه أعضاء حلقة براغ إلى المؤتمر الأول للسانيات سنة 1928 على أهمية آراء فردينان دو سوسير والبولندي دو كورتناي (1845-1929)*** بوصفهما رائدين من روّاد اللسانيات البنيوية الناشئة. ففي الأطروحة الأولى التي تحمل عنوان: (الاهتمام باللسانيات التزامنية (السانكرونية) في علاقاتها المتعددة بمنهجية المقارنة البنيوية والمقارنة التكوينية) ظهر بشكل واضح مفهوم (البنية) بارتباط مع مفهوم (النّسق) عند سوسير، وجديد حلقة براغ يكمن في المواضيع الآتية:

1 ـ النسق:

حيث تمّ تعميم النسق ليشمل دراسة اللسان في بعديه المقارن والتعاقبي، وليس التزامني فقط بحسب تعاليم سوسير، فالظواهر اللسانية لا تتطور بمعزل عن بعضها، إنّ التطور يصيب عناصر النّسق برمتها تزامنيا وتعاقبيا، فما هو تزامني لا يلغي ما

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 217.

[2] المرجع نفسه، ص 218.

*** يقول جورج مونان: "يرجع اهتمامنا الخاص ببودوان إلى أيامنا هذه إلى كونه استكشف الطبيعة اللغوية للفونام"، وكان ذلك في مقال نشره عام 1869 وهو يرى ضرورة التمييز بين الصوت الخام في الكلام أو بتعبير آخر بين ما يلفظه المتكلم حقا، وبين شيء آخر هو الفونام؛ أي ما يظن المتكلم أنه يلفظه والمستمع أنه يسمعه. ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص ص 14-15.

هو تعاقبي[1] فلا يمكننا أن نفصل فصلا صارما بين المنهج التزامني والمنهج التعاقبي، وأن نضع الحواجز التي لا يمكن تجاوزها كما تفعل مدرسة جنيف[2]

1 2 التزامن الحركي:

كان لمفهوم التزامن الحركي – أي إنّ حالة التزامن تحمل في طياتها التغيرات التي يعرفها لسان معين وما قد تؤول إليه من تطورات متفاوتة النسبة– أثر كبير في أطروحة براغ في موضوع التقابل بين التزامن والتعاقب[3] وقولها بعدم سكون حالة التزامن وجمودها بعكس ما ذهب إليه سوسير. إنّ ترابط الظواهر التزامنية بوصفها مجموعة من الوقائع غير المتجانسة هو الذي يجعل بعضها يؤثّر في بعض، مما يضمن للتزامن رغم ما يبدو عليه من استقرار وثبات نوعا من الحركية.[4]

إنّ الدراسة التعاقبية لا تلغي أبدا مفهومي النسق والوظيفة بل بالعكس من ذلك تكون المعالجة التاريخية منقوصة إذا لم تأخذ في الاعتبار هذين المفهومين (النسق والوظيفة)، ومن جهة ثانية فإنّ الوصف التزامني لا يمكنه أيضا أن يُقصي مفهوم التطور[5]

1 3 الوظيفة:

عرفت حلقة براغ بالوظيفة لأنّها أكدت بشكل بارز منذ بدايتها على وظيفة اللغة الأساس؛ التي هي التواصل ضمن وظائف أخرى ممكنة بحسب السياق والمقام والبنيات اللغوية المستعملة[6] وقد جاء تأكيد حلقة براغ على دور الوظيفة وأهميتها في التواصل اللغوي من جهة وفي التحليل اللساني في المستويات اللغوية كافة من جهة ثانية في الأطروحة الثالثة التي تمحورت حول الوظائف اللغوية؛ وفيها تمّ

---

[1] ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص219.

[2] المرجع نفسه، ص 220.

[3] المرجع نفسه، ص 222.

[4] المرجع نفسه، ص 223.

[5] المرجع نفسه، ص 220.

[6] المرجع نفسه، ص 224.

التأكيد على أنّ طبيعة الوظائف اللغوية هي التي تحدّد بنية لسان معيّن صواتيا وصرافيا وتركيبيا ودلاليا، لكن حلقة براغ تنطلق في الواقع منذ الأطروحة الأولى التي حملت عنوان (الإشكالات المنهجية المترتبة عن اعتبار اللسان نسقا) من مفهوم جديد للسان بوصفه نسقا وظيفيا وليس كنسق ثابت كما يظهر من تصوّر سوسير.[1] لذا يتعين أن نراعي في كل تحليل لساني الوظيفة التي يقوم بها اللسان في هذا المستوى أو ذاك والغاية التي يسعى إليها المتكلم، ومن ثمّة فإنّ التحليل اللساني يجب أن يعمل على إبراز الجوانب المرتبطة بوظيفة التواصل، أي ما يجعل من الألسن البشرية أداة للتواصل الفعلي:

-ما موضوع تواصلنا؟

-في أي إطار يتم هذا التواصل؟

-مع من نتواصل؟

-كيف نتواصل؟

-ما الوسائل المستعملة في هذا التواصل؟

تلك بعض الأسئلة التي يتعين إيجاد الأجوبة الملائمة عنها من خلال تحديد المظاهر اللغوية المترتبة عنها في الألسن البشرية.[2]

2 - جهود تروبتسكوي في علم الصِّواتة (الفونولوجيا):

ينطلق تروبتسكوي من تمييز اللسان من الكلام عند سوسير، مرددا " أنّ اللسان نسق لا يوجد إلّا في شعور الأعضاء المنتمين إلى مجموعة لغوية معينة". ويؤكد تروبتسكوي بدوره على علاقة التلازم بين اللسان والكلام. " فاللسان لا يمكنه أن يوجد دون عمليات الكلام الحسية، بحيث تستلزم عملية اللسان وعملية الكلام إحداهما الأخرى، إنّهما مترابطان بكيفية غير قابلة للانفصال". كما تبنت حلقة براغ نظرية

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 224.

[2] المرجع نفسه، ص 225.

العلامة اللغوية كما صاغها سوسير؛ حيث يذهب تروبتسكوي انطلاقا من ثنائية العلامة إلى أنّ الدال والمدلول يدرسهما علمان مختلفان، يختص علم الدلالة بالمدلول، أما الدال فليس شيئا بسيطا كما يوحي بذلك تصور سوسير، بل يمكن تقسيمه إلى مستويين:

أ -الدال على مستوى اللسان

ب - الدال على مستوى الكلام[1]

فدال الكلام تدفق حسي قابل للإدراك عن طريق السمع، لأنه ظاهرة فيزيائية، بينما يتمثل الدال في مستوى اللسان في كونه يصبح مضمونا أو فكرة مجردة تقوم بخلق التنوع في معنى الكلمات، وبعبارة أخرى ينبغي التمييز بين الصوت كمعطى فيزيائي وموضوعي؛ أي بوصفه تمثيلا سمعيا، والصوت كوحدة وظيفية لها دور تلعبه من خلال العلاقات التي تجمعها بغيرها من الصوتات (الفونيمات) داخل نسق محدد، لذا يتحتم وضع علمين، يسمي تروبتسكوي العلم الأول الأصواتية (فونتيك) ويسمي الثاني الصواتة (الفونولوجيا)؛ وتتحدد مهمة الأصواتية في تحديد طبيعة المادة الصوتية المكونة للأصوات وكيفية التلفظ بها، باعتبار الصوت ظاهرة طبيعية معزولة، إنّ الأصواتية علم يهتم بدراسة الوجه المادي لأصوات الألسن البشرية. وهو ليس من اللسانيات ولكنّه من الأدوات المساعدة للصواتة؛ أي دراسة الدال على مستوى اللسان.

وتدرس الصواتة الخصائص الصوتية التي تتضمنها الصوتات وهي خصائص تقوم بتمييز الكلمات بعضها من بعض، ولذلك تهتم بالارتباط القائم بين الاختلافات الصوتية والاختلافات الدلالية[2] فالصواتة بمثابة علم وظائف الوجه الصوتي للسان، ولا يعني أنّ هذين العلمين منفصلان. إذ ليس هناك ما يمنع أن يستفيد كل علم منهما من النتائج المحصَّل عليها في العلم الآخر، فمصطلحات

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 236.

[2] المرجع نفسه، ص 237.

الأصواتية مثل: مهموس/ مجهور/مفخَّم/مرقَّق/ رخو/ شديد، يمكن أن تستغل أيضا في الصواتة.

2 1 الصوتة (الفونيم):

يرجع الفضل في صياغته نظريا وعمليا إلى تروبتسكوي، فالكلمة الواحدة تختلف عن أختها بوجود "شيء ما"[1] يقول تروبتسكوي: " إنّ الفونيم هو وحدة وظيفية قبل كل شيء"(المبادئ، ص 43). ويقول أيضا:" يجب على الباحث الفونولوجي أن لا يعتبر في اللفظ إلا ما يؤدي وظيفة معيّنة في اللسان"(المبادئ، ص 12)[2].

بناء على هذا يرى تروبتسكوي أنّ هناك شيئين أساسيين في طبيعة الصوتة: الوظيفة والتقابل، " ذلك أنّ الصوتة هي أولا شيء وظيفي، ويجب أن تحدّد بالقياس إلى وظيفتها– كما أسلفنا القول–. وهي أيضا: " كل وحدة في تقابل صواتي غير قابلة لأن تنقسم إلى تقابلات صواتية أصغر". فالصوتة عند تروبتسكوي وحلقة براغ وسيلة لتحديد (هوية) الأصوات وبدائلها (متغيراتها– لُوِيُناتها) [3] Variante

من هذا المنطلق اهتم تروبتسكوي بالعلاقات الاستبدالية بين الفونيمات؛أي بطبيعة التقابل بين الفونيمات في نقطة معينة من التركيب بدلا من العلاقات الركنية التي تحدد كيفية تنظيم الفونيمات في وحدات اللغة، وقد اهتدى إلى وضع أربع قواعد أساسية هي:

–القاعدة الأولى:

" إذا ظهر صوتان من اللسان نفسه في الجوار الصوتي نفسه، وإذا كان بالإمكان تعويض أحدهما بالآخر دون أن ينتج عن ذلك اختلاف في الدلالة الفكرية للكلمة، فإنّ هذين الصوتين ليسا سوى بديلين لصوتة واحدة"، مثاله: صوت

---

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 239.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، الباب الثاني في المذاهب والنظريات اللسانية الحديثة، ص 10

[3] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 242.

القاف في كلمة (قال) في اللهجة المغربية، والجزائرية (منطقة تلمسان) تنطق : /قال/ و /آل/ بحسب الأفراد[1]

-القاعدة الثانية:

" إذا ظهر صوتان في الموقع الصوتي نفسه، ولا يمكن تعويض أحدهما بالآخر دون تغيير دلالة الكلمات، أو دون أن تصبح الكلمة غير متعرف عليها، فإنّ هذين الصوتين إنجازان لفونيمين مختلفين". مثاله: سال/ صال.

-القاعدة الثالثة:

إذا كان صوتان في لسان معين متقاربين سمعيا ونطقا، ولا يمكنهما أن يقعا أبدا في الجوار الصوتي نفسه، فإنّهما يعتبران بديلين توليفين للصوتة نفسها. ومثاله ما يلاحظ بشان صوت (الباء). " فالباء صوت شفوي انفجاري مجهور، وليس للباء نظير مهموس في اللغة العربية (...) ولكن قد يحدث أن يهمس الباء العربيّ في بعض مواقعه كالباء في نحو "كتاب" (بسكون الباء) وفي هذه الحالة يصحب الإهماس عدم انفجار كامل، ولعل هذا أحد الأسباب التي من أجلها نصّ العرب على وجوب تحريك الباء بصويْت إذا كانت ساكنة حتّى يتحقق الانفجار التام"[2]

-القاعدة الرابعة:

لا يمكن اعتبار صوتين تنطبق عليهما القاعدة الثالثة بديلين للصوتة نفسها، إذا كان من الممكن أن يوجد أحدهما تاليا للآخر. وبعبارة أخرى إذا كانا طرفي مجموعة صوتية، وحيث واحد من الصوتين يظهر أيضا منعزلا. ومثال هذه القاعدة أنّ (r) تقع في الإنجليزية قبل العلل، في حين أنّ(∂) لا تقع في هذا الموقع، على الرغم من هذا الموقع المعني فإنّهما لا يمكن اعتبارهما تنوعات تكاملية (بديلين توليفيين)، لأنّه

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 242.(بتصرف)

[2] كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000، ص 101. نقلا عن: مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 243.

في كلمة مثل profession الـ (r) و(∂) يقعان متتابعين، ولأنّه توجد كلمات أخرى حيث تقع(∂) موقع منفصل في البيئة نفسها (الجوار) كما في perfection

تبعا لهذا تمتلك كل صوتة سمات وظيفية خاصة بها، تسمح لها بأن تقوم بوظيفة معينة داخل سياق الكلمة، إنّها تميّز بين معاني الكلمات، وهي الملامح التي سمتها حلقة براغ بالسمات المميزة (traits distinctifs). إنّ مفهوم الملاءمة la pertinence يسمح بالتمييز بين ما هو أساسي وما هو ثانوي، فما يكون ملائما هو كل ما يؤدي إلى تغيير في وظيفة الوحدات من خلال تغيير معنى الإرسالية اللغوية، ومن ثمّة يكون لها دور في عملية التواصل.[1]

2 2 التقابلات الصواتية(الفونولوجية):

يضيف تروبتسكوي إلى مبدإ الوظيفة (أو السمات التمييزية) مبدأ ثانيا هو مبدأ التقابل(opposition) الذي يترتب عن المبدأ الأول وينطلق تروبتسكوي في هذا الشأن من قولة سوسير المشهورة (ليس في اللسان إلّا الاختلاف) وتستلزم فكرة الاختلاف فكرة التقابل، وينتج عن كل تقابل بين وحدتين مختلفتين تغيير في معاني الكلمات داخل لسان معين، يسمى تقابلا صواتيا أو تقابلا صواتيا تمييزيا.[2]

إن التقابل بين الصوتين /ر/ و/غ/ في /راب/ و/غاب/ تقابل صواتي مميز، ويتم هذا التقابل على أساس قابلية الإبدال حيث نستبدل الراء بالغين فنحصل على وحدة جديدة (معنى جديد).[3]

وفي مجال الصواتة حدّد تروبتسكوي مجموعة من التقابلات التي أثبتت فعاليتها في التحليل الصواتي البنيوي باعتبارها تساعد على تحديد الصوتات بكيفية نسقية، وهو هدف الدراسات الصواتية البنيوية ونذكر من هذه التقابلات:

---

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 244.

[2] المرجع نفسه، ص ص 244- 245.

[3] المرجع نفسه، ص 245.

2-2-1- **التقابلات الثنائية:** حيث تشترك بعض الأزواج الصوتية في أكبر عدد ممكن من السمات مقارنة بغيرها من الأزواج الصوتية، فالتقابل بين /ك/ و/ح/ يكشف اشتراكهما في السمات التالية: + فموي، + طبقي، + مهموس. وكلما ازدادت السمات الجامعة بينهما كلما كانت العلاقة بينهما أكثر متانة[1]

2 2 2- **التقابلات المتعددة الجوانب:** تهم صوتتين وتقوم على أساس سمات مشتركة ضئيلة، فالزوجان /و/-/ي/ أو /a/- /i/ لا يشتركان في شيء سوى كونهما من الصوائت.

2 2 3- **التقابلات المتناسبة:** وذلك إذا كانت السمة المميزة نفسها موجودة في صوتات أخرى. فسمة الجهر سمة مميزة ليس فحسب بين /p/-/ b/، بل بين أزواج أخرى مثل: / t/_/d/ و /k/-/g/. ونجد في العربية أن التقابل بين /ت/ و/د/ هو الذي يوجد بين /ز/ و/س/ و/ع/و/ح/.

2 2 4- **التقابلات المنعزلة:** وهي التي لا تخضع لنموذج مشترك، والتقابل بين /ر/ و/ل/ تقابل منعزل، إذ لا يوجد في اللغة ما يمكن أن يشترك معهما في هذا التقابل

2 2 5- **التقابلات السالبة:** وتقوم بتمييز وحدة عن أخرى حيث تكون إحدى الوحدات موسومة (معلَّمة) والأخرى لا موسومة. أي إن إحدى الصوتتين تتضمن سمة صوتية غير موجودة في الوحدة الأخرى. ومثال ذلك التقابل الحاصل بين: س/ز. و: د/ت. و: ث/ذ.

2 2 6- **التقابلات المتكافئة:** وهي القائمة على سمة مميزة توجد في عنصر ولا توجد في العنصر الآخر، ولكن هذه السمة لا تعطي أيّ امتياز للوحدة المستبدلة كالتقابل الصوتي بين: /p / و /t/ و/k/ وبين /م/ و/ع/ وبين /ب/ و/خ/.

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 246.

2 2 7 التقابلات الثابتة

2 2 8 **التقابلات القابلة للحذف**[1]

2 2 9 **التقابلات المتدرجة:** وهي التي يتدرج أعضاؤها في نفس السمة كما هي الحال في الفرنسية بالنسبة للصوائت التالية: i و é و é التي تتدرج في الانفراج، أما في العربية فنجد بين الضمة والكسرة تقابلا سالبا فقط، إذ ليس هناك عضو ثالث يندرج معهما في الأساس المشترك

أما التقابلات التي ليس لها أي وظيفة تمييزية –لا يترتب عنها تغيير في المعنى– فتعتبر بدائل توليفية كما هو الشأن في بعض التقابلات الصوتية بين (السين) و (الصاد) و(الزاي) في هذا المثال من اللسان العربي: السراط/ الزراط/الصراط. بحسب بعض القراءات القرآنية. أو بين: /ق/و /آ/ في الكلمات: قال–آل.[2]

3 – جهود جاكبسون في علم الصّواتة (الفونولوجيا):

يعرف رومان جاكبسون باهتمامه بالشعرية من جهة، وبالنحو الكلي من جهة ثانية. فعلى مستوى الشعرية، فقد ربط اللغة بستة عناصر هي: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والمرجع، والقناة، والسَّنَن. وحدّد لكل عنصر وظيفة معينة. وبالتالي فقد تحدث عن أدبية الأدب، والقيمة المهيمنة في تصنيف الأجناس والأنواع الأدبية. كما تحدث عن تطور الأنساق الأدبية الشكلية، وتعمق في دراسة الشعر في ضوء عناصره البنيوية، سواء أكانت صوتية أم صرفية أم إيقاعية أم تركيبية أم دلالية أم بلاغية، ضمن المحورين الاستبدالي والتركيبي[3]

ومن الناحية اللسانية، فقد أرسى رومان جاكبسون نحوا كليا في مجال الفونولوجيا. بمعنى أن جميع اللغات يمكن تحليلها "انطلاقا من مقاييس موحدة (معيارية). وهذه النظرية التي طبقها جاكبسون في الفونولوجيا، والتي سيطبقها تشومسكي فيما بعد

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 247.

[2] المرجع نفسه، ص 248.

[3] جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن، ص47.

على التركيب، أتاحت له إبداع نظرية أخرى تعرف بنظرية (**السمات المميزة**)، وكان له بذلك دور حاسم في إعادة توجيه مجرى اللسانيات في الولايات المتحدة. فقد ظل الوصفيون الأمريكيون، قبل مجيء جاكبسون، يشتغلون ضمن فلسفة النسبية؛ إذ طالما اعتقدوا أنّ اللغات قد تختلف بعضها عن بعض إلى ما لانهاية. وقد كانوا يعتقدون أنّ لكل لغة هيكلها الذي يميزها عن غيرها، أما جاكبسون فكان يؤمن أنّ اللغات قد تختلف فيما بينها فعلا، ولكن ضمن حدود معينة؛ بحيث تجمعها خواص هي ما أطلق عليه "النحو الكلي"، فقد نتحدث لغات مختلفة، بل قد نستعمل في كلامنا أصواتا متنوعة؛ مثل: الخاء التي توجد في بعض اللغات، وتفتقدها لغات أخرى، لكن نجد السمات ذاتها فيها جميعا، مثل: [حلقي]، و [رخو]، و[شديد] (...) إذاً تختلف اللغات حقا، غير أنّها في هذه الحالة بمثابة يد واحدة تتفرع إلى أصابع. وتلك هي فرضية النحو الكلي."[1]

وإذا كان البنيويون التوزيعيون الأمريكيون يربطون اللغة بالحضارة التي نشأت فيها، فإنّ تشومسكي يربطها بالدماغ النفسي؛ لأنّ الناس يتفقون في السمات المميزة للأصوات؛ وهذه الأصوات لها ارتباط بالجهاز الصوتي والنفسي. أي: إنّ رومان جاكبسون يستدل بحجة أخرى على النحو الكلي. "فعلى عكس البنيويين الأمريكيين السابقين لجاكبسون، وهم الذين كانوا يربطون كل لغة بحضارتها الخاصة (كما جاء في فرضية سابير وورف)، ويطبعونها بطابع اجتماعي، نجد جاكبسون يعتقد غير ذلك. فاللغة بالنسبة إليه، لها علاقة بالنفس / الدماغ. إذ لا يتوقف الأمر عند حقيقة أننا نتشارك في تلك السمات؛ مثل: [شفوي]، و[رخو]...الخ التي تبين وجود تشابه في النطق مخرجا وصفة، بل يتعداه لإثبات غاية أهم من ذلك. لقد أراد جاكبسون أن يوضح ما وراء المجرى الصوتي إلى حيث الدماغ. فالصفات المميزة (المقدرة ببضع عشرة) لها حقيقة نفسية، وهي متماثلة عند بني الإنسان جميعهم.[2]

---

[1] ابن رشد المعتمد ومحمد خريص، مدارس علم اللغات، المكتبة الثقافية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993، ص 56. نقلا عن: جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن، ص48.

[2] جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن، ص48.

إنّ الدماغ البشري هو ذاته بالنسبة لجميع البشر، ولهذه الحقيقة دلالات تتعلق بلغة الطفل. فإذا أخذنا طفلا مغربيا إلى الصين، فإنّه يكتسب الصينية دون أدنى صعوبة في بضع سنوات، شرط ألّا يتجاوز عمره ما يعرف في اللسانيات بـ"مرحلة الليونة"، تماما كما لو فعلنا ذلك بطفل صيني، وذهبنا به إلى إنجلترا، فإنه يكتسب اللغة الإنجليزية كأنّها لغة أمه."[1]

هذا وقد أوجد جاكبسون مجموعة من السمات المميزة والأوصاف المحددة للفونيمات، بغية التمييز بينها صوتيا ودلاليا. ومن قبل كان اللسانيون يشتغلون على الفونيم ضمن اللغة المجردة. في حين انصب اهتمام جاكبسون على المميّز. بمعنى إذا كان الفونيم هو أصغر وحدة عند اللسانيين، فإن جاكبسون يقسم هذا الفونيم إلى أصغر من ذلك. أي: إلى مجموعة من السمات والقيم الخِلافية.

هذا وقد وضع جاكبسون نظاما من اثنتي عشرة خاصية صوتية وتنغيمية تطبق على الصوامت والصوائت، إن تلفظا وإن سمعا؛ بحيث ميّز بين مجموعة من السمات المميزة؛ مثل: صامت/ صائت، ومجهور/ مهموس، ونهائي/ لانهائي، وانفجاري/ غير انفجاري، وهادئ/ حادّ، وممتد/ باهت.

وفي العربية، يمكن الحديث عن مجموعة من السمات المميزة: (صائت/ صامت)، و(مهموس/ مجهور)، و(شديد/ رخو)، و(مائع/ متوسِّط)، و(تكراري/شفوي)، و(لثوي/ غاري)، و (طبقي/ حلقي)، و(حنجري/ لهوي) ...الخ.

وعلى العموم فقد كانت جهود رومان جاكبسون اللسانية متميزة وواضحة بشكل كبير، فقد ترك تأثيرا ملحوظا في لسانيات القرن العشرين، وخاصة في مجال الفونولوجيا. ويمكن حصر اهتماماته اللسانية الأخرى في دراسة الأفازيا، والعناية بالتصنيف اللساني، والاهتمام بالسمات المميزة للأصوات والفونيمات.[2]

---

[1] ابن رشد المعتمد ومحمد خريص، مدارس علم اللغات، ص 56. نقلا عن: جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن، ص:57.

[2] جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن، ص49.

المحاضرة رقم (06): مدرسة كوبنهاغن (الغلوسيماتيّة)

تمهيد:

لقد حاولت الغلوسيماتية خلال فترة ظهورها (1931-1943) أن تحقق التميز؛ وذلك بأخذها ممّا كان سائدا من نظريات وتصورات علمية، ولعل من أبرز التصورات العلمية التي ارتكز عليها هلمسليف هي:

1 -ما جاءت به الوضعية المنطقية من أفكار أذاعها رواد (حلقة فيينا)، ومن أبرز الأفكار: أنّ العلم لا يمكنه أن يحقق التقدم والاستمرارية في بناء صرحه بالموضوعية والدقة إلّا بأمرين:

أ -تجنب الميتافيزيقا وكل الفلسفات التأملية

ب - ضرورة توظيف لغة علمية متطورة وصارمة بحيث تكون خالية من كل الأوهام الفلسفية؛ وهي لغة المنطق الرياضي المجردة[1]

2 -الاعتماد على أفكار فردينان دي سوسير اللسانية وأهمها: اللغة نسق من العلامات مجرد، وتحليل اللغة تحليلا نسقيا[2]

1- في التكوين والتسمية:

تأسست الغلوسيماتيّة la glossématique سنة 1931، وهي الحلقة اللسانية التي اتخذت من كوبنهاغن مقرا لها، وكانت في بداية الأمر تتكون من مجموعتين:

- مجموعة تهتم بالدراسات النحوية؛
- مجموعة تهتم بالدراسات الصوتية.

كان" لويس ترول هلمسليف"*(1899- 1965) مشرفا على المجموعة الصوتية، وقد أطلق عليها "الفونيماتية" Phonématique، بينما أشرف" فيغو بروندال"

[1] ابن شماني محمد، النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2014-2015، ص 78.

[2] المرجع نفسه، ص 79.

(1887- 1942) على المجموعة النحوية، وانضم إلى الحلقة أيضا "يولدال" (1908- 1957) و"توجيبي" (1918- 1974) وغيرهما. وأنشأت الحلقة دورية تحمل عنوان Acta linguistica صدر منها العدد الأول سنة 1939. وقد جاء في افتتاحية هذ االعدد أنّ هدف الدورية نشر الأبحاث اللسانية من منظور بنيوي، أي تلك التي تنظر إلى اللسان في كليّته ووحدته، وتناقش القضايا الجوهرية في اللسانيات البنيويّة وتواكب تطورها، كما اعتبرت الدورية نفسها مجالا علميا لتعاون لسانيي العالم الذين يشتركون في مبادئ البحث اللساني البنيوي[1]

عرّفت حلقة كوبنهاغن بأولى تصوّراتها اللسانية ابتداء من 1936 خلال المؤتمر الدولي للعلوم الصوتية المنعقد بلندن، الذي قدّم فيه هلمسليف بحثا بعنوان" Outline of glossematics كشف فيه عن نظرية لسانية جديدة أطلق عليها الغلوسيماتيّة، تتعلق بدراسة الصوتات، وحدّد فيها البرامج والأهداف التي وضعتها الحلقة لمعالجة القضايا اللغوية، ومنذ هذا البحث أصبح مصطلح الغلوسيماتيّة ملازما لحلقة كوبنهاغن اللسانية بصفة عامة، ولرائدها هلمسليف بصفة خاصة.

وتمّ اختيار اسم الغلوسيماتيّة glossématique من glossem (ومعناها لغة في اللاتنية)* لتمييز المقاربة اللسانية الجديدة عمّا كان أعضاء الحلقة يسمونه "اللسانيات التقليدية" linguistique classique وتبيان مدى اختلافها عن اللسانيات السابقة واستقلالها عن مبدأ المادة substanceالخارج- لغوية، ويقصدون بها اللسانيات

---

* لويس ترول هلمسليف: ابن أستاذ في الرياضيات، وله تكوين متين في المنطق الصوري القديم والحديث وخاصة المنطق الصوري لكرناب، أخذ اللسانيات عن أستاذه بردسون، وهو من أتباع المدرسة الألمانية (النحاة الجدد)، درس بعد ذلك في مدينة براغ سنة 1923، وتابع بعدها دروس الأستاذ الفرنسي (مايي) سنة 1926، وقد كان نجاح حلقة براغ أهمّ الحوافز التي دفعت به إلى تأسيس حلقة لسانية مماثلة بمعية (بروندال) سمياها حلقة كوبنهاغن سنة 1931. ينظر: عز الدين مجدوب، المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، ص ص 50-51.

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 255.

* تهتم الغلوسيماتيك بدراسة الغلوسيمات؛ أي الوحدات النحوية الصغرى التي لا تقبل التجزئة، وتنقسم بدورها إلى قسمين: وحدات التعبير وتدعى (سوانم) ووحدات المحتوى وتدعى (مضامين). ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 160.

المقارنة التاريخية التي أوصلت اللسانيات إلى الطريق المسدود، وكانت في نظرتهم متعالية عن موضوعها الحقيقي من جهة؛ نظرا لعنايتها بقضايا خارجة عن اللغة نفسها، ومن جهة ثانية لما لاحظوه من استعمال اعتباطي وغير دقيق للفظ اللسانيات[1]

دعا هلمسليف في جل كتاباته إلى مقاربة لسانية جديدة تهدف إلى بناء لسانيات جديدة تقوم على أسس نظرية ومنهجية ذات مواصفات ومقاييس تطابق نظيراتها في مجال العلوم الدقيقة، وسعت الغلوسيماتية إلى بعث روح جديدة في الدراسات اللسانية التي كان أعضاء الحلقة يصفونها باللسانيات التقليدية، فالمقاربات اللسانية التي سبقت الغلوسيماتية استهدفت أشياء أخرى غير دراسة اللسان في حد ذاته ومن أجل ذاته، إن تحديد طبيعة اللسان ومعرفة بنيته الداخلية لم يكونا قط موضوع اهتمام اللسانيات المقارنة والتاريخية التي كان هدفها بالأساس البحث في القرابة التكوُّنية والتسلسل التاريخيّ للألسن المدروسة.[2]

إنّ الدراسات اللغوية قبل سوسير لم تكن تدرس اللسان بذاته ولذاته، وإنما تناولته كوسيلة لغايات معرفية وثقافية عامة، في علاقاته المختلفة بالإنسان في أبعاده المتعدّدة، من تاريخ وعلم نفس وعلم انثروبولوجيا، وهيكلها علوم بعيدة عن اللسانيات، بينما يتطلب الأمر في نظر الغلوسيماتيّة أن نضع حدّا نهائيا لهذا التداخل غير الواضح المعالم بين العلوم والمعارف المهتمة باللسان، ونجعل من اللسانيات علما قائم الذات، موضوعه اللسان في ذاته ومن أجل ذاته، وذلك بالعودة إلى بنيته الداخلية وهو ما أسماه هلمسليف باللسانيات المحايثة وتقابل اللسانيات التقليدية أو كما يسميها بالمتعالية أيضا، لأنّها تتعالى عن موضوعها اللسان مكتفية بدراسة جوانب خارجة عن اللسان وعن بنيته الداخلية[3]

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 256.

[2] المرجع نفسه، ص 259.

[3] المرجع نفسه، ص 259.

2- فحوى النظرية:

تعنى هذه النظرية بوصف الظواهر اللغوية وتحليلها وتفسيرها بطريقة موضوعية. يقول هلمسليف:" إنّها تهدف إلى إرساء منهج إجرائي يمكّن من فهم كل النصوص من خلال الوصف المنسجم والشامل" [1]

من هذا المنطلق يرى هلمسليف أنّ نظريته ما هي إلّا امتداد طبيعي لنظرية دوسوسير وبلورتها في قالب علمي، وبالفعل فقد نادى هلمسليف بما نادى به دوسوسير من قبل: وهو أنّ اللغة شكل وليست مادة، وأنّ المادة ليس لها معنى في ذاتها، ويمكن أن تكون صوتية أو مكتوبة أو إشاراتية بالنسبة للدوال، أما بالنسبة للمدلولات فقد ذهب أبعد من دوسوسير وأعلن أنّ القيّم المجردة للعبارات هي وحدها التي لها وجود، وبهذا فإنّ اللّغة نظام من القيّم، وإنّ مفتاح تحليل هذا الشكل هو اللسانيات المحايثة"[2]

بناء على هذا تمثّل هلمسليف تصورات دوسوسير وآراءه الواردة في كتابه "دروس في اللسانيات العامة" موليا إياها عناية كبيرة خاصة ما تعلق بالثنائيات، حيث أعاد صياغتها صياغة جديدة، وذلك وفق النحو الآتي :

- **ثنائية التعبير / المحتوى:**

استبدل هلمسليف ثنائية الدال والمدلول بثنائية مستوى التعبير ومستوى المحتوى وأكد أن اللغة تتكون من هذين المستويين اللذين تجمعهما علاقة تدعى العلامة اللغوية وكل مستوى يخضع بدوره إلى ثنائية أخرى، هي ثنائية الشكل والمادة، وتنتج عن هذه التعالقات أربع طبقات منطقية هي:

أ- مادة المحتوى (الأفكار)

ب- شكل المحتوى (البنية التركيبية والمعجمية)

ت- شكل التعبير (الفونولوجيا)

ث- مادة التعبير (الفونتيك)

---

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 159.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 161.

وعلى هذا الأساس تكون مادة التعبير عبارة عن أصوات خام، ويكون شكل التعبير عبارة عن قوالب تركيبية مختلفة للمادة كالفونيمات والمورفيمات وغيرهما.

وفي حديث لروبينز عن هذه الثنائية يشير: إلى أن مستوى التعبير يتكون من الأصوات اللغوية أو الفونولوجيا ومستوى المحتوى يتكون من الأفكار والدلالة والنحو، ولا بد أن يكون تحليل التعبير مستقلا عن المقاييس الفنوتيكية غير اللغوية، وأن يحلّل إلى مستويات نهائية فكلمة (فرس) تحلّل إلى /ف/ ، /ر/، /س/ على مستوى التعبير وإلى: خيل، أنثى،على مستوى المحتوى.[1]

- **ثنائية لسان/ استعمال:**

يرى هلمسليف أن مفهوم اللسان في علاقته بالكلام عند دوسوسير ليس متجانسا، بل يكشف عن تداخل ثلاثة مستويات هي:

- اللسان الخُطاطة؛
- اللسان الاستعمال؛
- اللسان المعيار.

فمستوى اللسان الخُطاطة أو المنوال أو الهيكل: هو نسق من القواعد المجردة التي يسير عليها في مستوياته المختلفة، بصرف النظر عن أي استعمال.

أما مستوى اللسان الاستعمال: فهو عبارة عن مجموعة بسيطة من العادات اللغوية التي يتبناها المجتمع المتكلم في استعمال قواعد لسانه.

أما مستوى المعيار فيحدده استعمال الأفراد المتكلمين اللسان في صورته الخالصة أو الخطاطة. إذ إنّ المتكلمين يخرجون اللسان من صورة خالصة إلى صورة مادية يمكن ملاحظتها عبر ما يتركه اتباع قواعد اللسان من آثار مادية ملموسة.[2]

ويملك الكلام بدوره خصائص ينفرد بها مقابل خصائص اللسان التي سبق ذكرها، وهي:

---

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 162.

[2] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص ص 267-268.

- الكلام تنفيذ حر وليس مؤسسة؛
- الكلام فردي وليس جماعيا؛
- الكلام عملية دينامية وليست جامدة[1].

3- **المبادئ العامة للغلوسيماتيك:** تتمثل في:

- مبدأ التجريبية
- مبدأ الإحكام والملائمة.[2]

- **محصول الحديث:** يمكن القول إنّ النظرية الغلوسيماتية:
- هدفها الأسمى هو إرساء قواعد كلية (universel grammaire)[3]
- انطلقت من مسلمات المنطق الصوري؛
- تميزت عن باقي النظريات الأخرى باستخدام الجبر والرياضيات بصورة مبالغ فيها.[4]
- تنطلق في التحليل من الكل إلى الجزء تبعا لمنهجها الاستنباطي، بعكس ما كان سائدا لدى جل اللسانيين قبل الغلوسيماتية؛ فتبدأ بالوحدات الكبرى ثمّ الصغرى فالأصغر منها[5]

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 272.

[2] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 163.

[3] المرجع نفسه، ص 167.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 168.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص 167.

-توطئة:

المطلع على الدراسات والنظريات اللسانية الحديثة يلفي تناقضات كبيرة بين أصحاب الاتجاهات المختلفة، مرد ذلك كون اللسانيات بصفة عامة علما حديث النشأة، إذ لم يصل إلى مصاف العلوم الأخرى، الإنسانية منها أو الدقيقة.

وتعتبر الأفكار التي جاء بها اللساني السويسري فردينان دي سوسير قاعدة لأغلب الدراسات والبحوث اللسانية التي تلت نشر كتابه الشهير "محاضرات في اللسانيات العامة cours de linguistique générale " داعيا من خلاله إلى دراسة اللغة وفق المنهج البنيوي والاستعانة بالعلوم الدقيقة والتطور الذي وصلت إليه.

وقد سار في ركاب هذا المنحى العديد من اللسانيّين الأوربيّين والأمريكيّين، الذين انقسموا إلى فريقين متباينين، فريق مقلد اجتر أراء دي سوسير في قالب آخر وفريق مجدّد جعل من مبادئ دي سوسير منطلقا لنظريات جديدة وفق منظوره الخاص، ومن بين المجدّدين الفرنسي أندري مارتيني الذي يعد رأس الاتجاه الوظيفي.

أولا: اندريه مارتيني André martinet

ولد مارتيني عام 1908، درس في السوربون، ثم في برلين، شغل منصب أستاذ في كلية الدراسات العليا في باريس، وانتقل إلى كلومبيا في نيويورك ليشغل منصب أستاذ اللسانيات العامة، ورئيس قسم اللغويات سنة 1947، وعاد في 1955 إلى المعهد الذي كان يدرس فيه في باريس، كما كان عضوا في الأكاديمية الدانمركية والفرنسية، ومهما يكن فإنّ مارتيني قد تأثر بشكل كبير بالتفكير البراغي – الحلقة اللسانية لبراغ CLP– في مرحلة مبكرة جدا على الرغم من أنّه لم يعش في براغ، توفي عام1999[1]

[1] أحمد عزوز، المدارس اللسانية أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، دار الرضوان، وهران، ط2، د ت، ص 151.

له ما يقارب العشرين مؤلفا كلها في اللسانيات، منها ما أحدث ثورة في هذا المجال ومنحه شهرة عالمية خصوصا ما قام به في أواسط القرن الماضي، حيث أطلق أندريه مارتينيه نظرية "الوظيفية" في اللغة وطوّر مبادئها، مشدّداً في مجمل طروحاته على مسلمة أساسية مفادها أنّ النظرية اللسانية ينبغي على الدوام ألاّ تحوِّر بأيّ شكل كان الحقيقة اللغوية. هذه المسلمة شكلت حجر الرحى في نظريته المعروفة، وتمحورت حولها أغلب كتاباته ومؤلفاته. وفي حقبة الخمسينيات، عمّق مارتيني تفكيره حول موضوع التطور الصوتي الذي أوصله فيما بعد إلى نشر مؤلّف حول علم الأصوات التاريخي بعنوان اقتصاد التغيّرات الصوتية économie des changements phonétiques وقد استعمل في هذا المؤلّف – ودون أن يردّ أبحاث علماء فقه اللّغة الأكثر تقليدية– كل المعطيات التي تراكمت بأناة من قبل هؤلاء، وذلك بعد توضيحها وترتيبها في ضوء نظريته الفونولوجية. وقد أدّى نشر هذا المؤلف في العام 1955 إلى حصوله على شهرة عالمية[1]

لكنّنا سنركز في بحثنا هذا على ما أورده مارتيني من أفكار أساسية فيما يخص قضية التمفصل المزدوج التي نشرها وأوضح أسسها في كتابه الموسوم بعناصر اللسانيات العامة éléments de linguistique générale.

ثانيا: اللغة عند مارتيني

يعرف مارتيني اللغة في كتابه – عناصر اللسانيات العامة– éléments de linguistique générale – بقوله:

« Une langue est un instrument de communication selon lequel l'expérience humaine s'analyse, différemment dans chaque communauté (…), en unités douées d'un contenu sémantique et d'une expression phonique: les monèmes;

[1] نادر سراج، "مبدأ الاقتصاد بين النظرية اللسانية والحقيقة اللغوية"، جريدة المستقبل،بيروت، لبنان، الأحد 5 سبتمبر 2005.

cette expression phonique s'articule à son tour en unités distinctives et successives, les phonèmes, en nombre déterminé dans chaque langue, dont la nature et les rapports mutuels diffèrent eux aussi d'une langue à l'autre. »[1]

من هذا التعريف وما قبله يمكن القول بأن مارتيني يعتبر اللغة نتاجا إنسانيا ووسيلة ناجعة للتواصل بين الأفراد والمجموعات، ويعترف باختلافها من جماعة إلى أخرى، إلّا أنّها تلتقي جميعها في وظيفتها الأساسية المنوطة بها ألا وهي التواصل، وإن كان قد أشار إلى وظائف أخرى اعتبرها ثانوية، ثم أكد أنّ اللّغة بنية يستعملها الإنسان ليترجم بها خبراته وواقعه ويسعى بها إلى تلبية حاجات التواصل دون أن ينفي عنها التطور عبر الزمن، ومن هنا يطرح مارتيني دراسة بنية اللغة في إطار الوظائف الكفيلة بها، وذلك للوقوف على آليات عملها وكيفية نقلها للتجارب والخبرات الإنسانية، ثم يعرج –في تحليله وتعريفه للغة الإنسانية عموما– بأنّها تملك خاصية التمفصل التي تسمح بتجزئة المتوالية اللّغوية إلى وحدات ذات محتوى دلالي وصورة صوتية (المونيمات)، وهذه الوحدات هي الأخرى تتكون من وحدات محددة، متوالية تسمى (الفونيمات) ذات عدد محدود في كل لغة، حيث تختلف في طبيعتها وعلاقتها بعضها ببعض من لغة إلى أخرى.

ثالثا: التمفصل المزدوج la double articulation

تجدر الإشارة إلى أن مصطلح التمفصل اللّغوي بصفة عامة؛ أي ظاهرة تمفصل اللّغة إلى مستويات، لم تظهر عند مارتيني أوّل الأمر، فقد نصّ أرسطو بأنّ الصوت اللّغوي البشري يتميّز عن صوت الحيوان، كونه قابلا للتمفصل، كما أنّ دي سوسير

[1] André martinet, élément de linguistique générale, nouvelle édition remaniée et mise à jour, éd.– Armand colin, Paris, p20

أشار إلى الأمر، مؤكدا أنّ الكلام يمكن تجزئته إلى مجموعة من المقاطع[1] فمارتيني – إذن– لم ينطلق من فراغ ولم يدّع ذلك، بل استفاد ممّن سبقه خصوصا محاضرات دي سوسير، فهو متأثر بالمنهج البنيوي في تحليله للظواهر اللغوية، وبالتركيز على هذه الخاصية صاغ نظرية لسانية أثبتت نجاعتها في التعامل مع هذه الظواهر، وهو ما يتجلى في قوله –في الفصل الأول من كتابه– معلّلا التمفصل المزدوج:

"On entend souvent dire que le langage humain est articulé(…) il convient toutefois de préciser cette notion d'articulation du langage et de noter qu'elle se manifeste sur deux plans différents…"[2]

مما سبق يمكن القول بأن مارتيني اعتبر أن ظاهرة التمفصل معلومة عند الأغلبية، ثم حدّد نوعية هذا التمفصل، وكيف يكون، حيث يضيف بأنّه يكون على مستويين. ومحاولة منا لتقريب الصورة نقوم بتشبيه اللّغة بالجسد؛ الذي يقسّم إلى أعضاء بحسب المفاصل وذلك على مستويات، مثلا المستوى الأول يجزأ الجسد إلى رأس، جذع، يدين، ورجلين، أمّا المستوى الثاني فيمكن تقسيم الرجل –مثلا– بحسب المفاصل إلى فخذ، ساق ، قدم.

ثمّ إنّه بالرغم من أنّ الترجمة يشوبها نوع من اللّامصداقية؛ فضلنا مصطلح التمفصل عن مصطلح التقطيع، فهو بحسبنا أقرب إلى المصطلح الفرنسي articulation.

وعودا على بدء نؤكد أنّ مارتيني اعتبر ظاهرة التمفصل ظاهرة عامة تخص جميع اللّغات دون استثناء فهي خاصية إنسانية، كما تجدر الإشارة أيضا إلى أنّ هذا المفهوم من المبادئ الأساسية التي بنى عليها فرضياته ومن ثم نظرياته اللسانية، وهو صاحب الفضل في تحديده وتوضيح أبعاده ومستوياته، وفي كل هذا مراد مارتيني من التمفصل المزدوج؛ أنّ اللغة تتمفصل إلى وحدات دلالية صغرى تسمى

[1] ينظر: محمد الفتحي، "انتظام مستويات اللغة في اللسانيات البنيوية"، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد 11، المجلد الثالث، شتاء 2015، ص70

[2] André martinet, éléments de linguistique générale, p13

(مونيمات) تحمل صورة صوتية (دال) وأخرى دلالية معيّنة (مدلول)، وهي تشكل التمفصل الأول، ثمّ التمفصل الثاني المتمثل في تمفصل المونيمات إلى وحدات مميّزة لها دون أن تحمل دلالة تسمى الفونيمات، وهو ما نبسط فيه اليد وفق النحو الآتي:

1. التمفصل الأول la première articulation:

يعرف مارتيني التمفصل الأول بقوله:

"La première articulation du langage est celle selon laquelle tout fait d'expérience à transmettre(...) s'analysent en une suite d'unités douées chacune d'une forme vocale et d'un sens".[1]

وبذلك يكون التمفصل الأول هو الذي يقوم على أنّ كل ظاهرة من ظواهر التجربة البشرية التي نريد تبليغها، تحلل إلى متوالية من الوحدات، لكل منها صورة صوتية ودلالة، حيث يمثّل مارتيني لذلك عن طريق التفريق بين تبليغ الشعور بألم في الرأس بالصراخ؛ الذي يعتبره غير كاف لجعله تبليغا لسانيا[2] فالصراخ غير قابل للتحليل، خلاف التلفظ بجملة j'ai mal à la tête التي يمكن تحليلها إلى وحدات ذات دلالة توظف في سياقات أخرى لتبليغ تجارب مختلفة، مثلا استعمال الوحدة mal في سياق آخر كأن تقول il fait le mal ومن هنا أسس مارتيني –بهذا التحليل– لنظرية الاقتصاد اللغوي، أي إيصال أكبر عدد من الخبرات باعتماد أدنى مجهود، وهو ما تيسره وتساعد على تحقيقه ميزة التمفصل التي تنفرد بها اللّغة، إذ إن مجموعة محدودة من الفونيمات تجعلنا قادرين على إنتاج عدد هائل من المونيمات، التي بدورها تعطينا القدرة على إنتاج عدد غير نهائي من التعابير.

1. التمفصل الثاني la deuxième articulation:

---

[1] Ibid., p13

[2] ينظر: أندري مارتيني، مبادئ اللسانيات العامة، تر: سعدي زبير، دار الآفاق، الجزائر، د ط، د ت، ص18

يضيف مارتيني – في الفصل ذاته– وذلك في معرض شرحه للتمفصل الثاني:

"Chacune de ces unités de première articulation présente(…) un sens et une forme vocale (ou phonique). Elle ne saurait être analyser en unités successives plus petites douées de sens: l'ensemble "tête" veut dire "tête" et l'on ne peut attribuer à te– et à te des sens distincts dont la somme serait équivalente à "tête". Mais la forme vocale est, elle, analysable en une succession d'unités comme "bête", tante ou terre. C'est ce qu'on désignera comme la deuxième articulation du langage"[1].

يحدد مارتيني أنّ المستوى الثاني للتمفصل هو تحليل كلّ وحدة من وحدات المستوى الأول إلى متوالية من الوحدات، لكن هذا التحليل يخص الصورة الصوتية فقط، إذ إنّ وحدات التمفصل الأول هي أصغر وحدات ذات دلالة ولا يمكن تحليلها إلى وحدات متوالية أدنى منها وتحمل دلالة، فوحدة tête إذا تمّ تحليلها إلى te – te فإنّ هذه الوحدات الدنيا لا تحمل دلالة ولكنها متوالية تساهم كل واحدة منها في تميّيز tête عن bête عنTerre ...

مما سبق نستنتج أن مارتيني في تحليله لمستويات التمفصل اعتمد على عملية العزل ومن ثمّ الاستبدال ليتمكن من التعرف إلى الفونيم في السلسلة الكلامية.

وخلاصة القول: استطاع مارتيني أن يبيّن بأنّ أيّ لسان بشري يمكن أن يتمفصل إلى مستويين، الأول يكون إلى وحدات تحمل صورة صوتية ودلالية وهو ما سمّاه "المونيم" والمستوى الثاني يكون بتحليل الصورة الصوتية للمونيم إلى وحدات متوالية مميّزة له عن غيره من المونيمات سمّاها الفونيمات.

[1] André martinet, éléments de linguistique générale, p15

رابعا: التمفصل المزدوج والاقتصاد اللغوي

سبق وأن بيّنا أنّ ظاهرة التمفصل المزدوج هي الأساس الذي أقام عليه مارتيني نظريته التي اشتهر بها، حيث يقول: بأن النظام الذي تمّ عرضه – التمفصل المزدوج– يوجد في كل الألسن التي تم وصفها إلى اليوم، ويظهر أنّ هذا النظام قد فرض نفسه على المجموعات البشرية بصفته الأنسب إلى حاجات الإنسان وإمكانياته، لا شيء غير الاقتصاد –الناجم عن التمفصل المزدوج– يمكّن من الحصول على أداة للتبليغ، أداة ذات استعمال عام وقادرة على إيصال معلومات بمقدار مهول وبجهد زهيد[1]

لو انعدم التمفصل الأول الذي يمثل التجربة في وحدات متوالية لكان وافق كل إرسال لخطاب ضربا معيّنا من التجربة بحيث أيّ تجربة جديدة مفاجئة، يستحيل تبليغها[2]

كما أنّ الاقتصاد الإضافي الذي يعرضه التمفصل الثاني يمكّننا من جعل شكل الدال مستقلا عن طبيعة المدلول – العلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول –كما أنّه يؤمّن كما هائلا من الاتزان في الشكل اللغوي، أي أنّ التمفصل الثاني يضمن العلاقة بين الصورة الصوتية (الدال – signifiant) مع معناها، أي مدلولها الخاص (المدلول– signifie). وفي هذا الموضوع أفرد أندري مارتيني مؤلّفا خاصا تعرض فيه لقضية الاقتصاد اللغوي، وسمه (باقتصاد التغيّرات الصوتية économie des changements phonétiques) الذي يعد أعظم عمل له في الفونولوجيا الزمانية، حيث يقول: لا يمكن أن نحصر معنى الاقتصاد في معنى التقتير parcimonie كما فعل ذلك باسي passy حين قابل كلمة الاقتصاد بكلمة التبذير emphase بل إنّ الاقتصاد يشمل كل شيء، تقليص كل تميّز غير مفيد، وإظهار

[1] أندري مارتيني، مبادئ اللسانيات العامة، تر: سعدي زبير، دار الآفاق، الجزائر، د، ط، د ت، ص21.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

تميّزات جديدة، والإبقاء على الوضع الراهن statu quo فالاقتصاد اللغوي هو التآلف بين كل القوى المتواجدة[1]

كما يرى مارتيني أنّ الانسان يعيش في صراع قائم بين عالمه الداخلي وعالمه الخارجي، فالعالم الخارجي في تطوّر مستمر، ويتطلب ابتكار مفردات جديدة، والطبيعة الإنسانية الداخلية ميّالة إلى الخمول والجمود، واستعمال النزر القليل من المفردات الموجودة حولها، وبالإضافة إلى هذا فإنّ ثمّة صراعا بين حاجيات التواصل التي تؤدي إلى تطوير اللّغة من جهة وخمول الأعضاء ونزوعها إلى الاقتصاد في الجهد الذي تتطلبه عملية التلفظ أو التذكر من جهة أخرى[2]

خامسا: الفونيم والمونيم وتصنيفاتهما

نؤكد مما سبق أنّ قضية التمفصل المزدوج لا يكاد يختلف عليها اثنان بأنها ظاهرة إنسانية عامة في جميع اللّغات، فلا يمكن نفيها أو إسقاطها خصوصا فيما يتعلق بالتمفصل الثاني الخاص بالأصوات والوحدات المحددة، حيث نجد أنّ لكل لسان مجموعة محدودة؛ فالعربية –مثلا– تحتوي على 34 صوتا والفرنسية تملك 36 صوتا والإسبانية لها 27 صوتا...الخ لكن الإشكال يكمن في المفاهيم والتعاريف المختلفة التي أسندت لمصطلحي الفونيم ومن ثم المونيم، لذا فإنّ المطلع على الآراء والتعاريف المختلفة يدرك أنّ مردّ الخلاف هو تنوع أساليب البحث وطرائق المعالجة فالفونيم مثلا يعتبره البعض –بمن فيهم أندري مارتيني– الوحدة الأساسية في التحليل الفونولوجي3 بينما تبنى آخرون التحليل المقطعي.

---

[1] André martinet, économie des changements phonétiques, berne, Franke édition, 1955, p97

[2] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص155

[3] André martinet, éléments de linguistique général, p160

1 ~~الفونيم~~ phonème:

يعرّف مارتيني الفونيم بأنّه عبارة عن أصغر وحدة تمييزية، يمكن التعرف إليه عن طريق العلاقة التي تربطه بالعناصر المجاورة له كما سبق وبيّنا ذلك في المونيمات tête bête... فالفونيم /t/ هو وحدة تمييزية للمونيم tête عن المونيم bête الذي يتميّز هو الآخر بالفونيم /b/ كما ينص مارتيني بأنّ الفونيم يختلف عن الصوت وعن الحرف، وبأنّ الفونيمات فيما بينها تتميّز عن بعضها البعض بما سمّاه la pertinence أي الفونيم المناسب في المكان المناسب ودرجة تأثيره في السلسلة الكلامية، وللتعرف عليه نقوم بعملية العزل والاستبدال؛ التي تتبعها عملية معقدة لتحديد كل فونيم، تلك الوحدة الصوتية الوظيفية الصغرى التي تستمد أهميتها من الوظائف التي تقوم بها الوظيفة التمييزية، التقابلية، التعبيرية[1] ويعطي عن كل وظيفة أمثلة ثمّ يبيّن أنّ الفونيمات يجب دراستها في حيزها الخاص بها فهناك اختلافات لا حصر لها بين اللغات، ومن أمثلة ذلك يقول مارتيني: إنّ الصوت نفسه يمكن أن يعتبر فونيما كونه يملك وظيفة معيّنة في السلسلة الكلامية ويكون صوتا مهملا في لغة أخرى ويذكر أمثلة مختلفة منها الفونيم /r/ في الفرنسية الذي يقابله فونيمين مختلفين تماما في اللغة العربية /غ/ و/ر/ الأمر الذي لا نجده في الفرنسية فالصوتان: /غ/ و /ر/ هما صوتان لفونيم واحد فتوظيف الأول أو الثاني ليس له أيّ تأثير وظيفي[2]

بالنظر إلى التعريفات التي قدمها مارتيني للفونيم يظهر أنّه حدّد وظيفة اللساني في دراسته للفونيمات بأن يهتم بالوظيفة التي تقوم بها، وبذلك فإنّ مصطلح فونيم يعبّر عن كل وحدة صوتية تؤدي وظيفة، وتحديد اختلافها وتشابهها لا يكون على أساس الدراسة التشريحية لهذه الأصوات فهي وظيفة علم الأصوات la phonétique وإنما بالنظر إلى وظيفتها، وعلى هذا الأساس يتم اعتماد القيم الخلافية وتصنيف هذه

---

[1] Ibid. p62

[2] Ibid., p63

الوحدات، ومن ثم تحديد أوج التشابه والاختلاف بينها وهذا بالتحديد ما تقوم به الفونولوجيا حسب مارتيني.

ثمّ إنّه وجب التنبيه إلى أن مارتيني في تعامله مع الأصوات كوحدات مستقلة اعتبر الظواهر الصوتية فوق مقطعية هامشية – حتى وإن تناولها بالدراسة– فهو لم يهمل السياق بصفة نهائية، بل اعتبر هذه الظواهر– فوق مقطعية– كالنبر والتغيم والشدة...الخ بأنّها لا تشملها عملية التمفصل المزدوج، ونورد له توضيحا حيث يقول:

"Rôle marginale des signes prosodiques:

On est naturellement tenté d'identifier unités significatives et unités de première articulation. Mais il faut ne pas oublier qu'un trait prosodiques, comme la montée de la courbe mélodique (…) la montée de la courbe, (…). Il y a donc qui fait d'***il pleut***? des signes qui ne se conforment pas à la double articulation. Ces signes jouent, dans les communications humaines, un rôle qui n'est pas négligeable. Mais on doit les considérer comme marginaux parce qu'un énoncé n'est proprement linguistique que dans la mesure où il est doublement articulé"[1]

2 ~~ال~~**مونيم** monème:

ننتقل بعد هذه المحاولة لشرح مصطلح الفونيم عند مارتيني إلى مصطلح المونيم الذي اعتبره مارتيني صعب التحديد بدقة وإن كان يعرفه بأنّه أصغر وحدة تحمل صورة صوتية ودلالة، لكن عند التقطيع ما هي الحدود التي عندها نعتبر أنّ هذا مونيم أم لا ؟ وما أنواعه وأقسامه؟

[1] Ibid., P101

يعترف مارتيني بأنّ عملية تحديد المونيم بدقة تتميّز بالتعقيد وإن كان هذا يعود حسب اللغة المدروسة، كما يختلف أيضا من مونيم إلى آخر[1] ولذلك حدّد أنواع المونيم بالنظر إلى وظيفته داخل السلسلة الكلامية لبناء رسالة تستجيب لحاجات التواصل اللساني وصنفه بحسب جهاز مفاهيمي دقيق يتضمن مجموعة من المصطلحات نعرضها فيما هو آت معتمدين في هذا التصنيف على عملية العزل ثم الاستبدال.

وتجدر الإشارة إلى أنّ مارتيني بيّن بأنّ بعض المونيمات بمقابلتها إلى الفونيم لا تتمتع بالتأثير la pertinence الذي يتمتع به الفونيم، لذلك فإنّ هناك مونيمات تملك الحرية في الحركة داخل السلسلة الكلامية دون أن يؤثر ذلك في فحوى الرسالة المراد تبليغها عكس الفونيم الذي يتميّز بالثبات داخل السلسلة ولا يجوز تغيّير موضعه.

ثمّ إنّ مارتيني صنّف المونيم إلى عدة أنواع حسب ما تقتضيه وظيفته داخل السلسلة الكلامية، إلّا أنّنا نكتفي بذكر أهم الأنواع محاولين توضيح كل نوع بالشرح مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ هذه الأنواع ليست بالضرورة متقابلة حيث يمكن توفرها مجتمعة في السلسلة الكلامية أو مجموعة منها، ومنها ما هو ضروري فلا يتم المعنى المراد من الرسالة إلّا بوجوده ومنها ما هو ثانوي، وذلك بالنظر إلى المستوى التركيبي ولكن لا غنى عنه من الناحية الدلالية.

أ) المونيم المستقل: le monème autonome

يعرفه مارتيني بأنّه المونيم الذي يتميّز بالاستقلالية داخل السياق سواء من حيث مكانه في السلسلة الكلامية أم من حيث دلالته، كما أنّه –في الغالب– يحمل وظيفة مرجعية وتعريفية بالنسبة لعناصر السلسلة الأخرى، ويمثل له بالمونيم hier في السلسة الكلامية "hier, il y avait fête au village" فهو عبارة عن مونيم

[1] Ibid., P 105

مستقل يحمل دلالة في ذاته ويتمتع بالحرية داخل السلسلة الكلامية فلك أن تبدأ به السلسلة أو تختم به فالأمر سيان[1]

ب) المونيم الوظيفي le monème fonctionnel:

يعتبر مارتيني المونيم الوظيفي كل مونيم تمّ وضعه في اللّغة بهدف تحديد وظائف مونيمات أخرى فلا يعقل أن نجعل لمن قام بالفعل ومن وقع عليه الفعل ومن تمّ لأجله الفعل مونيمات مستقلة، واستنادا إلى نظرية الاقتصاد اللغوي فإنّ المونيم الوظيفي وُجد لتحديد وظيفة مونيمات أخرى، ومن هنا فإنّ المونيم الوظيفي هو كل مونيم يحدد وظيفة مونيم آخر يرتبط به، وبذلك لا يكون هذا النوع مونيما إلّا داخل السلسلة الكلامية، أي بالنظر إلى وظيفته، فإن نظرنا إليه منعزلا لم يعد مونيما لأنّه يفقد دلالته كحروف الجر في اللغة العربية، وهذا دفعا للتناقض بين التعريف الأساسي للمونيم بأنّه أصغر وحدة تحمل دلالة، فدلالة المونيم الوظيفي تظهر داخل السياق وتختفي خارجه.

ج) المركب المستقل syntagme autonome:

يعرف مارتيني المركب المستقل بأنّه مجموعة من المونيمات داخل السلسة الكلامية حيث تكون العلاقة بينها وثيقة جدا تجعل منه وحدة وظيفية مستقلة لا يمكن تفكيك عناصرها بدون أن تتغيّر دلالتها، تلك الدلالة التي تضبط علاقته بباقي الوحدات وكأنّه مونيم واحد، والذي يعتبره مارتيني بديلا عن مصطلح كلمة mot، فهو يفضل استعمال مصطلح "مركب مستقل" على مصطلح "كلمة"، وفي الغالب –حسب مارتيني وتحديدا في اللغة الفرنسية– يكون المركب المستقل le syntagme autonome يحتوي على مونيم وظيفي حيث لا يشترط أن يكون سابقا للمونيمات الأخرى المكوّنة للمركب المستقل أو لاحقا لها، وفي هذا الباب يذكر مارتيني – مفصلا– الغموض الذي يمكن أن يقع فيه اللساني أو كل من يدرس اللغة في تحديد عناصر syntagme autonome والمونيمات المشكلة له؛ فيذكر تقسيما آخر

[1] Ibid., p111

للمونيم في هذا السياق وهو المونيم المعجمي monème lexical أو ما اصطلح عليه بـ lexèmes موضحا أنّ هذا النوع نجده في المركب المستقل؛ الذي يرتبط غالبا بمونيم وظيفي أو مونيم إضافي وله دلالة في ذاته ويكون غالبا في شكل جذر، ثمّ يقابله بالمونيم النحوي le monème grammatical أو ما اصطلح عليه بـ morphème وهو يملك خاصية التبادل في مواضع معيّنة مع غيره من المونيمات، ويعطي مثالا في اللغة الفرنسية بمحددات الجنس والعدد، وفي اللاتينية النواصب وأداوت الإضافة والجر...الخ وهذه المونيمات النحوية تشكل مجموعة مغلقة لكنها مستعملة بكثرة، عكس المونيمات المعجمية؛ التي تشكل مجموعة مفتوحة وعددها أكبر لكن استعمالاتها تكون بدرجة أقل من المورفيم.

ثمّ يبيّن بعد ذلك الفرق بين المونيم الوظيفي والمونيم الإضافي monèmes additionel أو modalites ؛ الذي وظيفته التعريف ويبيّن أن المونيم الوظيفي يحدّد وظيفة ما يرتبط به، مثلا en voiture فالمونيم en هو مونيم وظيفي، بينما أدوات التعريف وكل ما من شأنه أن يعرّف المونيم الذي يرتبط به؛ فهو مونيم إضافي، مثلا petit bateau مونيم petit هنا هو مونيم إضافي غير وظيفي فهو لا يحدّد وظيفة bateau وإنّما يعرّفه[1] ويكون في صورة اسم أو فعل أو أداة.

كما لا يجوز الخلط بين المونيم الوظيفي والمونيم النحوي وإن كانت بعض الصور الصوتية signifiants تعبّر أحيانا عن مونيم وظيفي وفي سياق آخر عن مونيم نحوي، ومن أجل التفريق يجب دائما حسب مارتيني العودة إلى وظيفة المونيم في السلسة الكلامية وبذلك يسهل على من يقوم بالتقطيع تحديد نوع المونيم بسهولة.

د) المركب الاسنادي le syntagme prédicatif:

يمكن اعتبار هذا النوع هو التقسيم الأخير الذي قدمه أندري مارتيني للمونيم، معرّفا إيّاه بأنّه مجموعة من المونيمات، لكن يعتبره النواة الوظيفية للسلسة الكلامية، فهو العنصر الأساسي في الرسالة المراد تبليغها وكل المونيمات الأخرى التي ترتبط به

[1] Ibid., p119

تخدمه لتحقيق التواصل على أكمل وجه، وفي حالات وجوده منفردا في السلسلة الكلامية كفيل بتأدية الرسالة، حيث يذكر مارتيني المثال ذاته: hier, il y avait fête au village حيث يعتبر hier مونيما مستقلا والمونيم au village مركبا مستقلا، فإن قرّر المتكلم الاستغناء عنهما تبقى السلسلة الكلامية ذات دلالة واضحة il y avait fête وهذا العنصر هو الذي اصطلح عليه مارتيني بالمركب الإسنادي syntagme prédicatif[1]

وللتوضيح أكثر نلخص ما سبق في المخطط الآتي:

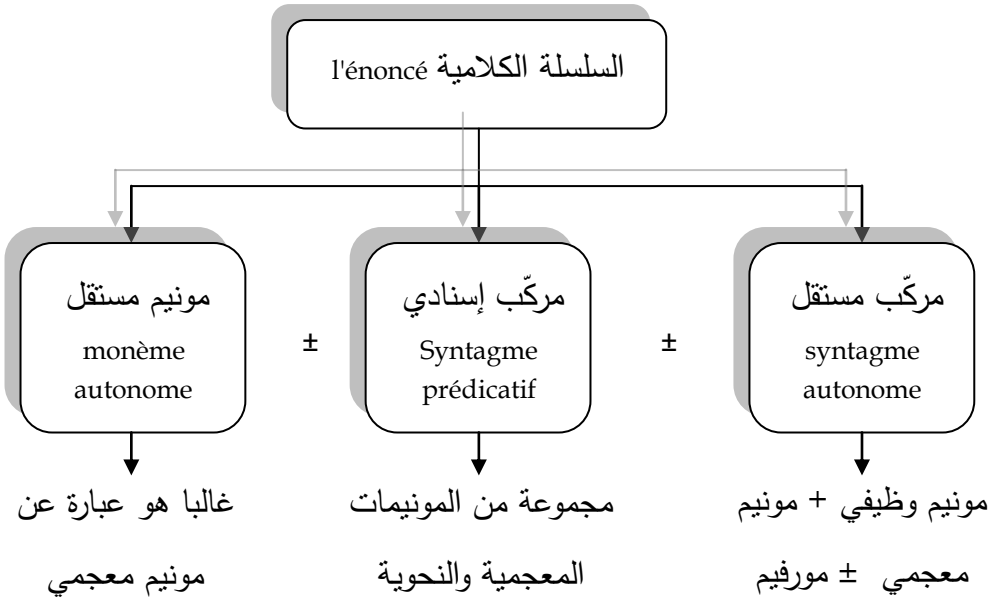

مخطط توضيحي لأنواع المونيم عند أندري مارتيني

-محصول الحديث:

بعد عرض التصنيفات التي قدمها مارتيني في تحديد المونيمات والتعرف إليها نستنتج أنّ عملية التمفصل المزدوج هي حجر الأساس في هذا التحديد، إذ تعتبر من الركائز الأساسية في نظريته اللسانية، هذه النظرية التي اعتمدت على الوصف والتصنيف بطريقة واضحة وعلمية جعلتها تختلف عمّا كانت عليه في اللسانيات

[1] Ibid., pp 123-124

التقليدية، وهو ما نلمسه في الانتقادات التي وجهها مارتيني –بين طيّات كتابه– éléments de linguistique générale لمن سبقه في معالجة القضايا اللسانية، خاصة قضايا المورفولوجية والفونولوجية، حيث يؤكد على دراسة الوحدات المكوّنة للسلسلة الكلامية باعتبار الدال والمدلول مع ضرورة التركيز على المدلول، ثمّ على وظيفة هذه الوحدات في ترابطها بعضها ببعض خدمة للوظيفة الأسمى للغة الممثلة في التواصل، ليكون أندري مارتيني –بذلك– رائد المدرسة الوظيفية الفرنسية بلا منازع، كما نوّه إلى خصوصية كل لغة في هذا التحليل، فلا يحق لأحد أن يعتمد تحليل مارتيني كما هو محاولا تطبيقه على لغات أخرى غير الفرنسية تطبيقا أعمى، وهو ما نلفيه عند السواد الأعظم من اللسانيّين العرب متناسين خصوصية اللغة العربية؛ كونها لغة سامية إعرابية، وأنّ الظواهر فوق مقطعية تؤدي دورا مركزيا في التواصل اللساني العربي عكس ما اعتبره مارتيني –فيما يخص اللغة الفرنسية– وفي هذا المقام ننقل كلمات مارتيني –بالتصرف– في الحوار الذي أجراه معه الدكتور نادر سراج، حيث أكد مارتيني بأنّ اللسانيات الوظيفية هي لسانيات تهدف إلى أن تكون واقعية، لهذا تقابل في أحيان كثيرة بعدم الرضا، فالناس حسبه ميّالون جدا للمقولات العامة، ثم يضيف في موضع آخر من الحوار بأنّه يجهل اللسان العربي وإن كان قد تطرق إلى مسائل فونولوجية تخص هذا اللسان مستعينا في ذلك بأشخاص ينطقون بهذه اللغة، قبل أن يبدي رأيه ويضيف بأنّه كان دائما مأخوذا بظاهرة غريبة لا نجدها في أيّ لسان غير اللسان العربي، وهي ظاهرة التلفظ لفونيم واحد بطرائق مختلفة، دون أن يصل إلى تفسير لهذا التطور الخاص الذي لحق ببعض أصوات اللسان العربي، ثمّ يضيف بأنّ العربية تُعرف بوجود نوع تلفظيّ خاص بها يسمّى بشكل عام التفخيم[1]، إلى غير ذلك من الخصائص التي تميّز

[1] ينظر: نادر سراج، لقاء مع مفكر، مجلة الفكر العربي، بيروت، لبنان، جويلية 1984، ص 370

العربيّة عن غيرها من اللّغات، ولهذا على اللسانيّين العرب الأخذ بعين الاعتبار الفوارق وخصوصيّات اللغة العربيّة، ومحاولة إرساء نظريّة وظيفيّة عربيّة، تعتمد في تحليلها على نصوص عربيّة أصيلة، مستأنسين في ذلك بأطروحات مارتيني في هذا المجال، إذ إنّ نظريته تتميّز بقدر كبير من الصلابة العلمية، وذلك فيما يخص منهجيّة البحث وطرائق التحليل، كما أنّها توفر إطارا إجرائيا في تطوير مناهج وطرائق تعليم اللغة وتعلّمها، وهذا ما يجعلنا نخلص إلى أن نظريّة مارتيني عامّة وشاملة من حيث المنهج وطرائق التحليل، وأنّها خاصة وغير شاملة من حيث البنى الناجمة عن هذا التحليل.

المحاضرة رقم (08): المدرسة السياقية*

1 - أصول النظرية:

يحيل الكثير من الباحثين على أنّ فكرة السياق تعزى إلى لغويي القرن القرن التاسع عشر، وخاصة الباحث اللغوي فيجنر Wegner حيث قرّر " أنّ السياق هو الأساس أو المحيط الذي تعتمد عليه الحقيقة في توضيحها وفهمها، وأنّه لا يتضمن عند الاتّصال اللغوي الكلمات فقط، بل الصلات والظروف المحيطة والحقائق السّابقة"[1] وهناك من يردها إلى ظهور الفلسفة التحليلية؛ التي تأسّست حديثا على يد فريجيه Frege من خلال" أهمّ التّحليلات التي أجراها على العبارات اللّغوية وعلى القضايا، ومنها تمييزه بين مقولتين لغويتين تتباينان مفهوميا ووظيفيا، وهما: اسم العلم والاسم المحمول، وهما عماد القضية الحملية"[2]

وقد أكّد باحثون أيضا أنّ النظرية تُعزى إلى نظرية فلسفة اللّغة العادية للنمساوي فيتغنشتاين؛ التي " قوامها الحديث عن طبيعة المعنى في كلام الرجل العادي"[3]

ورغم ذلك كله فإنّ الأساس الذي انطلقت منه هذه النظرية هو رفضها لمبدأ التحليل الصوري، ومحاولة دراسة المعنى دراسة علمية، وقد تابعت عمل المدرسة السلوكية باهتمام بالغ[4] وقبل ذلك نشير إلى أنّ السياق لقي عناية واهتماما أكثر من لدن الثقافة الأنجلو ساكسونية، وذلك من خلال أعمال الأنثروبولوجي

---

* تنعت أيضا بـ: مدرسة لندن.

[1] محمود جاب الربّ، علم اللغة نشأته وتطوّره، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985، ص 148. نقلا عن: صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص 385.

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص 18. صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 385.

[3] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 20. نقلا عن: صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 385.

[4] صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 386.

مالينوفسكي، وفيرث وستيفن أولمان وهايمز وهاليداي وميشيل توماسيللو وميشيل أودونيل وغيرهم.

ومهما يكن من أمر؛ فإنّنا نقصر جهدنا على صنيع العلمين: مالينوفسكي وفيرث؛ من حيث كون أبحاثهما هي الأشهر في هذا المضمار:

1 ـ 1 -مالينوفسكي:

إنّ المنهج السياقي تبلور مع العمل الذي قام به الأنثروبولوجي **مالينوفسكي** في جزر التروبرياند جنوبي الباسفيك[1] وقد عايشها في الفترة ما بين: 1914-1918 يدرس ثقافتهم[2] واستنتج " أنّ الترجمة عاجزة عن نقل المعنى، ويجب أن يقترن كل ذلك بوصف تقاليد وثقافة المجتمعات، وبالتالي الإحاطة بالموقف"[3] وعلى هذا يبني مزاعمه على ملاحظته للطريقة التي توافقت فيها لغة الناس مع نشاطاتهم اليومية، وكانت بالتالي جزءا يتعذر فصله عنها، ومن هنا تأسست مقولته المشهورة:" اللغة أسلوب عمل، وليست توثيقا للفكر"[4] مع الاحتفاظ بكونها وسيلة اتّصال بن النّاس، وبذلك يكون أوّل من استعمل مصطلح سياق الموقف أو الحال

(Context of Situation)؛ الذي يقصد به:" الموقف الفعلي الذي حدث فيه الكلام، ولكنّه يقود إلى نظرة أوسع للسياق تضم الخلفية الثقافية التي وضع الحدث الكلامي بإزائها"[5]

---

[1] بالمر، علم الدّلالة إطار جديد، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 1995، ص 74. نقلا عن: صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 386.

[2] عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1978، ص 23. نقلا عن: صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 386.

[3] عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، ص 24. نقلا عن: صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 386.

[4] بالمر، علم الدّلالة إطار جديد، ص 75. نقلا عن: صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 386.

[5] محمد شكري عياد، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، دار المريخ للنشر، الرياض، د ط، 1984، ص 56.

وفي حديث مالينوفسكي عن سياق الحال، أوجد ما يسمى بـ"التجامل"وذهب إلى " أنّ كثيرا ما نتكلم به لا يقصد به أساسا التفاهم، أو تقديم المعلومات، أو إصدار الأوامر، أو التعبير عن الآمال والرغبات وإثارة العواطف، وإنّما يستعمل لخلق شعور بالتفاهم الاجتماعي والمعاملة، وكثير من العبارات المعدة أصلا مثل:

How do you do المحددة اجتماعيا قد تخدم هذا الغرض؛ أي التجامل" [1]

1 2 جون فيرث(1890-1960): *

تعدّ نظرية السياق التي دشنها "فيرث" منذ سنة 1935 الإسهام الحقيقي للغويين الإنجليز في مقابل الإسهامات الأوربية والأمريكية الأخرى، وتعد خطوة مهمة ومتقدمة في عالم الدرس اللغوي[2]

ولعل الذي قاد فيرث إلى تبني فكرة السياق أنّه كان ينظر إلى " أنّ دراسة اللغة بشكل عام، وكذلك دراسة عناصرها من كلمات وأصوات وجمل هي دراسة دلالية لمعاني هذه العناصر، حتّى إنّه ذهب إلى اعتبار مهمّة البحث اللغوي منحصرة في

---

[1] جون لاينز، علم الدلالة الفصلان التاسع والعاشر من كتاب مقدمة في علم اللغة النظري، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة وحليم حسين فالح وكاظم حسن باقر، كلية الآداب، جامعة البصرة، د ط، 1980.ص 32.

* ولد فيرث ببوركشير سنة 1890، ودرس التاريخ قبل أن يلتحق بالخدمة الوطنية، ويجوب مختلف أنحاء الإمبراطورية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى، وكان من حسن حظه أن استقر بالهند لمدة طويلة، وتعلم بعض اللغات الشرقية، وهكذا تأثر بالنظريات اللغوية الهندية، الشيء الذي جعله يعتقد بأنّ تطوير أيّة نظرية لغوية لا يكون إلّا بالمعرفة الدقيقة للصوتيات الحديثة، ونظرا لاهتمامه بالتعليم ومناهجه فقد تولى مهمة تدريس اللغة الإنجليزية بجامعة البنجاب من سنة 1919 حتى سنة 1928.وبعد هذه الجولة المشرقية المليئة بالنشاطات الأكاديمية رجع فيرث مباشرة إلى جامعة لندن، ليشغل منصب أستاذ بمعهد الصوتيات، وفي سنة 1938 انتقل إلى كلية اللسانيات للدراسات الشرقية والإفريقية بلندن، ليتولى تدريس مقياس الدراسات الشرقية والإفريقية. ويعد فيرث أوّل من درّس هذا المقياس منذ إقراره عام 1944، وكذلك أوّل من مُنح رتبة أستاذ ذي كرسي في اللسانيات العامة ببريطانيا العظمى، وجدير بالذكر أنّ فيرث قد كوّن أجيالا عديدة من الطلبة، وتخرّج على يده عدد لا بأس به من اللسانيين؛ الذين ما فتئت أعمالهم تعكس أفكاره وتشعّ بنظرياته. ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص ص 172-173.

[2] ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص 189.

تقصي هذه المعاني دون سواها"[1] كما يرى أنّ الميزة الجوهرية التي تتميّز بها اللغة الإنسانية هي وظيفتها الاجتماعية، وأنّ إنتاج الملفوظات اللسانية يتم في إطار سياق الموقف الاجتماعي والثقافي، وبذاك يبرز المتكلم- المستمع للغته دوره وشخصيته في البيئة اللسانية المتجانسة.

بناء على هذا يقرّ "فيرث" بوجود علاقة أساسية بين النسق اللساني وثقافة المجتمع المستعمل لذلك النسق، وبذلك أصبحت الملفوظات اللسانية عسيرة التفسير إلّا بردها إلى سياقها الثقافي. [2] وقد استفاد فيرث أيّما استفادة من النتائج التي توصّل إليها مالينوفسكي.[3]

2 - السياق:

تحيل كلمة (السياق) (Context) على:

- " استعمالها في اللغة"، أو "الطريقة التي تستعمل بها"، أو "الدور الذي تؤديه"، ولهذا يصرح فيرث بأنّ المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة[4]
- تلك الأجزاء من الخطاب التي تحف بالكلمة في المقطع وتساعد في الكشف عن معناها[5]
- " المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية"[6]
- أجزاء القول أو النّصّ المجاور أو القرينة من الوحدة اللغوية المراد تفسيرها[1]

---

[1] ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص ص 190-191.

[2] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 284.

[3] صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 386.

[4] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998، ص68.

[5] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004، ص 40.

[6] ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص 51.

-"مجموعة الظروف الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقة الموجودة بين الظواهر اللغوية والاجتماعية، وتعرف بالسياق الاجتماعي للاستعمال اللغوي، أو سياق الحال (Context of Situation)"[2]

3 - أنواع السياق:

يميز فيرث بين نوعين من العلاقات ترتبط بهما الألفاظ هما:

أ - العلاقات الشكلية أو الداخلية: هي تلك العلاقات التي تربط وحدة لغوية بالوحدات الأخرى كالعلاقة الموجودة بين الوحدات اللغوية في تتابع ما

ب - العلاقات الموقفية: تشمل العلاقات بين الوحدات اللغوية ومكونات الموقف غير اللغوية[3]

فالعلاقة (أ) التي تحيل إلى اقتران مألوف ومميّز لمفردات النصوص قادت فيرث إلى القول بعلاقة (**الرصف** Collocation)* من حيث كونه "ارتباطا اعتياديا لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معيّنة" [4] كاقتران كلمة (بقرة) بالفعل (يحلب)؛ إذ إنّ جزءا من معنى (البقر) يتجلى لنا من خلال هذه التتابعات مثل: (هم يحلبون البقر) و (تنتج البقرة حليبا)[5]

أمّا العلاقة (ب) فتقوم على تحليل الموقف فالموقف الذي يجري فيه الكلام له اعتبار مهمّ في تحديد المعنى؛ فعبارة (السلام عليكم) مثلا تحية إسلامية تتحوّل إلى معنى المغاضبة حين يحتد النقاش بين شخصين ويبأس أحدهما في إقناع صاحبه فيذهب مغاضبا قائلا: (السلام عليكم).

---

[1] عرفات فيصل المنّاع، السِّياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2013، ص 11.

[2] صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 380.

[3] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 179.

* يطلق عليه أيضا: المصاحبة المعجمية.

[4] ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص ص 197-198.

[5] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 179.

ومدار الأمر أنّ السياق نوعان:

1 – سياق داخلي له علاقة بما يسبق النص أو يلحقه؛ وهو: **السياق اللغوي** (Verbal Context)

2 – سياق خارجي* يشمل:

أ – **سياق الموقف/ الحال** (Context of Situation)

ب – **سياق الثقافة** (Context of Culture)[1]

ت – **السياق العاطفي**

3 – **السياق اللغوي:**

يعنون به البيئة اللغوية للنص من مفردات وجمل وخطاب[2] أو هو ما يسبق الكلمة، وما يليها من كلمات أخرى[3] فالكلمة يتحدّد معناها من خلال علاقاتها مع الكلمات الأخرى، فمثلا: كلمة (قصّت) يختلف معناها من تركيب لآخر، وذلك في قولك:– قصّت الجدّة الحكاية (بمعنى حكت) –قصّت الجدّة الثوب (بمعنى قطّعت).

" كذلك كلمة (أَكَلَ) لها معان متعددة من خلال السياقات القرآنية الآتية: قال تعالى: ﴿ **وقالوا مال هذا الرّسول يأكل الطعام**﴾ [الفرقان/ 07] فالأكل هنا بمعنى التغذية للإنسان. وقال أيضا: ﴿ **وأخاف أن يأكله الذئب** ﴾ [يوسف/ 13] فالأكل هنا بمعنى الافتراس للحيوان. وقال أيضا: ﴿**أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه**﴾ [الحجرات/ 12] فالأكل هنا بمعنى الغيبة للإنسان"[4]

---

* يطلق عليه أيضا: سياق المقام.

[1] ينظر: عرفات فيصل المنّاع، السِّياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، ص 11.

[2] المرجع نفسه، ص 13.

[3] ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص 51.

[4] فطومة لحمادي، السياق والنص –استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي– مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، جانفي– جوان، 2008، العددان الثاني والثالث، ص 9.

ومهما يكن فإنّ السياق اللغوي يهتم بدراسة مستويات الكلام اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية فيشرح مفردات الكلام ومدلولاتها إذ ترتبط أجزاء الجملة بعضها ببعض ، وتدلّ على مختلف العلاقات اللغوية بينها[1] ومن هنا تظهر قيمتها الدلالية بحسب وضعها في السياق ، وتعالق بعضها ببعض ، ويكون الأثر الأساسي للسياق اللغوي هو تحديد هذه القيمة للكلمة ودلالتها في النظم، وكذلك ترتيب النصوص اللغوية من حيث الوضوح والخفاء، فضلاً عن الدور الأساس الذي يؤديه في اختيار بعض البدائل التي تؤثر في المتغيرات اللغوية باعتماده على قرائن سابقة أو لاحقة تتغير دلالة عنصر من عناصرها فيسبب تغيرا في دلالة النص " لأنّ العناصر المكونة للجملة لن تبق بدون تغيير إذا صُرِفَ عنصر منها عن دلالته الأولى بقرينة ما "[2]

3 2 -سياق الموقف:

هو " الجوّ الخارجي الذي يحيط بالكلام من ظروف وملابسات"[3] أو هو البيئة غير اللغوية (No Linguistic Environment) التي تحيط بالخطاب وتبيّن معناه، وتشمل هذه البيئة " زمن المحادثة ومكانها، والعلاقة بين المتحادثين، والقيم المشتركة بينهما، والكلام السابق للمحادثة"[4]

وقد أخذ فيرث فكرة سياق الموقف وأثرها في تحليل النصوص من عالم الأنثروبولوجيا "مالينوفسكي"، ووضعها في إطار لغوي معيّن، وأعطى لهذه الفكرة أبعادا أعمق، فقد جعلها تخطيطا تنظيميا مجردا، وحصرها في مجال اللغة بعد أن كانت فكرة عامة

---

[1] ينظر: مصطفى عواطف كنوش ، الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب للطباعة والنشر، لندن، ط1، 2007، 48

[2] محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة–مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000، 117.

[3] كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، دار غريب، القاهرة، ط3، 1997، ص 96. نقلا عن: عرفات فيصل المنّاع، السِّياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، ص 25.

[4] محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1982، ص 259. نقلا عن: عرفات فيصل المنّاع، السِّياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، منشورات الاختلاف، ص 25.

تمس النواحي الثقافية في المجتمع[1] وأشار إلى أنّ عالم اللغة يكون أقلّ اهتماما بتفاصيل خلفية الحديث في حين يكون أكثر اهتماما بسياق الموقف كوصف تجريدي للبيئة عن طريق الفئات العامة المرتبطة بالنص، وهذه الظروف والملابسات التي حددها فيرث من أجل الوصول إلى هدفه الأكبر وهو بيان المعنى هي[2]:

1 – أحداث لغوية صادرة عنهم (العمل اللفظي للمشاركين)
2 – أحداث غير لغوية (الأعمال غير اللفظية للمشاركين)
3 – أشياء خارجية ذات صلة بالحديث
4 – آثار خارجية ذات صلة بالحديث

ومن باب التمثيل يسوق الباحث (علي عزت) مثالا لسياق الموقف ممثلا في عبارة: (الله يعوّض عليك) في بلدين مختلفين (لبنان–مصر) وذلك وفق النحو الآتي:

–في لبنان:

أ – بائع ومشتر(س/ ص):

1 –ص: يطلب شراء سلعة ما من (س) ويدفع ثمنها.

2 –س: يناوله السلعة ويقبض الثمن قائلا: (الله يعوّض عليك)

ب – محل أو مكان مخصّص للبيع

ت – ينصرف (ص) على إثر الكلام.

–في مصر:

أ – شخصان متعارفان(س/ص) نمى إلى علم (س) أنّ (ص) في غاية التأثر والحزن بسبب فقده لشيء عزيز عليه.

1 – يحاول (س) أن يسري عن (ص) ويشاركه وجدانيا بقوله: (الله يعوّض عليك)، وقد يتبعها بعبارة أخرى مثل: (ما تزعلش نفسك) أو (كلنا لها).

[1] يحيى أحمد، الاتّجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، مجلد (20)، عدد (3)، سنة 1989، ص 82. نقلا عن: عرفات فيصل المنّاع، السِّياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، ص 26.

[2] ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص ص 191–192.

2 – (ص) يصمت أو يرد بعبارة مثل: (الحمد لله) أو (كله كويس).

ب – خسارة كبيرة وقعت أو شخص قريب أو عزيز لدى (ص) قد توفاه الله.

من خلال ما سبق يتّضح لنا:

1 – أنّ المعنى العام الذي نفهمه من عبارة (الله يعوّض عليك) هي تعزية في خسارة شيء مادي أو معنوي، في حالات الشراء في (لبنان) أو حالات الخسارة أو الوفاة في (مصر).

2 – أنّ المعنى العام لهذه العبارة هو القاسم المشترك بين هذه المواقف، وهو المعنى الذي يتبادر إلى الذهن عندما تُقرأ هذه العبارة منفكة من كل سياق تستعمل فيه.[1]

3 – تحدد عناصر سياق الموقف هذه؛ المعنى المقصود من بين عدد من المعاني التي يحملها النص[2]

3 3 – السياق الثقافي:

يقصد به " تحديد المحيط الثقافي الذي نشأ فيه النصّ"[3] فكلّ عصر له ثقافته – الاجتماعية والسياسية والدينية– التي تميّزه عن غيره من العصور، وعليه " لا يمكن فهم اللغة وقوانين تطورها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها في الزمان والمكان المعينين؛ لأنّ فيها من الإنسان فكره، وطرائقه الذهنية، وفيها من العالم الخارجي تنوعه وألوانه"[4]

يقول هادي نهر:" إنّ كلّ ما يحدث في هذا العالم شئنا أو أبينا مرتبط باللّغة (...) فلا يمكن أن تعرف شيئا عن نظم العرب في عصر ما قبل الإسلام مثلا إلّا إذا نظرت في لغة العرب آنذاك نظرة فاحصة من حيث دلالات الألفاظ، وتقلبها أو

---

[1] ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص ص 192–193.

[2] عرفات فيصل المنّاع، السِّياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، ص 26.

[3] المرجع نفسه، ص 26.

[4] هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل، الأردن، ط1، 1998، ص 18. نقلا عن: عرفات فيصل المنّاع، السِّياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، ص ص 26–27.

ثباتها، وما تدل عليه كل كلمة منها من نظام عربي قديم بعينه؛ ويكفي أن نقرأ قوله تعالى: ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ**﴾ [المائدة/ 103]

حتّى نبدأ في فهم العادات العربيّة المتعلقة بهذه العادات"[1]

ومهما يكن؛ فإنّ موضوع النظرية الفيرثية هو السلوك البشري (الكلامي) في إطار سياق معيّن.[2] وقد أطلق فيرث على السلوك الكلامي اسم: المعطيات الصوتية؛ التي هي عبارة عن متصل كلامي غير مقطّع. والسياق الواسع هو الثقافة، والسياقات الثانوية هي سياقات الموقف. وحسب فيرث فإنّ هناك عدّة سياقات موزعة ضمن تسلسل هرمي مضبوط كما هو مبيّن وفق الشكل الآتي:

1 – مصطلح صوتي في
2 – سياق صوتي في
3 – سياق معجمي في
4 – سياق صرفي في
5 – سياق تركيبي في
6 – سياق موقفي في
7 – سياق ثقافي

يقول فيرث:" إنّ التقنية التي رسمتها هنا هي عبارة عن تحليل تجريبي عوض تحليل نظري للمعنى، ويمكن وصفها كسلسلة من الإجراءات لوضع الظواهر في سياقات: سياق في سياق، وكل سياق عبارة عن وظيفة، أو عضو في سياق أكبر، وتجد كل السياقات مكانا لها فيما يسمّى بسياق الثقافة".[3]

[1] ينظر: هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، من ص 17 إلى ص 20. نقلا عن: عرفات فيصل المنّاع، السِّياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، ص 28.
[2] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 180.
[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 181.

3 4 – السياق العاطفي:

هو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية ودلالتها العاطفية، كما يحدد درجات الانفعال حسب القوّة والضعف مما يتطلب قرائن بيانية تؤكد عمق أو سطحية هذا اللون من الانفعال، فمثلا عند التعبير عن أمر فيه غضب وشدة انفعال فإنّنا ننتقي الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية أو المعبرة، إلى درجة أنّ المتكلم نفسه قد لا يقصد استعمال هذه الكلمات، مثل: القتل، الذبح ..الخ.[1]

4 – أهداف نظرية السياق:

1 – معرفة الأساليب المختلفة للمنطوقات وتصنيفها حسب المواقف الصحيحة، بالإضافة إلى معرفة الملامح الشكلية نفسها

2 – وصف الاستعمال الفعلي لنطق معيّن في موقفه الخاصّ باعتباره شيئا فريدا

3 – معرفة الوظائف الدلالية التي يمكن إرجاعها إلى التركيبات النّحوية

4 – إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وسائر المشتركين في الكلام

5 – وجوب تحديد بيئة الكلام؛ لأنّ هذا التحديد يضمن عدم الخلط بين لغة وأخرى

6 – يجب تحليل الكلام إلى عناصره ووحداته الدّاخلية المكوّنة له، والكشف عمّا بينهما من علاقات داخلية لكي نصل إلى المعنى[2]

إنّ هذه الأهداف تحيلنا على " أنّ اهتمام فيرث كان منصبا على إحلال القول محلّه ضمن السياق الاجتماعي، ومن ثمّ الخروج بتعميمات حول أنماط المعاني التي تفرزها سياقات اجتماعية محدّدة، وقد اقترح منهجا مقنّنا لوصف هذه السياقات يشبه

---

[1] فطومة لحمادي، السياق والنص –استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي–، ص 14.

[2] نادية رمضان النجّار، اللّغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2005، ص ص 235–236. نقلا عن: صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 382.

إلى حدّ كبير المناهج الوصفية الأخيرة الأكثر حداثة"[1] والتي تنعت بالمنهج السياقي (Contextual Approach) أو المنهج العملي (Operational Approach)[2]

-محصول الحديث:

1 - يتبيّن لنا أنّ التفسير الدلالي في ظل النظرية السياقية ينبني على حصر السياقات المختلفة التي يظهر فيها عادة العنصر اللساني، بوصفه مدخلا معجميا غير ثابت يتغيّر بتغيّر المواقف والسياقات المختلفة التي يرد فيها، سواء أكانت هذه السياقات لسانية أم غير لسانية [3]

2 - إنّ " السياق هو العشّ الذي تحيا فيه اللّفظة، وهذا ما يؤكد جانب الوظيفية الاجتماعية للّغة، ومن هنا فإنّ تعدد المعنى الوظيفي للأداة، ودلالتها يكون حسب ما تفيده من السياق، والسياق هو الذي يعكس تشابك العلاقات بين المعطيات الصرفية والنحوية".[4] وهذا " يعني أنّ اللغة نظام لربط الكلمات بعضها ببعض وفقا لمقتضيات دلالتها العقلية لكي تتمكّن من القيام بوظيفتها الأساسية كوسيلة للاتّصال بين النّاس"[5]

---

[1] بول براون، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود، 1997، ص 46. نقلا عن: صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 382.

[2] ينظر: حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1996، ص 157. نقلا عن: صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 380.

[3] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 284.

[4] صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 367.

[5] عمّار ساسي، النص الأدبي ومبدأ ربط النحو بالبلاغة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر. العدد 08، ص 220. نقلا عن: صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 367.

3 – تقوم هذه النظرية على النّظر إلى المعنى بوصفه وظيفة في سياق[1] وهو ما عدّ تحوّلا في النظر إلى المعنى بعد أن كان يوصف بأنّه علاقة بين اللفظ وما يحيل عليه في الخارج، أو في الذّهن من حقائق وأحداث، تلك النظرة التي كانت سائدة في الفلسفة الغربية التقليدية، وهي النظرة نفسها التي شرحها "أوجدن" و"ريتشاردز" في كتابهما (معنى المعنى) وطوّراها فيما عرف بالمثلث الدّلالي، لذا يعد ما فعله فيرث في هذا الشأن نقلة ابستمولوجية أنطولوجية كبيرة في حقل اللسانيات؛ لأنّها دعمت الموقف السلوكي في ذهابه إلى صعوبة البحث الدلالي المعتمد على المنطق، والتصوّرات الوجودية المختلفة التي كانت سائدة في الفلسفة الإغريقية، كما فتحت الباب واسعا نحو نهج جديد في دراسة المعنى على نحو يراعي الاستخدامات الفعلية للّغة[2]

4 – إنّ معنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو (استعمالها في اللغة)[3]

---

[1] محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004، ص 28. نقلا عن: صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 380.

[2] صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص 387.

[3] ينظر: حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، ص 157. نقلا عن: صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 380.

المحاضرة رقم (09): المدرسة التوزيعية*

-تمهيد:

تنقسم اللسانيات البنيوية الأميركية إلى اتّجاهين بارزين:

-لسانيات عقلية/ ذهنية، ولسان حالها هو مجلة Word ومقرها نيويورك، ويعتبر "سابير" الأب الروحي لهذه اللسانيات، وتأسست حول هذه اللسانيات "حلقة نيويورك"؛ التي أنشأها اللسانيون النازحون من أوروبا، أمثال: جاكبسون ومارتينيه وغيرهما. وتمثّل حلقة نيويورك اللغوية نوعا من جامعة المنفى لعلماء أوروبيين هربوا من الفاشية، وتمّ الحديث بشأنها كفرع من حلقة براغ، ولذلك فهي أسيرة وبقوّة للاتّجاهات الأوروبية

-اللسانيات مع بلومفيلد أو ما يعرف كذلك بمدرسة ييل Yale ولسان حالها مجلة Language الذائعة الصيت التي ظهرت في 1925 والناطقة باسم الجمعية الأميركية للسانيات؛ التي تأسست سنة 1924 بمدينة نيويورك[1]

ومهما يكن من أمر فإنّ أهمّ ممثّل للاتجاه التوزيعي هما: ليونارد بلومفليد وهاريس

1 - ليونارد بلومفيلد: (1887-1949)

ولد بلومفيلد بشيكاغو عام 1887، تابع دراسته الأكاديمية بالمدينة نفسها، والتحق بجامعة هارفرد في سنة 1903، وحصل على الماجستير (MA) في عام 1906، وفي السنة نفسها بدأ يُدرّس بجامعة فيسكونسين بوصفه أستاذا مساعدا في اللغة الألمانية، وبعدها انتقل إلى جامعة شيكاغو أين حصل على الدكتوراه في عام 1909، وقد هاجر إلى أوروبا، ومكث بها عاما كاملا؛ حيث تابع في ليبزيغ

* وتسمى أيضا: القرائنية، الاستغراقية. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العربي والبنوية: اختلافهما النظري والمنهجي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد الأوّل، أفريل 2002، ص 20.

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص ص 360-361.

وغوتينغن محاضرات أعظم علماء اللسانيات المقارنة، أمثال: لسكين وبروغمن. درّس الفيلولوجيا الجرمانية في جامعات عديدة بالغرب الأوسط من الولايات المتحدة الأمريكية، وأخذ على عاتقه دراسة اللغات الهندية الأمريكية، وبعض اللغات الهندية الأخرى المنتشرة في جزر الفلبين. ومع مرور الزمن أصبح بلومفليد يعتني أكثر فأكثر باللسانيات الوصفية والبنيوية، وذهب إلى أنّ الدراسة اللغوية التقليدية التي ظهرت قبل اللسانيات التاريخية تعد دراسة غير علمية لأنّها استدلالية ومعيارية، وأكد على أنّ دراسة اللغة يجب أن تكون وصفية واستقرائية[1]

2 - فحوى النظرية:

كان الإجراء التوزيعي في الثقافة اللسانية المعاصرة في الحقيقة نتيجة حتمية للدراسة اللغوية التقليدية[2] (النحو النظري المتصوّر في الأذهان فقط)[3] التي ما برحت تعوّل على مبدأ الخطأ والصواب في التقعيد المعياري للغات، فجاء هذا الإجراء لدحض هذه النزعة التي ظلت طاغية في حقل الدراسات اللغوية[4] وذلك هو السبب المباشر الذي جعل اللسانيات التوزيعية تنفرد بالرؤية الوصفية الظاهرية للأشكال اللغوية، فهو يتوخى لتحقيق ذلك معاينة السياق اللغوي عن كثب، ومحاولة ضبط توارد المؤلفات في هذا السياق حسب المواقع التي تتبدى فيها[5] ذلك أنّ أجزاء الكلام لا تنتظم في اللغة بالصدفة ولا بالاعتباط وإنّما بالاتّساق مع الأجزاء الأخرى التي تندرج فيها وفي

---

[1] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص ص 192-193.

[2] أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ص 20.

[3] محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، د ط، 2001، ص 74.

[4] أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ص19.

[5] المرجع نفسه، ص 20.

أوضاع بعينها دون أوضاع أخرى[1] فالعناصر التي يؤدي وجودها بجوار عنصر آخر إلى تغيّر البنية يسمّى التوزيع*[2]

يدل مصطلح التوزيع على الموقع الذي يحتله العنصر اللساني ضمن حواليته المألوفة، وقد "يحدد توزيع عنصر بأنه مجموع العناصر التي تحيط به، ومحيط عنصر (أ) يتكوّن من ترتيب العناصر التي ترد معه(...) والعناصر التي ترد مع العنصر (أ) في موقع معيّن تُدعى انتقاء هذا العنصر لهذا الموقع".[3]

إذا: اللسانيات التوزيعية تقوم على الفرضية التي مؤداها أنّ العناصر اللسانية "لا ترد مصادفة بعضها بالنسبة إلى بعضها الآخر، بل يرد كلّ عنصر في مواقع محدّدة بالنسبة إلى عناصر أخرى محدّدة". ومن هنا أضحى تقسيمهم لفئات الكلم ينبني على توزيع تلك الفئات وتواترها ضمن سياقها المألوف.[4]

ومهما يكن؛ فإنّ الاتّجاه التوزيعي وبخاصة مع بلومفيلد (L. Bloomfield) ظهر في الثقافة اللسانية الأمريكية منذ أن ظهر كتابه (اللغة) (Le langage) إلى الوجود عام 1933 [5] ويمثّل كتاب اللغة بداية عهد جديد في اللسانيات الأميركية خصوصا والعالمية عموما، وظلت مبادئه متحكمة في جلّ الأوساط اللسانية الأميركية إلى عهد قريب، ويتميّز هذا الكتاب الذي ما يزال مفيدا إلى اليوم بوصفه مقدمة ممتازة للسانيات الحديثة باستقلاله التام عن إطار الأنثروبولوجيا الذي طبع اللسانيات الوصفية الأميركية في العقود الأولى من القرن العشرين. وقد ابتعد بلومفيلد

---

[1] محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص 74.

* التوزيع هو الموقع الذي يحتله العنصر اللساني ضمن حواليته المألوفة. ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ص 20.

[2] ينظر: محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص ص 74-75.

[3] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 227.

[4] ينظر: أحمد حساني، السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية-مقاربة لسانية-، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993، ص 6.

[5] أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ص 20

عن الأنثروبولوجيا ليتبنى مبادئ علم النفس [1] خاصة السلوكيّ منه، ومن ثمّ فقد هيّأ هذا الكتاب منهجيا لقبول مبدأ التوأمة بين علم النفس السلوكي واللسانيات، وهي الجهود التي قام بها بلومفيلد من أجل هذا الغرض، فبعد أن استلهم المعطيات النظرية لعلم النفس السلوكي أسقطها على المنهج الوصفي اللساني مما أدّى إلى ظهور إجراء متكامل[2]. تمثّل في الإجراء التوزيعي القائم على المعطيات العلمية للنظرية السلوكية (Behaviourisme).[3] وقد كان بلومفيلد متأثرا في منحاه هذا بواطسون مؤسس المذهب السلوكي في علم النفس[4]، فقد أشار بلومفيلد إلى أنّه كان متأثرا بعلم النفس السلوكي الذي أسسه واطسون وكان يسعى إلى وضع علم نفس موضوعي لا يلجأ إلى الاستبطان أو الملاحظة الذاتية [5] وعلى هذا الأساس حاول بلومفيلد تفسير الحدث الكلامي من منظور سلوكي بحت رافضا بذلك الدراسة العقلية، وقد أطلق على المنهج الذي اتبعه في دراسة اللغة اسم المنهج المادي (materialistic) أو الآلي، وهو الذي يفسر السلوك البشري في حدود المثير والاستجابة[6]

إذا النظرية السلوكية التي تبناها بلومفيلد تجعل ردود الفعل اللسانية كغيرها من الردود تخضع لقانون الإثارة، ممّا يؤدي إلى الاستجابة برد الفعل؛ فالكلام هو الآخر مبني على الإثارة والرد في نوع من العطاء والأخذ للفعل المحرك وفعل الاستجابة من السامع، والرسالة الكلامية ينحصر معناها في هذا التبادل بجمله بين المنبه والمجيب، وما الكلام إلّا تحريك للمعنى وللسامع وارتداد منهما نحو اللفظ والمتكلم. فالأمر يتعلق إذا بوصف أجزاء الكلام التي تحرك وتسبب الإثارة (...) وهذا

---

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 376.

[2] ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ص 20

[3] ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ص 20

[4] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص193.

[5] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، 382.

[6] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص193.

يستوجب الانطلاق من مدونة تجمع أصنافا من الكلام في أحوالها ومقاماتها المختلفة لاكتشاف أيّ الأجزاء يحرك الأجزاء الأخرى وأيّهما لا يحركها عند التركيب[1]

3 - اللغة عند بلومفيلد

اللغة عنده هي: سلوك فيزيزلوجي يتسبب في حدوثه مثير معيّن[2]

ولتوضيح الموقف الذي تستعمل فيه اللغة نسج لنا بلومفيلد محاورة مفادها أنّ " جاك وجيل كانا يتجولان في بستان، إذ شعرت جيل بالجوع وأبصرت تفاحة على فرع شجرة، مما جعلها تصدر أصواتا بواسطة أعضائها الصوتية موجهة إلى جاك الذي يتلقى هذه الأصوات، إثرها يقفز الحاجز ويتسلق الشجرة، ثم يأخذ التفاحة ويضعها في يد جيل التي تأكلها.

إن هذا الحدث يقدم لنا ثلاث لحظات أساسية في عملية التواصل، هي:

أ – المقام ما قبل فعل الكلام؛

ب – فعل الكلام؛

ج – المقام ما بعد فعل الكلام.

فرقم (أ) هو المثير، و(ج) هو الاستجابة، وهما معا حدثان خارجان عن اللغة. حيث يتجلى المثير في الجوع ورؤية الطعام، وتتجلى الاستجابة في محاولة الحصول على الطعام. هكذا فالسيرورة الكلامية تتم حسب بلومفيلد كالتالي:

رؤية الطعام <-><-><-------< الحصول على الطعام

مثير <-><-><----------< استجابة

أو بعبارة مختصرة:

م <-><-><----------< س

غير أن هذه الخطاطة لم تشمل سوى (أ) و(ج)، بينما هناك العملية (ب) التي تمّ إهمالها، حيث إن هناك ملفوظ جيل الذي هو استجابة لغوية للواقع الخارجي

[1] ينظر: محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص ص 74-75.

[2] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص195.

أو المثير الخارجي المتمثل في الشعور بالجوع ورؤية التفاحة، ثمّ هناك إنصات جاك الذي هو مثير استبدالي للواقع أو الاستجابة الخارجية المتمثلة في قطف التفاحة وإعطائها لجيل.

هكذا فدورة الكلام قد تمت في مجموعة على الشكل التالي:

م<-<-<------< س..... مـ --------< س

ويبدو من خلال هذه الخطاطة أنّ المثير اللفظي يمكن أن يكون في نفس الآن استجابة (س) للمثير (م) غير اللفظي، ومثيرا (مـ) للاستجابة النهائية (س).

ولا يحتفظ بلومفيلد من هذه العملية إلا بالمرحلة (ب)، التي هي:

س..... مـ

إنّ هذه المرحلة المعبر عنها بهذه الخطاطة هي الملفوظ المنطوق، وهي حسب بلومفيلد الموضوع الوحيد الذي يثير اهتمام اللساني، إذ إنّ المرحلة (ب) هي وحدها موضوع اشتغال اللسانيات، أما المرحلتان (أ) و(ج) فهما موضوعان خارجان عن حقل اللسانيات، ويمكن أن يدرسا من طرف حقول معرفية أخرى كالمنطق، أو علم النفس، أو علم الاجتماع، أو غيرها من الفروع المعرفية.[1]

4 - إهمال المعنى:

إنّ بلومفيلد في تعامله مع اللغة يتعامل " مع ما هو حسّي ومادي تحقيقا للموضوعية؛ وما يمثّل الحسّي والمادي في لسان ما، هو الجانبان الصوتي والصرافي، وذلك بالنظر إلى قابليتهما للخضوع للملاحظة المباشرة خضوعا تاما (دراسة الأصوات في المختبرات)، بينما تمّ إبعاد المعنى والدلالة بمعناهما الواسع لأنّ وصفهما علميا يتطلب معرفة علمية دقيقة بجملة من الحقائق حول طبيعة الأشياء الموجودة في العالم الخارجي.[2]

[1] عمر أوكان، اللسانيات والتواصل، مدونة اللسانيات اللغة التواصل والتفاعل والمجتمع.

[2] ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 383.

إنّ تبني بلومفيلد علم النفس السلوكي جعله يعتبر اللسان عند الإنسان سلوكا قابلا لأن يختصر في مثير واستجابة، لذا أقصى كلّ إحالة على المعنى أو إدماجه في التحليل اللساني.[1]

5 - التحليل اللساني التوزيعي البلومفيلدي للتراكيب:

إنّ العناصر اللسانية التي لها التواتر نفسه في السياق نفسه يقال إنّ لها التوزيع نفسه، فهي بذلك بدائل توزيعية. ومن ثمّ فإنّ التحليل اللساني الذي يعوّل على موقعية فئات الكلم وتوزيعها ضمن سياقها المألوف" يتوخى استكشاف آلية لغة من اللغات من خلال وضع لائحة للوحدات الأساسية في كل مستويات الدراسة اللغوية، ومن خلال تحديد الفئات التي تنتمي إليها واستكشاف تآلفها فيما بينها"[2]

من هذا المنطلق اهتدى التوزيعيون إلى طريقة "التحليل إلى مؤلفات مباشرة" في تحليل البنية التركيبية بالتحليل إلى مؤلفات، فتفكك بنية الجملة عن طريق هذا التحليل على أساس أنّها مؤلفة من طبقات من مكونات الجملة بعضها أكبر من بعضها الآخر، إلى أن يتم تحليلها إلى عناصرها الأولية من المورفيمات[3]

ووفقا لهذا الاعتبار" تنقسم مؤلفات الكلام إلى قسمين:

- المؤلفات المباشرة: وهي مكونات الجملة التي تقبل التحليل إلى مؤلفات أصغر.
- المؤلفات النهائية: وهي مؤلفات لا تقبل التحليل إلى مؤلفات أصغر.[4]

ثمّ إنّ النموذج الآتي من الجمل العربية يصلح تمثيلا لهذا التحليل:

أتتكم فاليَّة الأفاعي*

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص ص383-384.

[2] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص228.

[3] المرجع نفسه، ص 229.

[4] المرجع نفسه، ص 230.

* مثل عربي ذكره الميداني في مجمع الأمثال، يضرب مثلا لأوّل الشرّ ينتظر، وجمعها الفوالي، وهي هَنَاةٌ كالخنافس رقط تألف العقارب والحيّات، فإذا رُؤيت في الجحور عُلم أنّ وراءها العقارب والحيّات.

- / أتتكم/ /فاعلية الأفاعي/

  2 1

- والمؤلفات (1) و(2) يحللان إلى مؤلفين هما:

/ أتت/ / كم/ / فالية/ / الأفاعي/

3 4 5 6

ثم المؤلف (3) يحلل إلى:

/أتى/ /ت/

7 8

والمؤلف (6) إلى : / ال/ / أفاع/

9 10

يتبدى لنا من هذا التحليل أن الجملة العربية–أنموذج التحليل– تتكوّن من عشرة مؤلفات يمكن لنا تصنيفها وفق التتابع التالي:

أ –المؤلفات 1 و2 و3 و6: مؤلفات مباشرة أي أنّها تقبل التحليل إلى مؤلفات أصغر

ب –المؤلفات 4 و5 و7 و 8 و 9 و10: مؤلفات نهائية؛ أي أنّها لا تقبل التحليل إلى مؤلفات أصغر منها ذات دلالة.

- **محصول الحديث:**

1 – الأشكال اللغوية تحلّل كما هي ملحوظة في الواقع اللغوي دون أيّ اعتبار للبنية الضمنية المتوارية خلف البنية الظاهرة[1]

2 – يأخذ بلومفيلد مكانته المتميزة في اللسانيات انطلاقا من تأكيده القويّ مثل سوسير على ضرورة دراسة اللغة بمعزل عن الظواهر المصاحبة لها، وباستقلال عن باقي المعارف اللغوية والعلوم الأخرى؛ فبلومفيلد منخرط تماما في المبدإ العام الذي أقام عليه سوسير صرح اللسانيات الحديثة والمتمثل في أنّ الموضوع الحقيقي والوحيد للسانيات هو اللغة في حدّ ذاتها ومن أجل ذاتها[2]

3 – يشير بلومفيلد بأنّه يتعيّن علينا أن " نبدأ بملاحظة ظواهر اللسان كما تلاحظ الظواهر في علوم أخرى، وأن نتخلص من الأحكام القيمية حول اللغة وما يتم ملاحظته، وأن تكون التعميمات المتوصل إليها مبنية على الاستقراء...فلا مجال للحديث عن الكليات اللغوية أو أشياء من هذا القبيل، لأنّ بعض السمات المميزة التي نعتقد أنّها كلية قد تكون موجودة في هذا اللسان، لكنّها قد لا توجد في ألسن أخرى قد يتاح لنا مستقبلا التعرف إليها أو تصبح رهن إشارتنا[3]

6 – زيليغ هاريس (1909–1992):

6 ـ1 – التعريف به:

لغويّ أمريكيّ، ورياضياتيّ مؤثّر، وخبير منهجيّ في العلوم، اشتهر بعمله في اللغويات الهيكلية وتحليل الخطاب واكتشاف البنية التحويلية في اللغة. تمّ نشر هذه التطورات من السنوات العشر الأولى من حياته المهنية، وشملت إسهاماته في السنوات الـ 35 اللاحقة من حياته المهنية قواعد النقل، تحليل السلاسل (القواعد المتجاورة)، اختلافات الجملة الأولية (ومشابك التحلل)، الهياكل الجبرية في اللغة،

[1] ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ص 20.

[2] ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 377.

[3] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 379.

قواعد المشغل، قواعد اللغة الفرعية، نظرية المعلومات اللغوية، وحساب مبدئي لطبيعة وأصل اللغة.

كما يعدّ زيليغ هاريس من أبرز الوجوه اللسانية البنيوية الأميركية إن لم يكن أكثرها شهرة وتأثيرا بعد أستاذيه سابير وبلومفيلد وتلميذه تشومسكي، وقد جمع هاريس في كتاباته العديدة والمتنوعة بين تجريبية اللسانيات الوصفية وما تطلبته من ابتعاد عن المعنى في الوصف والتحليل وصرامة الإجراءات والتصور الحركي التوليدي للألسن الطبيعية بإدراج مفهوم الخطاب ومفهوم التحويلات في صلب اللسانيات البنيوية[1]

لذا يذهب بعض الدارسين إلى أنّ الدراسات اللسانية الأميركية الحديثة مرت بثلاث مراحل هي:

- مرحلة التأسيس مع بلومفيلد
- المرحلة التوزيعية الهاريسية
- المرحلة البنيوية التحويلية مع هاريس أولا ثمّ تشومسكي لاحقا.[2]

6 2 – التوزيع عند هاريس:

يقول هاريس معرّفا التوزيع:" توزيع وحدة معيّنة هو مجموع المواقع التي يمكن أن تحتلها هذه الوحدة، وهو ما نسميه علميا بالتوزيع داخل نماذج من الملفوظات الصغرى التي يجب أن تنتمي إلى نفس الجزء من الجملة". وبعبارة أبسط نقول: إنّ التوزيع هو مجموع المواقع التي نجد فيها الوحدات داخل جمل تنتمي إلى متن لغوي معيّن.[3]

6 3 – التحليل اللساني التوزيعي للتراكيب من منظور هاريس:

إنّ التحليل إلى المكوّنات المباشرة الذي ينطلق في الأصل من تصورات بلومفيلد اللسانية قد تمت إعادة صياغته بطرائق مختلفة متقاربة أحيانا ومتباعدة أحيانا أخرى

---

[1] المرجع نفسه، ص 419.

[2] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 377.

[3] المرجع نفسه، ص 396.

من قبل مجموعة من اللسانيين على رأسهم: هاريس.[1] ومن ثمّ دخلت اللسانيات الأميركية مع هاريس مرحلة جديدة تميزت بإعطاء المنهجية التوزيعية بعدا صوريا دقيقا، ليصل التحليل البنيوي التوزيعي في بداية الخمسينيات إلى قمته، مستنفذا كل طاقاته وإمكاناته الإجرائية، وقد سار هاريس على منوال بلومفيلد ليصل بصورانيته إلى أبعد ما يكون، وبتصوراته إلى نهايتها كما يتجلى ذلك في كتابه (مناهج في اللسانيات البينوية) (1947-1951)؛ وذلك باعتماد أسلوب صارم في التعامل مع قضايا اللغة وتحليلها، حيث حدّد منهجية البحث المتبعة في اللسانيات الوصفية والخطوات العملية التي ينبغي للساني الواصف اتّباعها في أبحاثه الاستقصائية[2] فمهمة اللسانيات بحسبه تتمثل في معرفة ترتيب العناصر اللغوية وتوزيعها فيما بينها داخل مجرى الكلام وعلاقة بعضها ببعض.[3]

كما يرى بأنّ هدف المنهجية التوزيعية في المستوى الصواتي والصّرافي يتمثل في مهمتين أساسيتين هما:

7 - التقطيع

8 - التصنيف

ولتحقيق هذه الأهداف من منظور التحليل البنيوي التوزيعي يتعيّن اتّباع الخطوات الآتية:

أ - استخراج أصغر الوحدات اللغوية في مستوى معيّن كالمستوى الصّواتي أو المستوى الصّرافي، وذلك بإجراء تقطيع الصُّرفات إلى صوتات بناء على توزيعها

ب - وضع فئات خاصة بالوحدات التي تملك السمات الصورية نفسها ويتم ذلك بتحديد الجوارات الممكنة بالنسبة إلى وحدات المستوى الصّواتي أو المستوى الصّرافي، والقاعدة المتّبعة هي أنّ العنصرين (أو أكثر) اللذين

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص 408.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 424.

[3] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 425.

تكون لهما الجوارات نفسها ينتميان إلى الفئة نفسها، ولا دخل في هذا التصنيف للمعنى

ت – تحديد العلاقات الممكنة بين الفئات التي تمّ تحديدها في (ب) ويكون هذا التحديد بالاستناد أيضا إلى معيار صوري هو: **التوزيع**

وتتحقق الخطوات السابقة باتّباع اختبار الاستبدال المعروف لدى اللسانيين البنيويين، ومع توزيعية هاريس تراجع كلّ حديث عن المعنى ودوره في التحليل اللساني، إذ لا يحتاج اللساني الواصف إلى نظرية في الدلالة مستقلة عن النظرية اللسانية التي يتم بها وصف لسان ما، فالألفاظ الأولية التي يتم اعتمادها في التحليل اللساني (جمل أولية ومعاملات) لها معنى محدد؛ أي أنّها تقبل تأويلا دلاليا معيّنا، فالجملة باعتبارها متتالية من العناصر والمعاملات تتشكل من توالي مكوناتها وهو ما يعني الاستغناء المطلق عن أيّ نظرية دلالية[1]

[1] ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص ص 425– 426.

المحاضرة رقم (10): النظرية التوليدية التحويلية*(01)

1 - توطئة:

" لقد شهدت اللسانيات في سياق تطور نسق المعرفة الإنسانية المتسارع وتبدّل المناهج العلميّة تحولات حاسمة كان لها أثرها في تغيير آفاق البحث في الظاهرة اللغوية، فمن الدراسة التاريخية للغة إلى النموذج الوصفي السوسّيري عرفت اللسانيات تحولا جذريا بفضل ما قدّمه دو سوسير من تصورات وصفية في استيعاب الواقع اللغوي. ولكن سرعان ما أفل هذا النموذج ليظهر تيار لسانيّ جديد عرف بالمدرسة التوليدية التحويلية التي أثبتت قصور المنهج الوصفي وعقم ذلك الزخم من القواعد التي وضعها النحو التقليدي في الكشف عن خصائص الظاهرة اللغوية، واستندت التوليدية في دراستها للغة إلى المقترحات التي قدّمتها المدرسة التوزيعية، ومن أهم ممثليها هاريس الذي وضع الشكل الكلاسيكي التوزيعي المتمثل في البنية ذات المكوّنات وأقحم كذلك مفهوم التحويلات فاستلهم تشومسكي هذين التصورين: التحليل المكوّني للبنية والتحويل، بل طورهما وأخضعهما للشكلنة. أما منهجيا فقد عوّض تشومسكي المقاربة الإجرائية التي تنطلق فيها التوزيعية من المدونة لتبني تمثيلها للبنية بمقاربة افتراضيّة استنتاجيّة يتساءل أثناءها عن نظام القواعد الذي يسمح بإنتاج هذه المدونة كما يجري العمل في الفيزياء أو الكيمياء."[1]

" لقد تمكن تشومسكي من تأسيس نقلة نوعية في تاريخ اللسانيات كان لها صدى واسع، منخرطا بذلك في سياق التحولات العلميّة الكبرى التي شهدها القرن العشرين:

---

* نعني بكلمة القواعد التوليدية والتحويلية تنظيم القواعد الذي يقرن جمل اللغة بوصف بنياني دقيق، فكل متكلم اللغة قد اكتسب في ذاته وبصورة ضمنية قواعد توليدية وتحويلية للغته، وهذه القواعد تشير إلى معرفته بلغته وتتيح له إنتاج جملها وتفهمها، فالقواعد التوليدية والتحويلية تحاول أن تحدد معرفة المتكلم بلغته. ينظر: ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2، 1985، ص 101.

[1] سميّة المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 187.

سياق الثورة العرفانية ليربط اللغة باعتبارها نشاطا من الأنشطة العرفانيّة بشبكة الخلايا العصبيّة للدّماغ"[1]

ومهما يكن فإنّ " التأريخ الألسني يتكلم عن الألسنية ما قبل النظرية التوليدية والتحويلية، والألسنية ما بعد النظرية التوليدية والتحويلية، أي أنّ هذه النظرية قد فجرت ثورة ألسنية طبعت الدراسات الألسنية بطابعها الخاص"[2]

2 - التعريف بمؤسس المدرسة (تشومسكي):

أفرام نوعم تشومسكي لساني أمريكي من عائلة روسية عبرية، ولد في مدينة فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية في 7 ديسمبر 1928، ودرس بجامعة بنسلفانيا الفلسفة واللسانيات والرياضيات، وحصل على الماجستير في علم الفونيمات الصرفي للعبرية الحديثة، في عام 1955، وبعد هذا التحصيل الأكاديمي عيّن أستاذا للسانيات بمعهد ماساتشوست التكنولوجي أين تدرس الرياضيات والمنطق واللسانيات وعلم النفس والترجمة الآلية وغيرها من الفروع التي تساعد على النضج الفكري، وما زال يشغل هذا المنصب إلى يومنا هذا

وبما أن تشومسكي قد تتلمذ على يد هاريس الذي يعدّ قطبا من أقطاب المدرسة الوصفية فهو في الحقيقة نتاج وسط بلومفيلدي، ولكنّه خالف –كما خالف أستاذه في الأخير– المنهج الوصفي، وتبنى فكرته الجديدة في التحويل، ومن جهة أخرى فقد تأثر تشومسكي كثيرا بفكر ياكبسون؛ الذي كان ينادي بوجود "كليات فونولوجية" في جميع اللغات، ويعتقد أنّ ثمّة كليات أو عموميات لغوية على مستويات أخرى من التركيب اللغوي، التي هي في أمس الحاجة إلى البلورة والتطوير. ومن هاتين الفكرتين انطلق تشومسكي في تجسيد منهجه الجديد، وبناء نظرية أكثر نفاذا ورواجا

[1] سميّة المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، ص ص 187– 188.

[2] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص99.

من النظريات اللسانية الأخرى، معتبرا موقع التركيب من اللغة بمثابة القلب من جسم الإنسان"[1]

الحديث عن النظرية التوليدية لا يعني الحديث عن نموذج واحد وموحد متجانس ومتكامل، فالنحو التوليدي ليس نموذجا واحدا، بل هو نماذج وتيارات وتصورات مختلفة داخل التصور نفسه، تبلورت في كتابات مختلفة عبر كتابات تشومسكي[2]

3 – مراحل تطور النظرية التوليدية التحويلية (مناويل التوليدية التحويلية):

إنّ النظرية التوليدية التحويلية لم تأت دفعة واحدة، بل مرت بمراحل:

3 1 المرحلة التأسيسية:

التي تعرف بمرحلة **البنى التركيبية**، أو **بالنظرية الكلاسكية**، أو **منوال الأبنية الإعرابية** وهي المرحلة التي بدأت بصدور كتاب البنى التركيبية (1957)؛ حيث حدد تشومسكي الهدف المتوخى من البحث اللساني وهو: استكشاف وتحليل البنى التركيبية، وتعليل القدرة الضمنية الكامنة وراء بناء الجمل؛" لأنّ البنى التركيبية للغات الإنسانية تنشأ عن الخصائص الفطرية للفكر الإنساني"[3]. " ففي نظر تشومسكي ينبغي على النظرية الألسنية أن تحلّل مقدرة المتكلم على أن ينتج الجمل التي لم يسمعها من قبل، وعلى أن يتفهمها، فيقوم عمل الألسني على صياغة القواعد التي بمقدورها إنتاج اللغة مادة البحث"[4] ومن ثمّ " أصبحت الجملة المدار الرئيس للنظرية التوليدية التحويلية[5]

ومهما يكن من أمر؛ فإنّ تشومسكي تناول العديد من القضايا اللسانية في هذه المرحلة (المرحلة التأسيسية)؛ لعلّ أبرزها:

---

[1] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 202.

[2] مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوبي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص 95

[3] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 240.

[4] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 102.

[5] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 241.

-مفهوم اللغة

-مفهوم النحو

-التمييز بين الجملة النواة والحملة المحولة

- التركيز على استقلالية المكوّن التركيبي عن المكوّن الدلالي.

-إجراءات التحليل اللساني

أ - مفهوم اللغة:

عرّف تشومسكي اللغة في كتابه (البنى التركيبية) قائلا: " من الآن فصاعدا سأعدّ اللغة مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل، كل جملة طولها محدود، ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر، وكل اللغات الطبيعية في شكليها المكتوب والمنطوق هي لغات بهذا المعنى، وذلك لأنّ كل لغة تحتوي على عدد متناه من الفونيمات (أو الحروف)، ومع هذا فإنّ عدد الجمل غير متناه".[1]

ب - مفهوم النحو:

يستعمل مصطلح النحو عند تشومسكي وأتباعه للدلالة على معنيين:

ب-1 معنى عام:

"ذلك النسق من القواعد الذي يسند للجمل وصفا بنيويا بكيفية واضحة ومحددة جيدا"، حيث إنّ النحو هو المعرفة الضمنية المشتركة بين المتكلم والسامع، ولا تقتصر على أحدهما دون الآخر[2]

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 202. وينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 240. وينظر: ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص ص 102-103.

[2] مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، ص 29.

ب-2- معنى خاص:

حيث يستعمل تشومسكي لفظ النحو قاصدا به النظرية التي يسعى اللساني إلى بنائها، والقادر على وصف الملكة اللغوية عند المتكلم بلسان معين وتوضيحها. يقول تشومسكي:" من الواضح أنّه ينبغي أن نسند للنحو وضع نظرية قائمة على الاطرادات التي نسميها البنية التركيبية للغة، وبما أنّ النحو مصاغ صوريا، فإنّه يشكل نظرية رياضية لبنية لغة طبيعية خاصة".[1]

ولا يخرج تعريف النحو عند تشومسكي ما بين (1957-1965) عن هذين المعنيين.[2]

ت - التمييز بين الجملة النواة والحملة المحولة:

ميّز تشومسكي في كتابه (البنى التركيبية) بين الجملة الأساسية التي أطلق عليها الجملة النواة والجملة المشتقة التي أطلق عليها الجملة المحولة، ووصف الجملة النواة بأنّها بسيطة وتامة وصريحة وإيجابية ومبنية للمعلوم. والجملة المحولة بأنّها تنقصها خاصّة من خواص الجملة النواة، وتكون إمّا استفهاما أو أمرا أو نفيا أو معطوفة أو متبعة أو مدمجة. وقال بأنّ التحويل يكشف لنا بطريقة جلية كيف تتحول الجملة النواة إلى عدد من الجمل المحوّلة، وأتى بجملة من القواعد التحويلية التي قد تكون وجوبية أو جوازية. منها: الاستفهام والنفي والأمر والمجهول والعطف والدمج والإتباع[3]

[1] مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، ص29.

[2] المرجع نفسه، ص 30.

[3] المرجع نفسه، ص 207.

وبشكل عام فإن الطريقة المتبعة هي أنّه بعد تطبيق القواعد المركبية* تطبق مباشرة القواعد التحويلية على السلسلة النهائية لتشكيل الجمل المرادة. وهي بذلك لا تخرج عن إطار هذه العمليات المستعملة بكثرة في الرياضيات:

1- **الحذف:** حيث يتم حذف عنصر ما (أو عدة عناصر) في سطح الجملة، كما في الجملة التالية:

(105)- زيد. جوابا عن سؤال: من حضر؟ والأصل: حضر زيد

2- **الإبدال:** عملية تقتضي إبدال عنصر أو مكوّن من مكونات الجملة بعنصر أو مكوّن آخر. من هذا النوع تحويلة الإضمار؛ وهي قاعدة تعوّض الاسم بضمير، مثل:

(107)- أفكر في الأمر ← أفكر فيه (أفكر في زيد أو في عمرو)

3- الزيادة: وذلك بإضافة عنصر في البنية السطحية للجملة ليس له أي موقع أو أي دور في البنية العميقة. مثل:

(108)- عانى من انقطاعين اثنين ← عانى انقطاعين اثنين

وقد ينظر إلى العلاقة بين هذين الجملتين على أنّها نوع من الحذف (حذف حرف الجر).[1]

وفي صيغة المبني للمجهول زيادة غير ضرورية:

---

* يطلق عليها أحمد حساني اسم: القواعد الركنية. (ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 242) ثمّ إنّ القواعد المركبية أو النموذج المركبي أو النحو المركبي أو نحو المركبات: مجموعة من الاتجاهات اللسانية التي عرفت في الولايات المتحدة الأميركية إبان ظهور النحو التوليدي، وتتلخص المبادئ العامة للنحو المركبي في تمثيل الجملة على شكل تراتبي. ويعرف هذا التصور في الدرس اللساني عامة، والأمريكي خاصة بالتحليل إلى المكونات المباشرة الذي ينطلق من تصورات بلومفيلد اللسانية. ينظر: مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، ص 56.

[1] مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، ص 101.

(109)- سجلت الإصابة ← سجلت الإصابة من طرف اللاعب

4- النقل: وتظهر هذه العملية في نقل عنصر من موقع في الجملة إلى موقع آخر سواء كان ذلك تقديما أو تأخيرا مثل:

(110)- عاد أبي اليوم من السفر

يمكن أن نحصل عن طريق تحويلة النقل على الجمل التالية:

(111) ← اليوم، عاد أبي من السفر

(112) ← أبي، عاد اليوم من السفر

(113) ← أبي، اليوم، عاد من السفر

(114) ← من السفر، عاد أبي اليوم

5- الدمج: يتعلق الأمر بدمج عنصر أو مكوّن أو جملة بكاملها داخل بنية الجملة، من هذا الصنف بنيات العطف والصلة، فالجملة:

(115)- شاهدت الرجل الذي يحمل الحقيبة. أصلها: (ج1: شاهدت الرجل) و(ج2: الرجل يحمل الحقيبة)[1]

ومهما يكن؛ تساعدنا القواعد التوليدية التحويلية على التمييز بين الجمل التي تبدو متماثلة ولكنها في الأصل مختلفة، والجمل التي تبدو مختلفة ولكنّها في الواقع متماثلة[2]

ث - التركيز على استقلالية المكوّن التركيبي عن المكوّن الدلالي:

ففي مرحلة البنى التركيبية كان التركيز على استقلالية المكوّن التركيبي عن المكوّن الدلالي لازما لمجابهة آراء البعض كالفيلسوف **كوين** الذي يشدّد على أنّ مبادئ

[1] مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوبي: مفاهيم وأمثلة، ص 102.

[2] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 208.

القواعد ينبغي تحديدها انطلاقا من المفاهيم الدلالية، فبالنسبة لتشومسكي " ليس بالإمكان قطف المعنى الذي يتنزه في الهواء ومن ثمّ إيجاد الأشكال التي تعبّر عنه". بل نحن نتعلم معنى عبارة ما عندما نعرف شكلها، لذلك شدّدت الألسنية التوليدية والتحويلية على أنّ عناصر المكوّن التركيبي ليست مبنية على أسس دلالية، وبأنّ أواليات المكوّن التركيبي تعمل بعد أن يتم بناؤها بصورة مستقلة عن المكوّنين الآخرين في القواعد (المكوّن الدلالي والمكوّن الفونولوجي)[1]

ج – إجراءات التحليل اللساني:

اقترح تشومسكي في كتابه "البنى التركيبية" ثلاثة نماذج من القواعد تتفاوت فيما بينها من حيث القدرة على تقديم التفسير الكافي للبنى التركيبية وهي:

1 القواعد ذات الحالات المحدودة أو القواعد المحدودة الحالات:

تنعت هذه القواعد عادة بالأنموذج الماركي*؛ هي سلسلة من الاختيارات تتم في السياق الخطي للكلام؛ " أي كل اختيار لاحق يحدده اختيار العناصر السابقة". وتتكوّن هذه الآلية المبرمجة من حالات أولية وحالات نهائية، يسمى تلاحق العناصر الحاصل بين الحالة الأولى والحالة النهائية بالجملة[2]

إنّ القواعد المحدودة الحالات تسعى إلى توليد الجمل عبر سلسلة من الاختيارات التي تنطلق من اليسار إلى اليمين؛ إذ بعد اختيار العنصر الأول من السلسلة فالاختيار الذي يلي سوف تحدده العناصر التي تسبقه مباشرة[3]

ويمكن توضيح الإجراء العملي لهذه القواعد بالملفوظين الآتيين:

1–أصبح العامل منتجا ومسيِّرا في المؤسسة.

---

[1] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 112.

* الماركي: نسبة إلى ماركوف صاحب: قواعد ماركوف المحدودة الحالات في الرياضات. ينظر: ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 218.

[2] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 241.

[3] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 217.

2-أصبح العمال منتجين ومسيِّرين في المؤسسة.

اختيار (أصبح) يؤدي إلى اختيار (العامل)، أو (العمال)، لكن اختيار (العامل) يؤدي بالضرورة إلى اختيار (مسيّرا) و (منتجا)، كما أنّ اختيار (العمّال) يترتب عنه حتما اختيار (مسيّرين) و (منتجين). واختيار (المؤسسة) يترتب عن كل الاختيارات السابقة.

ويمكن أن نوضح ذلك أكثر بالرسم التوضيحي الآتي:

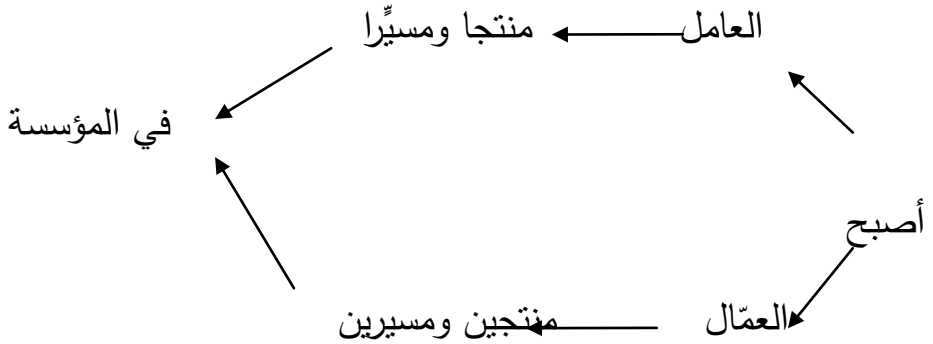

ويمكن أن نوسّع الجملة بإضافة عنصر لساني (سابقة ظرفية): [1]

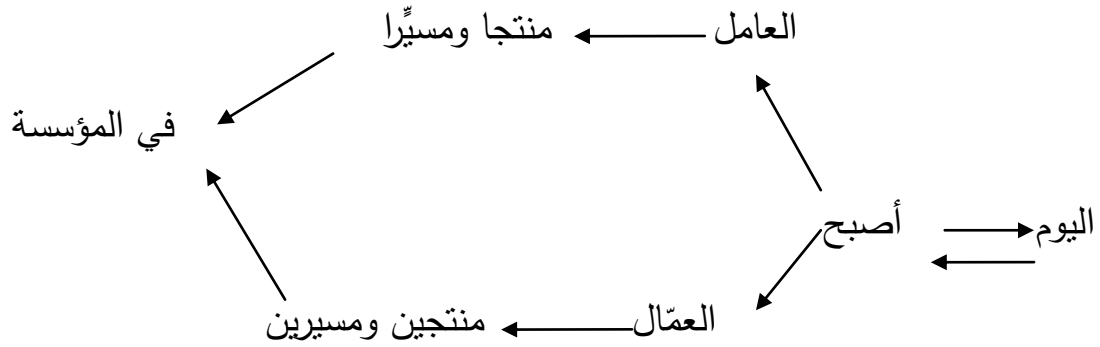

[1] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 241.

يرفض تشومسكي هذه القواعد لأنّها غير قادرة على توليد عدد لا حصر له من جمل اللغة غير المتناهية، وذلك لأنّ هذه القواعد قائمة على أساس التلاحق المبني على اختيار العناصر اللغوية، أي توليد الكلمة من اليمين إلى اليسار، أو من اليسار إلى اليمين، ممّا جعلها قاصرة ولا تتناسب مع القدرة التوليدية للبنى التركيبية[1] هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأنّها تولد في الوقت نفسه جملا غير نحوية وغير مقبولة لا تتماشى وحدس أبناء اللغة، إضافة إلى ذلك أنّها ليست لها القدرة الكافية على تحليل كل التراكيب اللغوية الموجودة في الإنجليزية واللغات الإنسانية الأخرى[2]

2 القواعد الركنية/ المركبية:

قصور القواعد ذات الحالات المحدودة جعل تشومسكي يقترح قواعد أخرى لها القدرة على توليد أكثر عدد ممكن من الجمل غير المتناهية، ولا يتحقق ذلك إلّا بالقواعد الركنية.

تعتمد القواعد الركنية على التحليل إلى مؤلفات مباشرة*، وهو التحليل الذي كان سائدا عند التوزيعيين إلّا أنّ النظرية التوليدية التحويلية قد قلبت التحليل التوزيعي رأسا على عقب. ويعتمد تشومسكي في ذلك على قواعد توليدية[3] مبنية على الرياضيات والمنطق الرمزي. وفي هذا الخصوص يقول ليونز:" إنّ مفهوم البنية المركبية يشبه مفهوم الأقواس في الرياضيات أو المنطق الرمزي، فإذا كانت لدينا هذه الصيغة: س+ (ع × ص) فإنّنا نعرف أنّ عملية الجمع لا بد أن تسبق عملية الضرب، وعلى خلاف ذلك فإنّ: س × ع + ص تعد مماثلة لـ: (س × ع) + ص حيث تسبق عملية الضرب، وهكذا فإنّ طريقة إجراء العمليات تؤدي إلى نتائج مختلفة، فإذا كانت س= 2. ع=3. ص= 5. فإنّ س × (ع + ص)= 16 ولكن (س×ع) + ص=11. وبالتوازي فإنّ هناك كثيرا من التراكيب اللغوية التي يكتنفها

[1] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 242.

[2] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 220.

* ينعت هذا التحليل أيضا بـ: النحو المركبي أو النموذج المركبي.

[3] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 242.

الغموض كما هو الحال بالنسبة لهذه الصيغة: س×ع+ص. ولكن الفضل يعود إلى الرياضيين الذين بينوا بأنّ الضرب يسبق الجمع في غياب الأقواس. ومثال تشومسكي في هذا العبارة التالية:

Old men and women (النساء والرجال العجائز) التي يمكن فهمها:

(Old men) and women أي (الرجال العجائز) والنساء. أو:

Old (men and women)

أي (الرجال والنساء) العجائز[1]

إنّ هذه القواعد التوليدية " تنعت بقواعد "إعادة الكتابة" من نوع:

س ←ـــــ ع. أي أعد كتابة (س) بواسطة (ع).

وهذه القواعد هي "مجموعة من القوانين التي تمكّن الباحث من أن يفرّع الجملة مبتدئا بـ: (ج) رمز أولي إلى مختلف عناصرها في مختلف مستوياتها حتى تتولد الجملة".

وقد حاول تشومسكي أن يحدّد مراحل تطبيق القواعد الركنية التي تقسم الجملة أولا إلى المعادلة الآتية:

ج ←ـــــ ركن اسمي+ ركن فعلي.

لكونهما الركنين الرئيسيين للجملة، ثمّ تعاد كتابة كل ركن على حدة بواسطة قواعد إعادة الكتابة إلى أن تنتهي العملية بتوليد الجملة[2] ولتوضيح ذلك نعتمد الشكل الآتي:

ج ←ـــــ ركن اسمي + ركن فعلي

ركن اسمي ←ـــــ تعريف + اسم

[1] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 221.

[2] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 242.

ركن فعلي ⟵ فعل + ركن اسمي

تعريف ⟵ أل

ويمكن لنا تمثيل هذه القواعد بالمشجر* الآتي:

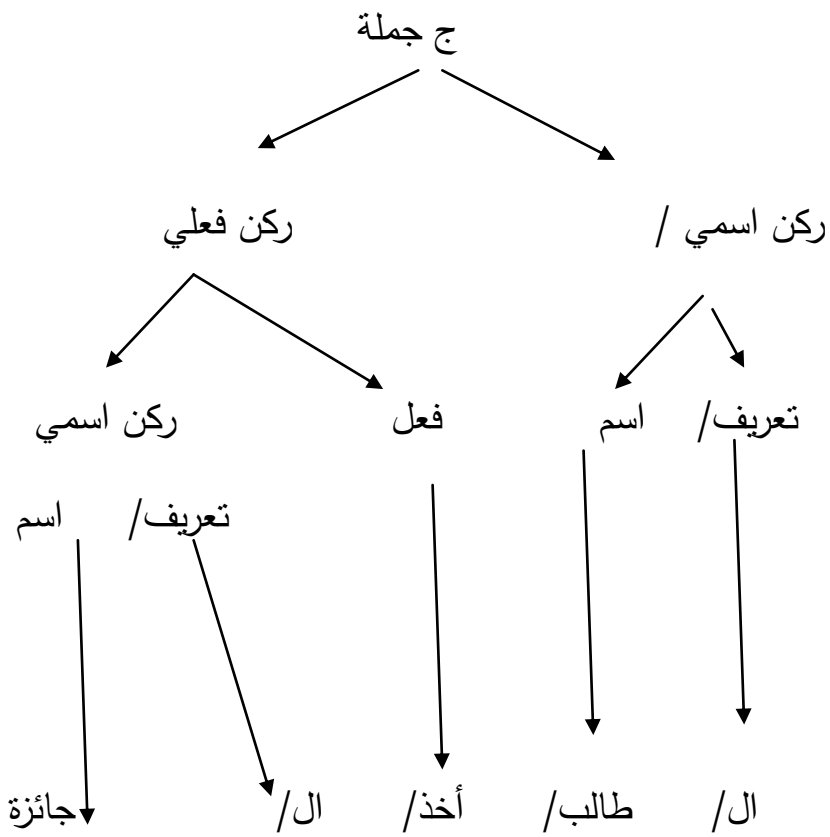

* شجرة تشومسكي هي أشهر التمثيلات المبيانية، لأنّها أكثرها وضوحا وبساطة وشمولية، وهي متساوية مع التمثيلات الأخرى، مثل: أقواس ويلس وخانات هوكيت ومعادلات هاريس، من حيث إنّها جميعها ترمي إلى توضيح أوجه العلاقة الرابطة بين مكونات الجملة بشكل تراتبي. وشجرة تشومسكي ليست توليدية في حد ذاتها، ولكنّها تمثّل الرسم البياني الأكثر وضوحا ودقة، إنّ الشجرة تحتوي التحليل القديم والتحليل للمكونات المباشرة، باعتماد القواعد المعروفة عند هاريس في المعادلة أو ما يعرف أيضا بقواعد إعادة الكتابة. ينظر: مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، ص 62.

إنّ هذه القواعد ابتداء من القاعدة الأولى إلى القاعدة النهائية؛ تدعى بقواعد إعادة كتابة رمز برمز آخر إلى أن يتم توليد الجملة. ولذلك فإنّ القواعد الركنية بإمكانها توليد كل الجمل الأصولية البسيطة في اللغة[1] بيد أن هذه القواعد:

- " لا تعكس بدقة حدس أبناء اللغة فيما يخص الحكم على استقامة الجمل أو استحالتها، ومهما كانت هذه القواعد أشدّ قوّة وأكثر ملاءمة من القواعد المحدودة الحالات في نظر تشومسكي فإنّها لا تستطيع أن تولد كل التراكيب اللغوية الموجودة في اللغة[2].

- لا تستطيع تفسير بعض الجمل المتطابقة والمتداخلة، أي الجمل ذات البنى المعقدة مما دفع تشومسكي إلى الإقرار من الناحية النظرية بإمكانية توافر أكثر من قاعدة واحدة يمكنها توليد الجمل الأصولية للغة كلها، وذلك بالتصرف في العناصر اللغوية للجملة من تقديم وتأخير، وهو ما ينعت بالتحويل[3] وهكذا جاء بالنموذج الثالث الذي أحدث به ثورة في اللسانيات، وأكسبه شهرة عالمية لا تضاهى، وأصبح عنوانا للنظرية اللسانية التشومسكية"[4]

3 القاعدة التحويلية:

لاحظ تشومسكي " أنّ ثمة مجموعة من الظواهر اللسانية التي تطرح مشاكل محددة لا يستطيع التحليل للمكونات المباشرة أن يقدم لها الحلول الملائمة والكافية، لذا حاول تشومسكي في بداية الأمر تقديم صياغة صورية جديدة للنموذج المركبي تقوم على إمكانية خلق نوع من التوافق النظري والمنهجي بين البنية التركيبية التي يتوفر عليها النحو المركبي والتحليل التحويلي الذي وضعه هاريس ابتداء من (1952). من هذا المنطلق كانت الحاجة إلى إعادة النظر في النموذج المركبي ليس بتقديم

[1] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 243.

[2] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص ص 222- 223.

[3] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 243.

[4] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص ص 222- 223.

بديل لساني عنه وإنّما بتطعيمه بالمكون التحويلي. فما هي الظواهر التركيبية التي لا يستطيع التحليل إلى المكونات المباشرة أن يجد لها جوابا بحسب ما تتوافر عليه قواعده من إجراءات ومفاهيم؟[1]

لا يمكن للتحليل للمكونات المباشرة أن يأخذ بعين الاعتبار التعارض بين الوحدات المكونة للجملة على المستوى الخطي؛ أي في الترتيب التتابعي الذي يتم التلفظ به فعلا، وبين الترتيب البنيوي العميق الذي يمكن أن يربط بين مكونات الجملة.[2]

إنّ الترتيب الخطي أو السطحي ليس دائما مطابقا للترتيب الذي تكون عليه وحدات الجملة في البنية العميقة[3] وأمام هذه الظواهر فإنّ ما يحتاجه المحلّل اللساني هو مجموعة من القواعد التحويلية القادرة على تقديم حل موحد لمثل هذه القضايا اللغوية يحترم فيها حدس المتكلم[4] فحدس المتكلم يمكنه من الوصول بسهولة إلى الكشف عن التشابه الدلالي بين الجمل رغم وجود البنية التركيبية نفسها أو اختلافها، بينما يلاحظ أن النموذج المركبي يعالج هذه الجمل معتبرا إياها بنية واحدة. لننظر إلى المثال التالي:[5]

(19) زيد كبير الرأس

(20) زيد كبير الإخوة

(21) دفع المال من زيد

(22) سرق المال من زيد

---

[1] مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، ص 66.

[2] يتظر: المرجع نفسه، ص66

[3] المرجع نفسه، ص 67.

[4] المرجع نفسه، ص 70

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص ص70-71.

يعتبر النموذج المركبي بنية الجملة (19) مماثلة لبنية الجملة (20) وبنية الجملة (21) مماثلة لبنية الجملة (22) غير أنّ هذا التحليل ليس مناسبا؛ لأنّه يقوم على التحليل السطحي لبنية الجملة؛ ويكفي أن نخضع الجملتين (19) و(20) لبعض التحويلات من تقديم أو تأخير أو حذف ليظهر لنا التغيير الحاصل بين هذين البنيتين رغم التشابه السطحي بينهما. إنّ جملة:

(19) زيد كبير الرأس

يمكن تحويلها إلى جملة أخرى قريبة منها هي:

(23) رأس زيد كبير

دون أي تغيير جوهري، لكن هذا الضرب من التحويل لا يصلح مع الجملة الثانية؛ إذ إنّ الجملة:

(24) إخوة زيد كبار. لا تعادل جملة:

(20) زيد كبير الإخوة

ويصدق التحليل نفسه على الجملتين (21) و(22).

ومهما يكن من أمر؛ فإنّ التحويلات تحتل المكانة الرئيسية والثورية في القواعد التشومسكية، وتكمن مهمتها في تحويل البنى العميقة إلى بنى متوسطة وسطحية، وبعبارة أخرى فإنّها تربط البنى العميقة بالبنى السطحية، ولكن إذا ما اقتضى الأمر تطبيق أكثر من عملية تحويلية فإنّ البنى المتوسطة يقوم بتوليدها عدد من التحويلات حتى يتم تكوين البنية السطحية[1]

وتكمن أهمية القواعد التحويلية في قدرتها الذاتية على تفريع الجمل[2] كما أنّها تعكس حدس أصحاب اللغة أفضل من غيرها من القواعد، وتولد عددا لا حصر له

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 207.

[2] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 244.

من الجمل، وتولي اهتماما كبيرا بالمعنى أكثر مما توليه القواعد المركبية، وتفك أقفال اللبس التركيبي التي استعصت على القواعد السابقة[1]

وتنقسم القواعد التحويلية إلى قسمين: قواعد تحويلية وجوبية، وقواعد تحويلية جوازية (اختيارية)، وهي تختلف من لسان إلى آخر، إذ إنّها الفيصل الذي يطغى على ما عداه في التميّيز بين الأنساق اللسانية المختلفة[2]

ويمكن توضيح ذلك في اللغة العربية؛ بأنّ المتتالية الركنية للجملة الاسمية العربية لها في البنية العميقة المشير الركني: مسند إليه (م إ) + مسند (م).

يمكن لنا إجراء قاعدة تحويلية جوازية على هذه المتتالية لحذف عنصر (المسند) في مثل قولهم: "خرجتُ فإذا السبعُ". فالعنصر المحذوف (المسند) مقدّر في البنية العميقة بـ: (حاضر).

كما يمكن أن نجري قاعدة تحويلية وجوبية على المتتالية الركنية نفسها لحذف (المسند) في مثل قولهم: "لولا زيدٌ لأتيتُك". فالعنصر المحذوف هو (المسند) مقدر في البنية العميقة بـ:(موجود). وضابط هذه القاعدة التحويلية الوجوبية في مثل هذا الملفوظ هو توزيع العناصر اللسانية المتلاحقة، فتوزيع (لولا) وتوزيع (المسند إليه) بعد (لولا) يؤديان بالضرورة إلى حذف (المسند).

وتعتمد القواعد التحويلية لإخراج الجملة في شكلها النهائي على:

1 قواعد موفو–فونولوجية تحوّل الجملة الأصولية في اللغة إلى شكل منطوق

2 قواعد مورفو–غرافية تحوّل الجملة الأصولية المنطوقة إلى شكل مكتوب[3]

يستخلص ممّا سبق أنّه لتحليل البنية التركيبية وفق معطيات النظرية التوليدية التحويلية لا بدّ من تطبيق القواعد الركنية أوّلا ثمّ الانتقال إلى القواعد التحويلية

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 223.

[2] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص302.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 244.

بأشكالها المختلفة، وفي نهاية المطاف تطبيق القواعد المورفو–فونولوجية، تؤدّي هذه العملية مرتبة بالشكل المذكور إلى توليد الجملة في شكلها النهائي.

3 2 المرحلة الثانية:(النظرية النموذجية أو النظرية المعيار أو النظرية المعيارية)

إنّ كتاب تشومسكي (مظاهر النظرية التركيبية) الصادر سنة (1965) هو ثمرة النقاش الذي تلا ظهور النموذج الأول في النظرية التوليدية، ونعني بذلك كتاب (البنيات التركيبية)، وقد حاول تشومسكي أن يوفق بين مجموعة من الآراء المعروضة للنقاش بصدد النموذج التوليدي وآليات اشتغاله، مستفيدا في ذلك من الدراسات الهامة التي تلت ظهور البنيات التركيبية على يد "كاتز" و"فودور" سنة (1963) حول بنية المكوّن الدلالي في النظرية التوليدية، وهي أوّل دراسة فيما يبدو تقترح إدخال المكوّن الدلالي ضمن هيكل الجهاز التوليدي، يضاف إلى هذا دراسة "كاتز" و"بوسطال" سنة (1964) التي تحمل عنوان: النظرية العامة للوصف اللساني. وهي دراسة اهتمت أساسا بتعميق البحث في العلاقة بين التحويلات والمعنى[1]

ومهما يكن؛ فقد بلغ التحليل التركيبي أوجه وآتى أُكله في كتابه (أوجه النظرية التركيبية)* حيث برزت هذه النظرية بصورة بائنة في مبادئها ومجال تطبيقها في ظلّ المدد التنظيري الذي دعمت به والذي عطّى ما أغفلته نظرية البنى التركيبية 1957.

ومن المستحدثات المثيرة للانتباه في هذه النظرية:

- التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي.[2]

---

[1] مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوبي: مفاهيم وأمثلة، ص 109.

* يطلق عليه أيضا: مظاهر النظرية التركيبية. ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 205. كما يطلق عليها: ملامح النظرية التركيبية. ينظر: ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 108.

[2] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 245.

- التمييز بين مفهوم أصولية الجملة ومفهوم تقبل الجملة
- التمييز بين البنية العميقة والبنية السطحية.
- إدخال المكوّن الدلالي في صلب القواعد التوليدية والتحويلية:

*** الكفاية اللغوية أو القدرة الإبداعية/ الأداء الكلامي:**

" يشير مصطلح الكفاية اللغوية إلى قدرة المتكلم –المستمع المثالي– على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته"[1] أو أنّها " المعرفة الضمنية بقواعد اللغة، وهي قائمة في ذهن كل من يتكلم اللغة"[2]

إنّ هذا التعريف يحيل إلى القدرة الضمنية التي يمتلكها المتكلم التي تخوّل له إنتاج عدد لا حصر له من جمل لغته الأم[3]

أمّا **الأداء الكلامي** فهو "الاستعمال الفعلي للغة في الظروف المحسوسة".[4] أو هو" استعمال المعرفة الضمنية بقواعد اللغة في عملية التكلم"[5] ويرى تشومسكي أنّ مفهومي الكفاءة والأداء " يرتبطان بمفهومي اللغة والكلام اللذين استحدثهما دي سوسير، ولكن تشومسكي رفض فكرة دي سوسير القائلة بأن اللغة كتلة من المادة أو قائمة من المفردات التي ينتقي منها الشخص الكلام، أو بأنها: " لائحة منظمة من العناصر، ويرى أنَّ من الأحسن الأخذ بمفهوم "**همبولدت**" للمعرفة اللغوية بوصفها تنظيما توليديا.[6]

---

[1] حسام بهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث في مجالي مفهوم اللغة والدراسات النحوية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994، ص 16.

[2] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 109.

[3] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 246.

[4] المرجع نفسه، ص 246.

[5] ينظر: ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 109.

[6] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 246.

وذهب إلى التمييز بين الكفاءة التي تتمثل في المعرفة اللغوية الباطنية للفرد: أي مجموعة القواعد التي تعلمها. والأداء هو الاستعمال الفعلي للغة في المواقف الحقيقية. فالكفاءة إذن نظام عقلي تحتي قابع خلف السلوك الفعلي. وعليه فإنّه غير قابل للدراسة التجريبية المباشرة[1] وهكذا فإنّ الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هذا النظام ودراسته هي "الاستبطان" إذ يساعدنا على إصدار أحكام على كل الجمل من حيث صحتها النحوية ومقبوليتها. وحسب تشومسكي فإنّ اللساني وصاحب اللغة يتمتعان بمقدرة لغوية تتمثل في الحدس تمكنهما من معرفة الجمل من حيث استحالتها واستقامتها.[2]

ثمّ إنّه " يمكن لصورة الكفاءة والأداء أن تتوضح أكثر إذا علمنا أنّ المتعلمين–على العموم– يجيدون إجراء العمليات الحسابية كالجمع والقسمة والضرب، ولكن إذا طلب منهم إجراء عملية ما فإنّهم يحتاجون إلى وقت من الزمن، ومع هذا فإنّهم يخطئون أحيانا وعلى نحو مماثل، فإنّ جلّ الناس –تقريبا– يمتلكون مقدرة لغوية تمكنهم من استعمال اللغة استعمالا جيدا، ولكنّهم عند تطبيق هذه القدرة خلال الكلام أو التلقي قد يحتاجون إلى وقت للتفكير، وعلى الرغم من هذا فقد يرتكبون بعض الأخطاء، فالناس أثناء عملية الكلام قد يترددون ويُتأتئون ويكررون أشياء وتصدر عنهم بعض زلّات اللسان، أمّا أثناء التلقي فقد لا يفهمون بعض الجمل والمفردات، وتغيب عنهم كثير من الأشياء، كل هذا دفع تشومسكي إلى التمييز بين الكفاءة والأداء[3] وبالنسبة للساني فإنّ الكفاءة–أي معرفة الفرد بقواعد لغته– هي موضوع الدراسة اللسانية، وإذا كان اللساني لا يمكنه أن يدرس اللغة إلّا بفحص ما يقوله الفرد، فإنّ هذه الأقوال الفعلية التي هي جزء من أدائه لا تكوّن إلّا جزءا من الدليل على كفاءته، ويكوّن الحدس المتمثّل في الأحكام التي يصدرها الفرد الجزء الثاني من هذه الكفاءة، وبهذا

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 210.

[2] المرجع نفسه، ص 211.

[3] المرجع نفسه، ص 211.

التركيز على دراسة الكفاءة يكون تشومسكي قد جعل من اللسانيات شعبة من علم النفس المعرفي[1]

*** التمييز بين مفهوم أصولية الجملة ومفهوم تقبل الجملة:**

تنعت الجملة بأنّها أصولية "إذا كانت مركبة على نحو جيّد، وهي غير أصولية إذا انحرفت عن المبادئ التي تحدد الأصولية في اللغة؛ أي القواعد الضمنية التي تقود عملية التكلم والتي يطبقها متكلم اللغة بصورة لا شعورية"[2]

كما تشير النظرية الألسنية النموذجية إلى وجود درجات متباينة في الجمل غير الأصولية، وذلك لأنّ هذه الجمل تتباين نسبة لدرجة انحرافها عن قواعد اللغة فترتبط درجة غير أصولية الجملة بالمستوى الذي تنتمي إليه القاعدة التي تنحرف عنها الجملة. ومفهوم الأصولية ينتمي إلى مجال دراسة الكفاية اللغوية؛ إذ إنّ الجملة غير الأصولية تتحدد وفقا لقواعد الكفاية اللغوية، في المقابل ينتمي مفهوم قبول الجملة إلى مجال دراسة الأداء الكلامي.[3]

*** التمييز بين البنية العميقة والبنية السطحية:**

إنّ هذين المصطلحين لم يظهرا عند تشومسكي بطريقة جلية إلّا في (مظاهر النظرية التركيبية) 1965 وملخص القول: إنّ لكل جملة بنيتين: بنية عميقة وبنية سطحية.

- **البنية العميقة:** هي شكل تحريدي داخلي يعكس العمليات الفكرية، ويمثل التفسير الدلالي الذي تشتق منه البنية السطحية من خلال سلسلة من الإجراءات التحويلية[4]

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص ص 211-212.

[2] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 110.

[3] المرجع نفسه، ص 110.

[4] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 212.

أو هي المشير الركني الذي يحتوي على العناصر الأولية التي تكوّنها قواعد إعادة الكتابة. والمشير الركني لا يعدو أن يكون المشير الضمني الذي تولده القواعد الركنية ويتم إجراء التحويلات عليه لبناء الجمل في البنية السطحية.

أو هي:" المشير الركني الضمني الذي تولد القواعد الركنية والذي يتم إجراء التحويلات عليه لبناء الجمل في البنية السطحية"[1]

وتتميّز البنية العميقة بما يلي:

- إنّها البنية المُوَّلَدَةُ في قاعدة التركيب بواسطة قواعد إعادة الكتابة والقواعد المعجمية.
- إنّها البنية التي تمثّل التفسير الدلالي للجملة
- إنّها البنية التي يمكن لها أن تحوّل بواسطة القواعد التحويلية إلى بنية سطحية[2]

- **البنية السطحية:**

هي "البنية الظاهرة عبر تتابع الكلام الذي يتلفظ به المتكلم"[3] فهي نتاج العملية التوليدية التي يقوم بها المكوّن التركيبي؛ أي هي الشكل الصوتي النهائي للتتابع الكلامي المنطوق فعلا. فهي إذا ترتبط بالأصوات اللغوية المتتابعة ويتم تحديد التفسير الصوتي للجمل عبرها[4]

إذا البنية السطحية تتمثل في " الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل، أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات أو الرموز، وحسب التحويليين فإنّ هاتين الجملتين: كتب أحمد الرسالة وكُتِبَتْ الرسالةُ من قبل أحمد. لا تختلفان إلّا

[1] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 111.
[2] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 247.
[3] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 111.
[4] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 247.

من الناحية التركيبية؛ أي على مستوى البنية السطحية، ولكنّهما مرتبطتان ارتباطا وثيقا على مستوى البنية العميقة[1]

ومهما يكن فإنّه يمكن القول بأنّ:

-البنية السطحية ترتد إلى بنية عميقة، وهي البنية الفريدة القادرة على تقديم التفسير الكافي للتركيب، ومن ثمّ فإنّ التحويلات المحتمل إجراؤها مهما تعددت فإنّها لا تغيّر شيئا من المحتوى الدلالي للتركيب[2]

-لقد نجم عن التمييز بين البنية العميقة والبنية السطحية إدخال المكوّن الدلالي في صلب القواعد التوليدية والتحويلية

*** إدخال المكوّن الدلالي في صلب القواعد التوليدية والتحويلية:**

لقد بات من الضروري إدراج المكوّن الدلالي في صلب القواعد، انطلاقا من تحديد النظرية للقواعد من حيث هي تقرن الصوت بالمعنى، فالمكوّن الدلالي يضفي على البني التركيبية التمثيلات الدلالية[3]. وهو ما نقف عليه بشكل مكثّف في العنصر الموالي (قواعدالنظرية النموذجية).

- **قواعد النظرية النموذجية:**

مما هو جدير بالإشارة هو أن النظرية التوليدية التحويلية في مرحلتها الجنينية (مرحلة البنى التركيبية) أهملت الجانب الدلالي، غير أنّ "تشومسكي" استدرك ذلك في كتابه (أوجه النظرية التركيبية) (1965) [4]، حيث " يكمن الاختلاف بين النظرية الكلاسكية (مرحلة البنى التركيبية) والنظرية النموذجية في إضافة صندوق (box) للقواعد في هذه المرحلة أطلق عليه اسم المكوّن الدلالي"[5]

---

[1] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 212.

[2] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 305.

[3] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 112.

[4] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص302.

[5] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 231.

ومن هنا أصبحت النظرية التوليدية التحويلية منوالا لسانيا ذا مكوّنات ثلاثة: مكون تركيبي – مكون دلالي –مكون فونولوجي. [1]

1 – المكوّن التركيبي:

يعد المكوّن التركيبي المكوّن التوليدي الوحيد الذي يفرد لكل جملة بنية عميقة؛ التي تمثّل التفسير الدلالي للجملة، وبنية سطحية التي تمثّل التفسير الفونولوجي للجملة.[2]

ويتألف المكوّن التركيبي من مكوّنين:

- المكوّن الأساس: يرتبط هذا المكوّن بالبنية العميقة

- المكوّن التحويلي: يرتبط بالبنية السطحية[3]

1 1 – المكوّن الأساس:

يحتوي على قواعد إعادة الكتابة* التي بواسطتها يتم توليد المشير الركني الذي يعدّ البنية العميقة للجملة المولّدة.[4]

ونمثّل لعمل قواعد إعادة الكتابة بالمشير الركني:

ج ⟵ ركن الإسناد + ركن التكملة

ركن الإسناد ⟵ ركن فعلي+ ركن اسمي

ركن فعلي ⟵ زمن + حدث

ركن اسمي ⟵ تعريف + اسم

---

[1] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص302.

[2] المرجع نفسه، ص 246.

[3] المرجع نفسه، ص 247.

* أي إعادة تفريع الركن النواة إلى الأركان الفرعية التي يمكن له أن يتألف منها إلى أن ينتهي إلى الصورة النهائية التي لا يتجلى فيما عداها، وهي الصورة القابلة لإدخال المداخل المعجمية، وقابلة أيضا لإجراء القواعد التحويلية المختلفة. ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 302.

[4] المرجع نفسه، ص 247.

ركن التكملة ⟵ ركن حرفي

ركن حرفي ⟵ حرف + اسم

ركن اسمي ⟵ تعريف + اسم

ويمكن توضيح ذلك بالمشير الآتي:

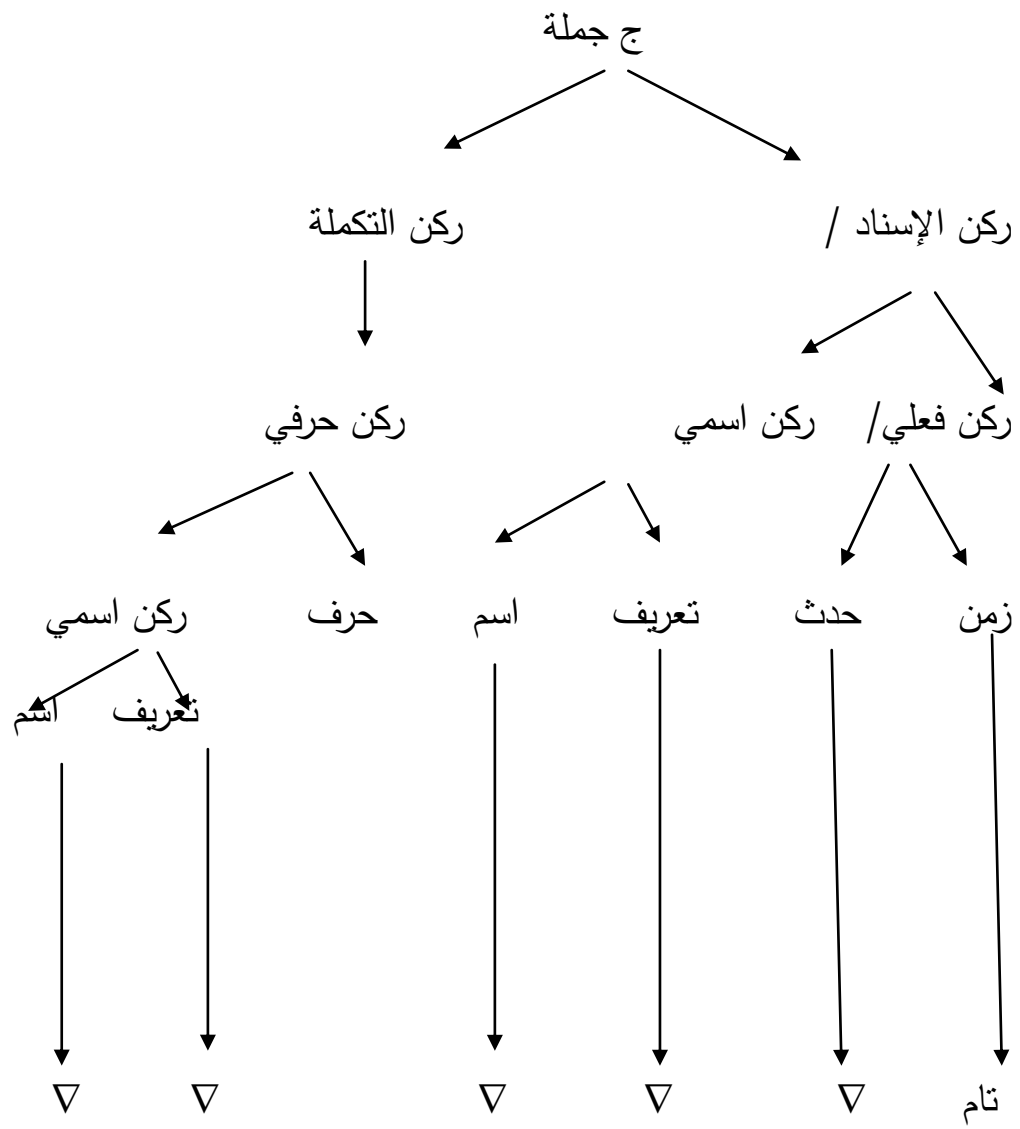

يمكن لنا إعادة كتابة العنصر المستعار ∇ بإدخال المفردة المعجمية المناسبة وفق السمات المختلفة التي يأخذها ذلك العنصر في التركيب، وبهذا يتم توليد المتوالية الكلامية التي تأخذ شكلها النهائي في البنية السطحية، بعد إجراء التحويلات عليه[1]

1 2 – المكوّن التحويلي:

يعد المكوّن التحويلي نظاما من القواعد التي تساعد على تحويل البنية العميقة إلى بنية سطحية، عن طريق الحذف والزيادة والتقديم والتأخير حتى تفضي بها إلى شكلها الصوتي النهائي الذي تأخذه في البنية السطحية[2]

2 – المكوّن الفونولوجي:

يقتصر دوره على تحديد الشكل الصوتي للجملة التي يولدها المكوّن التركيبي، ويوفر لها تفسيرا قائما على أساس قواعد فونولوجية خاصة بكل لغة[3]

3 – المكوّن الدلالي:

بعد التمييز بين البنية العميقة بوصفها مخرجا لقواعد المكوّن الأساس، والبنية السطحية بوصفها مخرجا للقواعد التحويلية، أصبح من اللازم إدخال المكوّن الدلالي الذي أهملته التوزيعية، والتوليدية التحويلية في مرحلة البنى التركيبية (1957)[4]

كانت أول محاولة جادة لإدماج التحليل التركيبي في التحليل الدلالي تلك المحاولة التي قام بها "كاتز" وفودور"(1963) و"كاتز" و"بوسطال" (1964) وهي المحاولة التي تبناها تشومسكي فيما بعد لإعادة صياغة منوال النظرية التوليدية التحويلية؛ التي أضحت تنعت حينئذ بـ:"النظرية النموذجية".

---

[1] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 248.

[2] المرجع نفسه، ص 249.

[3] المرجع نفسه، ص 249.

[4] المرجع نفسه، ص 249.

لقد افترض "كاتز وبوسطال" أنّ التفسيرات الدلالية للتركيب تتم في المجال الإجرائي للبنية العميقة دون سواها، ولذلك كل المعلومات التي يقدّمها المكوّن الدلالي تتوافر في مستوى البنية العميقة، أمّا التحويلات التي يحتمل إجراؤها على هذه البنية فلن تغيّر شيئا من المحتوى الدلالي للتركيب.

لقد أوحت الفرضية اللسانية التي أرسى أساسها الثلاثي (كاتز–فودور–بوسطال) إلى تشومسكي بأن يعيد النظر في منواله التركيبي الذي وضعه سنة1957، فاستدرك بذلك ما فاته في مجال التفسير الدلالي للبنى التركيبية، حيث ملأ الفجوة المنهجية، أي إدراج الدلالة في التركيب [1] حيث تتم عملية إدماج الدلالة في التركيب عن طريق ما يسمى بقواعد الإسقاط * مما يؤدي إلى تخصيص كل جملة بتفسير دلالي.[2]

ويمكن لنا توضيح جهاز النظرية التوليدية التحويلية بالشكل الآتي:

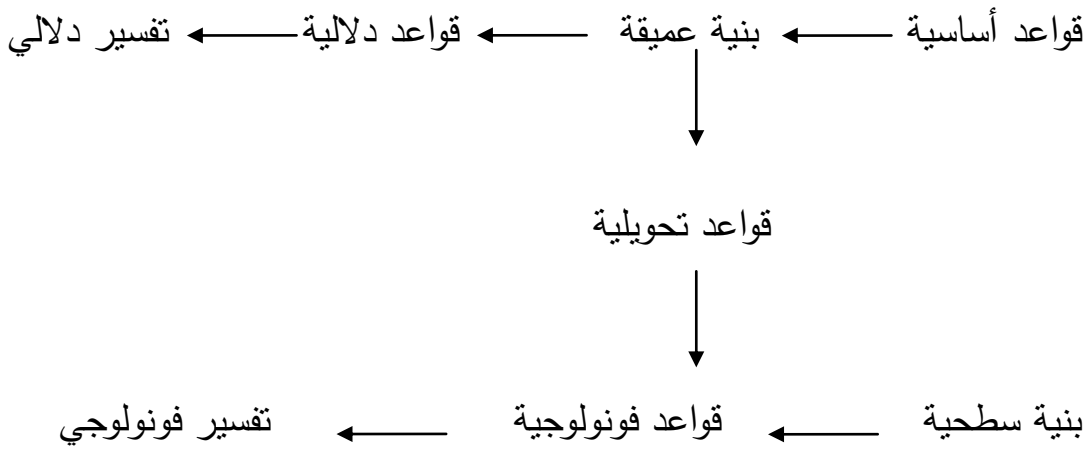

[1] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص301.

* الإسقاط: هو مصطلح من المصطلحات الرياضية، إسقاط نقطة على مستقيم معلوم لتشكيل زاوية قائمة، ويدل في الفيزياء الضوئية على إرسال شبكة من الأشعة نحو مركز معيّن، وفي علم النفس التحليلي يستعمل في عبارة لوحة الإسقاط؛ وهي لوحة بيضاء تُلطخ بطريقة اعتباطية بنقاط سوداء، ويطلب من المريض التعبير عما يشاهده في هذه اللوحة، فالعملية التي يقوم بها المريض ههنا هي عملية إسقاط. ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 249.

[2] المرجع نفسه، ص 249.

ما يمكن ملاحظته في هذا الشكل هو أنّ القواعد الدلالية المتعلقة بالمكوّن الدلالي وهو مكوّن تفسيري*، تعمل بمعزل عن القواعد التحويلية التي ترتد إلى المكون التركيبي، إذ لا يتعدّى إجراؤها الحيز اللساني للبنية العميقة، ومن ثمّة فإنّ القواعد التحويلية سواء كانت اختيارية أم إجبارية لا تغيّر شيئا من المحتوى الدلالي للتركيب، وما كان ذلك إلّا لأنّ البنى السطحية المشكلة بواسطة القواعد التحويلية ترتد في مجملها إلى بنية عميقة واحدة، وهي البنية الجوهرية القادرة على تقديم التفسير الكافي للتركيب.

وكان ذلك؛ لأنّ المنوال التوليدي التحويلي يعوّل في تأسيس منهجه على فرضية لسانية مؤدّاها أنّ المتكلم– المستمع المثالي للغته أثناء أدائه أو تلقيه الفعلي للكلام يفسّر الجملة على نحو تركيبي؛ أي يقوم بعملية إسقاط معاني المداخل المعجمية على الأركان التركيبية.[1]

إذا لا يتم التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي عن طريق ما يوفره لهم الرصيد المعجمي من مداخل معجمية التي هي في حقيقتها وحدات لسانية عجماء مكبلة بقيود حقلها، بل يتم التواصل الحقيقي بين أفراد المجتمع عن طريق التركيب بين الوحدات اللسانية، وفق ما يسمح به طابع اللغة الخطّي في ظلّ الكفاية اللغوية التي يمتلكها المتكلم المستمع المثالي للغته[2]

ثمّ إنّ المكوّن الدلالي يتبدى في مجالين:

- **مجال المعجم:** وهو جرد مفتوح من المداخل المعجمية تتفاوت فيما بينها مبنى ومعنى في ظل التمايز من حيث قبولها سمات فونولوجية وتركيبية.

* المكوّنان الدلالي والفونولوجي هما مكوّنان تفسيريان ليس إلّا. ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص302.

[1] المرجع نفسه، ص303.

[2] المرجع نفسه، ص304.

- **مجال قواعد الإسقاط:** وهي القواعد التي بواسطتها يتمكن المتكلم أو المستمع من إسقاط معاني المداخل المعجمية على العقد الركنية في التركيب، ومن هنا يتم تفسير الجملة على نحو تركيبي.[1] وقد سميت بقواعد إسقاط لأنّها تسقط المعنى على بنيية معينة[2] ثمّ إنّ لهذه القواعد هدفان:

أ -التمييز بين الجمل الأصولية والجمل غير الأصولية (أي غير مقبولة مبنى ومعنى)

ب -تقديم مواصفات وظيفية لدلالة الجملة المقبولة[3]

- **الأسس النظرية والمنهجية لنظرية النحو التوليدي في مرحلة(النظرية المعيار):** من أهم هذه الأسس:

1 -وضع نماذج للتحليل اللساني ذات طبيعة صورية تمكن من تفريع التمثيلات اللسانية المتنوعة يكون هدفها توليد الجمل النحوية ولا شيء غير الجمل النحوية

2 -تحديد اللغة بوصفها نحوا صوريا توليديا (بالمعنى الرياضي لكلمة توليد: الوضوح والدقة والبساطة)؛ أي نسقا من القواعد، ويتكون هذا النسق من مجموعتين من القواعد:

أ -القواعد المركبية وهي قواعد إعادة الكتابة التي تنتج البنيات العميقة

ب-القواعد التحويلية التي تحوّل البنيات العمليقة إلى بنيات سطحية

3 -استقلالية المكوّن التركيبي عن الدلالة وعن غيرها من المكوّنات المعرفية الفاعلة في استعمال اللغة وتداولها

4 -اعتبار القدرة اللغوية عند الأفراد جزءا من الملكة المعرفية العامة

---

[1] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص305.

[2] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 117.

[3] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص307.

5 -البحث في الكليات اللسانية بنوعيها المادي والصوري، وتتجلى الكليات المادية في الخصائص الصوتية والسمات التركيبية والدلالية المشتركة بين اللغات، أمّا الكليات الصورية فتتجلى في نوعية القواعد الشكلية المتبعة في أنحاء اللغات الطبيعية [1]

3-المرحلة الثالثة:(النظرية النموذجية الموسعة/ النظرية المعيارية الموسعة 1972):

بعد ظهور النظرية النموذجية سنة 1965 واختبارها في الميدان، اتّضح لتشومسكي أنّه لا يمكنها أن تولد كل التراكيب اللغوية بطريقة مرضية وفعالة، فعمد إلى تطويرها وتنقيحها، وإعادة النظر في المكوّن الدلالي على وجه الخصوص. وقد أطلق على هذه المقاربة الجديدة: النظرية النموذجية الموسعة، وبدا هذا التنقيح جليا في ثلاثة مقالات لتشومسكي جمعت في مؤلف واحد بعنوان: دراسات الدلالة في القواعد الدلالية[2] سنة 1972 ويطال هذا التجديد في النظرية مدخلات المكوّن الدلالي -كما أسلفنا- أو البنى التي يعمل عليها هذا المكوّن، فهذه البنى لم تعد مقتصرة على البنية العميقة وحدها بل أصبح المكوّن الدلالي يتعامل مع بعض البنى السطحية[3]

ويهدف تشومسكي من وراء هذه المقالات إلى إقامة نظرية معجمية تأويلية، وذلك بالتركيز بصورة أساسية على مكانة البنية العميقة، وتقليص عدد القواعد التحويلية، وإدراج القواعد المعجمية أكثر فأكثر، وقد رفض دعوة علماء الدلالة التوليدية التي ترمي إلى الدفع بالبنية التركيبية العميقة إلى درجة تجعلها غير متميزة عن المستوى الدلالي، وحجته في ذلك أنّ التراكيب التي خصّصت لها بنى تحتية مماثلة في الدلالة التوليدية تظهر في الواقع اختلافات تركيبية معتبرة، لا يمكن تبيينها من خلال الاختلاف في الاشتقاق التحويلي، وإنّما من خلال الاختلاف في البنية العميقة، وبما

---

[1] مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، ص ص 195-196.

[2] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص ص 232-233.

[3] ينظر: ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 118.

أنّ هذه الظاهرة تنطبق على الجمل المرادفة، فإنّ مستوى البنية العميقة–في رأيه– يجب أن يكون متميّزا عن مستوى التمثيل الدلالي، وأنّ النحو يجب أن يحتوي على مكوّن دلالي تفسيري [1]

ومهما يكن من أمر؛ فإنّ النظرية المعيار الموسعة تتميز بالافتراضات التصورية الكبرى الآتية:

1 -الإبقاء على مبدإ مركزية التركيب واستقلاليته في التوليد

2 -رفض الطروحات الأساس للدلالة التوليدية المتمثلة في:

أ -القول بأن التمثيلات العميقة للتركيب تمثيلات منطقية دلالية

ب - وجود روابط متينة بين التركيب والدلالة، وبين التركيب والتداول عن طريق ما عرف بالفرضية الإنجازية عند "**روس**"، وتقوم هذه الفرضية على القول بإسناد محمول إنجازي في البنية العميقة للجمل من أجل تفسير وتبيان قيمتها التداولية

3 -إسهام التمثيلات السطحية في التأويل الدلالي للجمل بعد أن كان التأويل الدلالي للجملة في النموذج المعيار منحصرا في البنية العميقة

4 -وضع افتراض عام يتعلق بطبيعة البنية الداخلية لمكونات الجملة الكبرى (المركب الاسمي والمركب الفعلي والمركب الوصفي)، وهو الافتراض المعروف بنظرية(Tbeorie X barre)

5 -ضبط الآليات المتعلقة بإجراء التحويلات، ووضع القيود أو الشروط على قواعد التحويلات وتقليص عددها ونوعها ودورها في التوليد[2]

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 233.

[2] ينظر: مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، ص 196.

4 – المرحلة الرابعة (نظرية الأشكال المنطقية والقواعد الكلية 1977):

اتجهت أبحاث تشومسكي في هذه المرحلة إلى التركيز على الأشكال المنطقية والقواعد الكلية، معتمدا في ذلك على المنطق والرياضيات والبيولوجيا[1] وهو ما تبلور في كتابه: (دراسات في الشكل والتفسير)* الذي صدر سنه 1977 ويشير هذا المؤلف إلى نوعين من قواعد التفسير الدلالي من خلالهما يتم تمثيل المعاني في إطار النظرية التوليدية والتحويلية:

أ – قواعد التفسير الدلالي التي هي جزء من قواعد الجملة والتي تتناول مظاهر موضوع الكلام ومظاهر التكرار فتكوّن الشكل المنطقي

ب – قواعد التفسير الدلالي التي يتم إجراؤها على الأشكال المنطقية، والتي تتداخل مع بقية البنى الإدراكية[2]

5 – المرحلة الخامسة (نظرية المبادئ والوسائط/ منوال التحكم والربط / منوال المبادئ والمقاييس 1981):

إنّ نظرية (المبادئ والوسائط) تشكل منعطفا جديدا في تطور الأنموذج التوليدي، وتبدأ مع المحاضرات التي ألقاها تشومسكي في جامعة (Pise) الإيطالية سنة 1981 وتقسم هذه النظرية إلى فرعين:

- **الفرع الأول** ويعرف بنظرية العمل والربط الممتدة ما بين 1981 و 1985 وتمثلها دراسات تشومسكي التالية:

-Lectures on Government and Binding

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص 234.

* يطلق عليه أيضا: مقالات في الشكل والتفسير. ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 235.

[2] ينظر: ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 119.

-Some concepts and consequences-of the theory of Government and Binding.Trad francaise. Dans la nouvelle syntaxe

-Knowledge of Language

- تشومسكي: المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها.

- **الفرع الثاني** ويعرف بنظرية الحواجز ويجسدها عمل تشومسكي: (Barriers)[1]

ثمّ إنّه في هذه المرحلة تناول تشومسكي " العلاقات القائمة بين اللسانيات البيولوجية والقواعد التوليدية التحويلية، وقد تحدث تشومسكي عن هذه النظرية بطريقة مفصلة في هذين المؤلفين: (أ) محاضرات حول العامل والربط الإحالي (1981) (ب) بعض متصورات نظرية العامل والربط الإحالي وآثارها (1982)"[2]

ومهما يكن من أمر فإنّ هذا المنوال يعدّ من أخصب المناويل التي أنتجتها المدرسة التوليدية، إذ مثّل قطعا جذريا مع الدراسات النحوية القديمة وتأملا جريئا في اللغة، أوقفنا على عقم المنحى التقليدي في وصف الظواهر اللسانية لاعتماده نظاما معقدا من القواعد لا يصلح في تقصي أبسط الخصائص اللغوية، فكان منوال التحكم والربط بديلا، لذلك ينطلق من تجريد هذه القواعد الثرية والمتنوعة لترتقي إلى مستوى المبادئ العامة، ووضع مجموعة محدودة من الاختيارات البرامتريّة تأخذ في الاعتبار خصوصيات الألسن الطبيعية، فكان ذلك إيذانا بمقاربة أدنوية محتملة ظهرت في بداية التسعينات[3]

"إنّ نظرية التحكم والربط بيّنت أنّ اكتساب نموذج نحوي معقد يعود مسبقا إلى مبادئ فطرية وإلى انتقاء محدود للمقاييس المتوفرة، فقلص هذا المنوال من التواتر الحاصل

---

[1] مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، ص 197.

[2] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 235..

[3] سميّة المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، ص 188.

بين الكفايتين (الوصفية والتفسيرية) ببيانه أنّ الثراء الظاهر وتنوع الواقع اللساني أمر وهمي خادع"[1]

لقد " تمكنت نظرية التحكم والربط إذن من توفير مبادئ رشيقة يسرت إدراك جانب هام من الكفاية الوصفية، لكن النظام برمته لم يكن رشيقا من منظور صاحبه (ن تشومسكي 2002) فهيّأ ذلك لمقاربة أدنوية تراجع النتائج التي وصل إليها منوال المبادئ والمقاييس حسب متطلبات الاقتصاد والبساطة. وظلت الكفاية التفسيرية هدفا يرنو إليه البحث التوليدي في مرحلته الأخيرة، فإذا أمكن بيان أنّ الأنحاء المختلفة تشتق من النحو الكلي بات من اليسير آنذاك تفسير ظاهرة الاكتساب"[2]

وعلى امتداد هذه المناويل كانت العدّة التوليدية في مقاربة الواقع هي التحويلات باعتبارها الفرضية الأساسية التي تتجاوز هذا الواقع وتتكهن به، غير أنّ هذه الفرضية عرفت عدّة صياغات وتعديلات باختلاف تمثّل النظرية للواقع، ففي منوال الأبنية الإعرابية تعددت التحويلات وتنوعت بتنوع المعطيات ممّا أوقع النظرية في التكرار المحصولي للواقع، لذلك تمّ الحدّ منها في منوال النظرية المعيارية، غير أنّ المكوّن التحويلي مازال يطرح إشكالات، إذ لاحظ تشومسكي وجود تحويلات لا يمكن أن تكون في المكوّن الإعرابي، فاشتقاق الاسم مثلا يتحقق في المعجم لذا وجب طرح بعض العمليات من هذا المكوّن وإقحام المعجم، فظهر نتيجة لذلك منوال النظرية المعيارية الموسعة 1972 الذي أسند قيمة هامّة إلى المعجم وضيّق حقل المعالجة التحويلية محققا التوازن بين مكوني الأساس لذا سمي المنوال كذلك بالفرضية المعجمية[3]

لكن ظل منوال النظرية المعيارية الموسعة نفسه يشكو تشغيلا غير منتظم للتحويلات التي بدت حرّة مجانية لا تتناسب وفرضية الاقتصاد والبساطة وتحول دون بلوغ كفاية

---

[1] سميّة المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، ص ص 194- 195.

[2] المرجع نفسه، ص 195.

[3] المرجع نفسه، ص ص 188-189.

وصفية فتفسيرية. فاقترح تشومسكي منوالا بديلا هو منوال التحكم والربط 1981 حيث تمّ حصر التحويلات في تحويل واحد: نقل α

في هذا المنوال بدأت النظرية تبتعد عن القواعد لتعوضها بمفهوم المبادئ التي تنسحب على كل الألسنة البشرية، هذان المفهومان يؤسسان النحو الكلي [ن ك][1]

-خصائص مرحلة (نظرية المبادئ والوسائط)

تتسم هذه المرحلة من النحو التوليدي بجملة من الخصائص نذكر منها:

1 -الانتقال من نظرية قائمة على القواعد الصورية إلى نظرية قائمة على المبادئ العامة التي تتحكم في الألسن الطبيعية

2 -تحديد المبادئ الكلية المشتركة بين جميع الألسن، وتحدد هذه المبادئ العامة ما يعرف بالنحو الكلي

3 -تشكل مبادئ النحو الكلي جزءا من الجهاز البيولوجي الخاص بالجنس البشري يسمح باكتساب الألسن[2]

6 - المرحلة السادسة (النظرية الأدنوية/ النموذج الأدنوي/ البرنامج الأدنوي 1992/ 1995):

هذا النموذج هو الأكثر تقدما في تاريخ اللسانيات التوليدية، وتعدّ هذه النظرية امتدادا طبيعيا للنظرية التي عرفتها المرحلة السابقة، وقد بدأت هذه المرحلة مع بداية التسعينات (1992-1995) في إطار ما عرف بالبرنامج الأدنوي، ويمثل لهذا التصور التوليدي بكتاب تشومسكي: (Tbe Minimalist Program).

يندرج البرنامج الأدنوي في إطار تصور عام للمقاربة العلمية الهادفة لتفسير عام للظواهر المدروسة بأبسط السبل باعتماد استنتاجات صورية قائمة على عدد محدود

[1] سميّة المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، ص 189.

[2] مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، ص 197.

من الفرضيات القادرة على تغطية أكبر قدر من المعطيات والوقائع، ولتحقيق هذه الغاية يتميز البرنامج الأدنوي بسمات البساطة والتقليص والتقتير.

والبرنامج الأدنوي محاولة لتبسيط النظرية إلى أبعد حد، سواء في مستوى الصياغة الصورية، أو في عدد مستويات التمثيل اللساني، ويلعب مبدأ الاقتصاد في صياغة القواعد وعددها ونوعيتها، وفي تشكيل الهيكل العام للنظرية واشتغالها دورا هاما، مما يعني ضرورة وجود عدد ضئيل–حد أدنى– من عمليات الاشتقاق والتمثيلات، ويشكل النموذج المقترح تحولا نظريا لا مثيل له في تاريخ النظرية التوليدية إطلاقا، فقد اقترح مفاهيم جديدة لم تكن واردة في النماذج التوليدية السابقة، كما أنّه اتسم بالتخلي عن جلّ المفاهيم التوليدية والتصورات اللسانية التي كانت متبعة في السابق [1]

إنّ البرنامج الأدنوي امتداد لنظرية العمل والربط من جهة الكشف عن الخصائص العامة للملكة اللغوية وتدقيق آليات اشتغالها، والمبادئ العامة المتحكمة في بنائها، لقد أسفر العمل في نموذج المبادئ والوسائط؛ الذي عرف بنظرية العمل والربط، عن صياغة مجموعة من المبادئ والقيود والوسائط التي تعمل بموجبها الملكة اللغوية، ممّا أدى إلى تدقيق المسلمة الكبرى للنحو التوليدي التي تتبنى عليها فرضية النحو الكلي، ومفادها أنّ المبادئ والقيود التي يوظفها النسق الحاسوبي لصياغة التمثيلات اللسانية موحدة في كل اللغات البشرية، فالبنية الهرمية للمركبات موحدة في اللغات الإنسانية بموجب مبادئ نظرية س(س، خط)، كما أنّ إجراءات النقل والقيود التي تضبط عملياتها موحدة. ومن أهم الأسئلة التي وجهت البحث التوليدي خلال فترة التسعينات، وشكلت منطلقا لتشكيل البرنامج الأدنوي نذكر:

- ما هو التصميم الأمثل للملكة اللغوية، إذا اعتبرنا أنّ اللغة البشرية حل أمثل لمتطلبات الأنساق الوجاهية الخارجية التي تتماس معها الملكة اللغوية؟

[1] مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، ص 199.

- ما هو الحد الأدنى من الخطوات والإجراءات والتمثيلات الحاسوبية التي تنجزها الملكة اللغوية؟[1]

-تصميم النحو في البرنامج الأدنوي:

ينطلق البرنامج الأدنوي في تخصيصه للملكة اللغوية من مسلمات أساسية، أهمها أنّ الملكة اللغوية غير حشوية، وتتميز بسمة الاقتصاد والبساطة والنجاعة الحاسوبية المتمثلة في تقليص التعقيد الحاسوبي عبر إخضاع عمليات الحوسبة التركيبية لقيود اقتصادية، وقد أخذ البرنامج الأدنوي على عاتقه منذ انطلاقته سنة 1992 إلى الآن تدقيق الخصائص الصورية للملكة اللغوية.[2]

تعد اللغة في تصور تشومسكي نسقا ذا تصميم أمثل لأنّها تستجيب للشروط التي تضعها الأنساق الخارجية الإنجازية التي تتماس معها الملكة اللغوية على نحو كامل، ولا يشغل النسق الحاسوبي الذي يعتبر مكوّنا مركزيا في نظام الملكة اللغوية سوى العمليات الضرورية، ولا يستعمل في مسارات التمثيل والاشتقاق سوى السمات والرموز التي تحظى بمقروئية، والتي يمكن أن تبلغها الأنساق الوجاهية، مقصيا الرموز الزائدة في التمثيل التي لا دور لها في الوجاهين ومقصيا في الآن نفسه العمليات الحاسوبية التي لا تستجيب لقيود الاقتصاد الاشتقاقي.

يختزل تشومسكي وفاقا مع الافتراض الأدنوي الرئيس لبرنامجه جهاز النحو في مكونيين أساسيين هما:

- المعجم
- النسق الحاسوبي[3]

---

[1] مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، ص 365.

[2] المرجع نفسه، ص 366.

[3] المرجع نفسه، ص ص 366-367.

أ -**المعجم:**

يرمز المعجم في البرنامج الأدنوي لكل الخصائص الفرادية للمداخل المعجمية، وهي خصائص لا تضبطها مبادئ النحو الكلي، أو مبادئ الأنحاء الخاصة، ويمثل المعجم للخصائص الصواتية والصورية والدلالية للمفردات بشكل مصفوفات، بحيث لا يدمج إلّا السمات التي لا يمكن التنبؤ بها، مثلا من خصائص الاسم ترميز السمات الصرفية مثل الجنس والعدد أو الشخص، وبما أنّ هذه السمات متنبأ بها انطلاقا من الطبيعة المقولية للأسماء [+س]، لا نحتاج إلى التنصيص عليها، باستثناء الوحدات المعجمية الاسمية التي تحمل سمة اسمية فرادية، مثل: (إبل) و(قوم)؛ التي تحمل سمة الجمع بشكل فرادي، ولا يمكن التنبؤ بها من الصورة اللفظية للكلمة، فبموجب عدم التنصيص على كل السمات، تحمل الكلمة (امرأة) سمة [+س] فقط كخاصية مقولية ملازمة، أمّا السمات الإعرابية والتطابقية مثل الجنس والعدد والشخص فهي ضمن اختصاص المبادئ العامة، إذ ليس هناك في الصورة المعجمية الخالصة للكلمة (امرأة) كما ترد في المعجم ما ينبئ بصورتها الإعرابية مثلا، لأنّها تبنى في التركيب في سياقات شجرية معينة، ومن هنا يأتي دور "التعداد" الذي يشكل الوسيط بين المعجم والنسق الحاسوبي الذي لا يبلغ المعجم مباشرة، وإنّما يستعمل فقط العناصر المعجمية التي يوفرها له التعداد لاشتغاله، فأحد الأدوار الرئيسية للتعداد من بين أدوار أخرى توفير السمات التي لا يمكن التنبؤ بها بالنسبة إلى الكلمات المشار إليها سلفا، فإعراب (امرأة) سمة تضاف في التعداد[1]

ب - **النسق الحاسوبي:**

يعد النسق الحاسوبي مركزيا في تصميم النحو في البرنامج الأدنوي، فالخصائص العامة للملكة اللغوية تحدّد في هذا المجال الذي تضبطه عمليات وإجراءات دقيقة في بناء التمثيلات وتوليد الاشتقاقات، ويخضع النسق الحاسوبي لمبادئ عامة

[1] مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، ص 367.

أهمها على الإطلاق "مبادئ الاقتصاد في الاشتقاق" و"التمثيل" و"مبدأ التأويل التام".

يضم النسق الحاسوبي عمليات أساسية تتمثل في:

- انتق
- ضم
- انقل

ويفضي النسق الحاسوبي في نهاية الاشتقاق إلى عملية يصطلح عليها تشومسكي بـ: التهجية.[1]

وقد كان من أهداف تشومسكي في هذه المرحلة (النظرية الأدنوية) البحث عن تطور اللغة الداخلية (ل دا) عندا المتكلمين. فمصطلح اللغة الداخلية (Internal langage) استعمله تشومسكي (1995) وهو مصطلح يعكس تصوّر اللغة على أنّها نظام موجود داخل الدماغ"[2]

ويبلغ نمو اللغة الداخلية درجة عالية في العام الثاني الذي يوافق ما أسماه بينكر(1994) بمرحلة "الانفجار النحوي" ويعكس مصطلح الانفجار النحوي أنّ القدرات اللسانية فطرية في الإنسان كامنة فيه، وبمجرد بلوغ الطفل العام الثاني تنفجر هذه القدرات لتتحول من مرحلة الكمون إلى مرحلة الظهور بشكل يبرز القدرة الإبداعية لدى الطفل في فهم الجمل وإنتاجها[3]

" وقد حافظ تشومسكي حتّى البرنامج الأدنوي على تصوره للمقدرة اللغوية ولكنّه استبدله بمصطلح اللغة الداخلية الذي يعكس تصوره للغة على أنّها نظام موجود

---

[1] مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، ص 370.

[2] ينظر: سميّة المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، ص ص 190-191.

[3] المرجع نفسه، ص 191.

داخل الدماغ، وعاد تشومسكي (2000-2005) لاستعمال مصطلح المقدرة اللغوية"[1]

وقد خصص تشومسكي افتراضه العام بآخر يتعلق بمكونات المقدرة اللغوية التي حصرها في برنامجه الأدنوي في مكونين اثنين:

-نظام عرفاني: يختزن المعلومات.

-أنظمة إنجازية تمكن من استعمال تلك المعلومات بطرق مختلفة.[2]

ومهما يكن " فقد تجاوز البرنامج الأدنوي اعتبار الظاهرة اللغوية موضوع دراسة لتصبح مجرد مصدر يزودنا بمعلومات حول الآليات الفيزيائية والذهنية المسيرة للغة الداخلية والمشغلة لها. ولا شك أنّ البحث في هذه الآليات من شأنه أن يحرج العلوم البيولوجية والعصبية التي لم تتوصل بعد إلى معرفة هذه الآليات وضبط كيفية اشتغالها، بل لعل أهمّ مأزق وضعها فيه التصور العرفاني للغة هو اعتبار المقدرة "عضوا ذهنيا" ينتمي إلى بنية عضوية أكبر"[3]

وفي إطار هذا التصور العرفاني اعتبر تشومسكي المقدرة اللغوية عضوا ذهنيا تماما كما نتحدث عن الدورة الدموية أو عن النظام البصري باعتبارها جزءا من البنية العضوية (ن بولوك 1997 المقدمة 14) وتكون الحالة الابتدائية للمقدرة اللغوية تعبيرا للجينات يماثل الحالة الابتدائية للنظام البصري البشري (تشومسكي 2002، 85).[4]

ومهما يكن فإنّ تشومسكي لم يقف عند اعتبار " اللغة نشاطا عرفانيا بل طوّر هذا الافتراض وخصّصه في بحوثه الأدنوية لتصبح اللغة عضوا له خصائصه المميزة في إطار بنية الجسد التي تتميز بالتعقيد، هذا التعقد هو خاصة كلّ الأنظمة البيولوجية،

---

[1] سميّة المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، ص ص 195-196.

[2] المرجع نفسه، ص 196.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 196.

[4] المرجع نفسه، ص 197.

إلّا أنّ فرضيات عمل مثمرة حققتها الأدنوية ترى أنّ المقدرة اللغوية تتسم في مستوى بنيتها الأساسية بالبساطة والأناقة وليست تلك خاصية الأنظمة العضوية المعقدة (تشومسكي 1995، 29). ويمثّل هذا الافتراض بشكله المتطور جانب الجدّة في البرنامج الأدنوي، فالبحوث التوليدية سابقا لم تهتم بتقصي جانب الامتياز والكمال في اللغة، بل وجهت اهتماماتها نحو الآليات التي يشتغل وفقها الدماغ لتتحقق اللغة، دون سعي نحو تحديد مدى تفرد هذا النشاط بالقياس إلى الأنظمة العرفانية الأخرى، إلّا أنّها في سياق تقاطع النظرية مع بقية العلوم انفتح البرنامج الأدنوي على سؤال جديد فرضته خصائص الاقتصاد والبساطة واللاإطناب التي تسيّر الأبنية النحوية هو: (تشومسكي، 1995، 9)

إلى أي مدى تتسم اللغة بالكمال؟

ولبلوغ هذا الهدف ركز البرنامج الأدنوي على تحديد شروط البنية النحوية الموافقة* والعمليات المؤدية لها.[1]

وقد أعاد تشومسكي صياغة السؤال الآنف الذكر في إطار البحوث الأدنوية على النحو التالي:

كيف تتسم المقدرة اللغوية بحسن التصميم؟ (تشومسكي، 2000، 92).

وهو سؤال مثير للدهشة لكن قد يكون السؤال مشروعا من وجهة نظر بيولوجية. وقد اقتضى البحث في المقدرة اللغوية النظر في تعاملها مع أنظمة عرفانية أخرى خارجة عنها فكان السؤال التالي:

هل النظام جيّد التصميم للتعامل مع الأنظمة الداخلية للفكر؟ (تشومسكي، 2002، 107).

* تكون البنية موافقة إذا كان تمثيلها الصوتي لا يحتوي إلّا سمات قابلة للتأويل صوتيا وكان تمثيلها المنطقي لا يحتوي إلّا سمات قابلة للتأويل دلاليا.

[1] سميّة المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، ص 198.

وهو سؤال يختلف عن السؤالين الآنفين لأنّه يتصل بعلاقة اللغة بهندسة الفكر برمته، وقد استعمل تشومسكي القياس لتوضيح هذا السؤال فمثّل لذلك بـ:" الكبد" باعتباره عضوا من أعضاء الجسد، فيمكن أن نكتشف أنّ الكبد قد صمم تصميما سيئا لا يتناسب وخصائص الحياة في إيطاليا؛ لأنّ الناس هناك يحتسون الكثير من الخمر، فيتسبب ذلك في تنوع إصابتهم بمرض الكبد، لكن ذلك لا يمنع أن يكون الكبد قد صمم تصميما حيّدا عند تعامله مع نظام الدورة الدموية مثلا أو الكلى(تشومسكي، 2002، 107).

لذا تحول السؤال عن مدى جودة تصميم النظام اللغوي في حد ذاته أي في إطار وظيفته التواصلية إلى سؤال حول جودة التصميم بالقياس إلى البنية العضوية الداخلية برمتها.

هذا ما مثّل جانب الجدّة في البرنامج الأدنوي وهو ما تسعى التوليدية إلى الإجابة عنه، فأضافت مفهوما جديدا هو مفهوم "**الوجيهة**"[1] وهو تصوّر يوضح التعامل بين نظام اللغة العرفاني وأنظمة عرفانية خارجية، وقد حصرها تشومسكي في نظامين اثنين: النظام النطقي– الإدراكي والنظام التصوري –القصدي، ويتيسر هذا التعامل عن طريق الوجيهتين اللسانيتين: الصورة الصوتية (ص ص) التي تتواجه مع النظام الأول الخاص بإنتاج الخطاب ويرمز إليها تشومسكي بـ"π"، والصورة المنطقية (ص م) التي تتواجه مع النظام الثاني الخاص بمعرفة الخطاب وتأويله ويرمز إليها بـ"λ". وقد أقصى تشومسكي في البرنامج الأدنوي البنية العميقة والبنية السطحية من هندسة التمثيلات إذعانا لاعتبارات الاقتصاد، فالأولى وجيهة داخلية بين المعجم والنظام الحوسبي فلا تنخرط بذلك في سياق التفاعل بين الأنشطة العرفانية بل تخص النظام اللغوي في بنيته الداخلية، أمّا الثانية فلا يمكن أن تزودنا إلّا بمعلومات ضبابية لأنّه من الخطأ الاعتقاد أنّ خصائص المقدرة اللغوية يمكن أن

[1] سميّة المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، ص 199.

تلاحظ في مكوّن واقعي من العالم الطبيعي، لذا جوّز الاستغناء عن البنية السطحية"[1]

" إذن أسند تشومسكي كل الأهمية للصورتين: الصوتية والمنطقية اللتين تتفاعلان تباعا مع النظامين: النطقي – الإدراكي، والتصوري– القصدي باعتبارهما نظامين عرفانيين داخليين في الفكر، خارجيين عن المقدرة اللغوية التي تتعامل معهما حتّى تصبح قابلة للاستعمال.

إنّ إثبات قدرة اللغة على التفاعل مع أنظمة عرفانية خارجية يعني أنّها جيّدة "التصميم" تماما كالكبد مثلا فلو لم ينتج مادة صالحة تجعله قادرا على التفاعل مع بقية الأعضاء لبات رديء التصميم"[2]

[1] سميّة المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، ص 200.

[2] المرجع نفسه، ص 202.

1 أهمية النظرية التوليدية والتحويلية:

تكمن أهميتها في " أنّها وضعت الألسنية وجها لوجه أمام قضايا لم تتطرق إليها بل لم تدركها في السابق، وافتتحت تاليا مرحلة جديدة من التأملات الألسنية بدأ تأثيرها يظهر خارج مجال الألسنية، فالنظرية الألسنية التوليدية تؤمن أنّ بنية اللغة تحددها بنية العقل الإنساني، وأنّ خصائص اللغة الكلية دليل بأنّ هذا الجزء من الطبيعة الإنسانية مشترك في الجنس الإنساني، فارتفعت من هذا المنطلق بدراسة اللغة إلى مصاف دراسة المعرفة اللغوية التي هي خاصة إنسانية مميزة وجزء لا يتجزأ من المعرفة الإنسانية بصورة عامة.

وقد قدمت الألسنية التوليدية والتحويلية التحاليل المتماسكة والملاحظات المثيرة للاهتمام حول المعرفة اللغوية الفطرية والمكتسبة، وركزت على أنّ الإنسان مهيّأ بصورة فطرية لكي يتعلم اللغة، ولعلّ ما أثار اهتمام الفلاسفة وعلماء النفس والمنطق هو أنّ الألسنية التوليدية والتحويلية قد توصلت عبر إدراك خصائص اللغة الإنسانية إلى نتائج مهمة في إطار إدراك الإنسان الذي يستعمل اللغة، وقدمت البراهين المستمدة من طبيعة اللغة لدراسة طبيعة العقل الإنساني"[1]

2 أهداف النظرية التوليدية:

أ -الاكتساب اللغوي:

" افترض تشومسكي معرفة فطرية باللغة تمكن الطفل من قدرة بارعة على اكتساب لسان ما وحذقها في فترة وجيزة دون الحاجة إلى التعلم. من هنا سطّر تشومسكي هدف بحوثه اللسانية حول ظاهرة الاكتساب باعتبارها نقطة التحول من الحالة العرفانية الابتدائية للفكر إلى الحالة الموافقة للسان الطبيعي، فلا يكون الطفل بذلك

[1] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 101.

مؤهلا لاكتساب لسان دون آخر لأنّ البنية الأساسية للغة موحدة داخلية لا تأتيه من الخارج"[1]

وذهب إلى أنّ معرفتنا اللسانية ليست موضوع تعلم حقيقي، بل تنمو في الإنسان بصفة طبيعية دون أن تتطلب منه بذل مجهود من قبيل الحفظ أو التكرار أو إصلاح الخطأ

ومهما يكن فإنّ الاكتساب اللغوي" يقتضي البحث في الكليات المشتركة بين الألسن، هذه الكليات هي التي تسمح بالتحول من الحالة العرفانية الابتدائية إلى الحالة الموافقة للسان طبيعي ما"[2]

ب – الكفاية الوصفية والكفاية التفسيرية:

" المقصود بالكفاية الوصفية أن توفر النظرية نحوا وصفيا يتطابق مع كل لسان طبيعي، أمّا الكفاية التفسيرية فتخص الحالة الابتدائية أي تفسير ظاهرة الاكتساب وتحديد القدرات الفطرية التي تجعل هذا الاكتساب ممكنا.

إن الكفاية الوصفية والتفسيرية مشغل من مشاغل النحو بل مشغل كل نظرية تروم استيعاب الواقع، لكنّ التوليدية تتصور النحو انعكاسا للمعرفة اللسانية الفطرية، وهذا ما يجعلها مطالبة بتفسير كيفية اكتساب الطفل للسانه، فتكون الكفاية عندها كفاية نفسية بالدرجة الأولى قبل أن تكون إبستيمولوجية"[3] بناء على هذا يقول همبولدت عن الكفاية الوصفية، أن" يحقق إنجازا غير متناه لوسائل متناهية"[4]

ومهما يكن فإنّ هذا الهدف؛ أي إدراك (الكفاية الوصفية والكفاية التفسيرية)" هدف ترنو إليه كل نظرية علمية تسعى لاستيعاب الواقع المدروس، غير أنّ الكفاية التفسيرية في التوليدية ارتبطت ارتباطا وثيقا بمفهوم الاكتساب اللغوي، لذلك لم تكن

---

[1] سميّة المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، ص 190.

[2] المرجع نفسه، ص 211.

[3] المرجع نفسه، ص 193.

[4] المرجع نفسه، ص 193.

غاية النظرية تفسير الأبنية في حدّ ذاتها والوقوف على كيفية اشتغال لسان ما كما هو الحال مع الأنحاء التقليدية مثلا، بل غايتها تفسير الاكتساب وتحديد القدرات الفطرية الكامنة في الدماغ"[1]

-محصول الحديث:

1 - يرجع النحو التوليدي بالدرس اللغوي من ملاحظة الظواهر ووصفها إلى محاولة تفسيرها ووضع النظرية، ليعصم اللغة من سكونها ويمنحها طابعها الإبداعي الخلّاق، ولذلك يعتمد في تقعيده وتمثيله على المنطق والرياضيات، ليضفي على اللغة الصبغة العلمية المنضبطة، متخذا من الجملة أساسا في التحليل، ويفترض أنّ الإنسان ينتج كلامه وفقا لهذه القاعدة الصورية؛ مما اقتضى البحث في إيجاد العلاقة بين العقل واللغة، والعناية بالمكوّن البيولوجي لها، والتعامل معه مثل أيّ مكوّن بيولوجي آخر، بوصفه العضو الذي يسمح للإنسان بإنتاج وتفسير عدد لا محدود من الجمل التي لم يسبق أن سمعها من قبل، وبوصف اللغة أهمّ خصائصه، وهذا ما جعل المنهج التوليدي يعيب على المناهج البنيوية التوقف عند أشكال اللغة المنجزة.[2]

2 - حاول هذا التيار أن يركز اهتمامه على المستويات العليا للكلام؛ أي التراكيب والجمل، معتبرا أنّ الطفل يولد مزودا بقابلية لاكتساب اللغة، وأنّه من خلال سماعه جمل لغته، يكتسب المقدرة على توليد عدد لا متناه من الجمل، كما يمكنه ذلك أيضا من الحكم على الجمل التي يسمعها بالأصولية أو اللاأصولية، وهو ما يعد حدسا لغويا فعالا في اكتساب اللغة، لكن كل ذلك يجري بصورة مثالية، أي مثالية المتكلم*، ومثالية

---

[1] سميّة المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، ص ص 211-212.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 8.

* لأنه هو الذي يمنح الملفوظ الدلالة التي يريد، فلا ينبغي إغفال دوره في عملية التحليل اللغوي. ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2009، ص 37.

البيئة اللغوية؛ أي تجانسها. لكنّ تشومسكي يطوع مفهوم الحدس لسلطة العقل بحكم نزعته الرياضية الديكارتية[1]

3 – يُعِدُّ اللسانيون الذين جاءوا قبل تشومسكي " المادة اللسانية هي موضوع الدرس فتناولوها بالوصف والتحليل، أمّا عنده فهي وسيلة لا غاية في ذاتها–لأنّه منطقي عقلاني وهم وصّافون تجريبيون– لمعرفة العقل البشري وأشكال التفكير الإنساني"[2]

4 – إنّ ما قدمه تشومسكي في نظريته يعدّ نقطة تحوّل بارزة في الفكر اللساني الأمريكي، والحديث عموما، يتجاوز كثيرا ممّا وضعه البنيويون قبله في دراسة اللغة، فضلا عن أنّه وجّه انتقادات إلى البنيوية ذاتها، كونها تهتم بالتحليل الشكلي للغة، دون الالتفات إلى المعنى، أو إلى القواعد التي يلجأ إليها المتكلم عند تكوينه الجمل، وهو ما يوصف بالكفاءة اللغوية.[3]

5 – من أهم المفاهيم التي يعرضها تشومسكي في نظريته:

أ – ينبغي الربط بين النحو والمعنى خلافا للاتجاهات التي تفصل بينهما

ب – يعتمد في دراسته للغة على شطر من الموروث التوزيعي، وعلى المفاهيم المنطقية الرياضية في النحو، واستعمل الرموز توخيا للدقة

ت – يميز بين الكفاءة والأداء.

ث – ينبني على هذا المفهوم السابق نوعان للبنية في نظره؛ البنية العميقة، وهو أصل الجملة الذي يحمل دلالة المتكلم، والبنية السطحية وهي ما يظهر أثناء التعبير، وتكتنفها الإضافة والحذف والتقديم والتأخير، ويقوم السامع بتحويلات عدّة للوصول إلى قصد المتكلم الذي تحمله البنية العميقة، ومهمّة اللساني هي كشف هذه التحويلات، ومدى قدرة كل من المتكلم والسامع على ممارستها.

---

[1] نواري سعودي أبو زيد، اللغة وبناء الإنسان دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل التعليميات، دار قرطبة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2016، ص 18.

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 36

[3] المرجع نفسه، ص 35.

ج – يرى أنّ للغات جميعا خواص مشتركة؛ كأن تحتوي على جمل نموذجية تتفرع عنها جمل أخرى يشترط فيها السلامة النحوية والاستحسان؛ أي أنّها تستوفي قواعد اللغة من ناحية، ومن ناحية ثانية تتماشى مع المدلولات المستخدمة، وهنا تكمن إبداعية اللغة؛ موضوع النحو التوليدي[1]

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص ص 37–38.

المحاضرة رقم (12): المدرسة الوظيفية الأمريكية

تمهيد:

من المعلوم بمكان بأنّ الباحثين تناولوا "الدراسات اللغوية وفقا لاتجاهين: اتجاه الدراسات الشكلية للغة (الاتجاه البنيوي والاتجاه التوليدي التحويلي)، واتجاه دراسات اللغة في السياق التواصلي (الاتجاه التداولي، النحو الوظيفي، اللسانيات الاجتماعية، تحليل الخطاب)[1]

" فبعدما جرّب العقل اللساني التيار البنيوي والتوليدي في معالجة الظاهرة اللغوية وعرف قصورهما إذ لم ينتبها إلى أنّ اللغة ليست قوالب مغلقة معزولة، وإنّما اللغة استعمال وتداول وحركة مجتمعية، وأداة تأثير وتغيير، أراد بعد هذا أن يصحح جهاز مفاهيمه، وكان من نتيجة هذا أن تولد المنهج الوظيفي التداولي"[2]

من هذا المنطلق فإنّ مهمة اتجاه الدراسات الشكلية للغة هو اكتشاف القواعد وتصنيفها والتمثيل لها، في حين تظل مهمّة اتجاه دراسات اللغة في السياق التواصلي هي دراسة اللغة في التواصل من خلال توظيف تلك القواعد، وإدراك مدى امتثالها لمتطلبات السياق [3]

ومهما يكن فإنّ اللسانيات الوظيفية تعود إلى جملة بحوث وأعمال لسانية لم تستقر في فترة معينة، ولا عند دارس معيّن، حيث يستطيع البحث أن يرصد بداياتها من أعمال البراغيين، حين ميّزوا بين علم الأصوات وعلم الأصوات الوظيفي؛ الذي يقوم على منهج الفونيم، وقد وصفت أعمالهم بأنّها تهتم بالوجهة الوظيفية للجملة، لاهتمامهم بدراستها ضمن مفهوم التواصل، بعدِّه وظيفة أساسية في النشاط اللغوي عند الإنسان، وقدّم في ذلك ياكبسون مخطّط التواصل المعروف بوظائفه الست،

---

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 5.

[2] عبد العزيز لعناني، تحولات الدرس اللساني (من البنية إلى الوظيفة)، مجلة الممارسات اللغوية، تيزي وزو، الجزائر، ص78.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 11.

والذي تعرض إلى انتقادات في الستينات من طرف بعض اللسانيين نحو: دانيش، وسبوفودا، وفيرباس، وسكال الذين يرون أنّ التواصل حركة وليس ثباتا كما يوحي بذلك مخططه[1]

كما تستند الدراسات الوظيفية أيضا إلى ما قدّمته المدرسة النسقية بلندن، وهي متأثرة بأعمال براغ؛ حيث تعدّ اللغة ظاهرة بشرية متكاملة، وإنّ دراستها في مستوياتها الجزئية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية تفقدها طابعها التواصلي الذي يميزها، فضلا عن أنّ مثل هذه الدراسة لا يقدمها في صورتها المتكاملة، لذا فقد دعت إلى عدم إغفال أبعادها الثقافية والاجتماعية والنفسية، وطوّرت في هذا المجال مفهوم "سياق الحال" الذي يدرس اللغة في سياقها المادي والمعنوي، لأنّها ظاهرة سيميائية واجتماعية، وينبغي تفسيرها انطلاقا من هذه المبادئ، اعتمادا على ما قدّمه سوسير، وهلمسليف وماتزيوس ورفاقه، ومالينوفسكي، وفيرث، مارتيني...الخ[2]

هذا دون إغفال بحوث " عالم الأجناس الأمريكي **ديل هايمس** و**وليام لا بوف** حيث قاما بتوجيه نقد لاذع إلى التصور التجريدي الذي انحصر فيه البحث اللساني، سواء من رائد اللسانيات الحديثة (دي سوسير) الذي حصر موضوع تنظيره في اللغة دون الكلام، أم من صاحب النظرية التوليدية التحويلية الذي قصر تنظيره على القدرة اللغوية دون الكلام أو التأدية، وقد صار التركيز منصبا على دراسة **القدرة التبليغية** بدل القدرة اللغوية؛ التي صار ينظر إليها على أنّها إحدى مكوناتها فقط[3]. يقول هايمس منتقدا تشومسكي:" إنّ نظرية تشومسكي القائمة على توليد الجمل اللغوية المختلفة صحيحة تماما إذا كان المقصود منها وصف اللغة ككيان مستقل بذاته بعيدا عن المواقف الاجتماعية والحياة التي تستخدم فيها اللغة، ولكنّ اللغة لا قيمة لها ككيان مستقل، فهي ليست قوالبا وصيغا وتراكيب مقصودة لذاتها، وإنّما هي

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 39.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص ص 39-40.

[3] الزايدي بودرامة، النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي دراسة في نحو الجملة، ص ص 25-26.

موجودة للتعبير عن الوظائف المختلفة كالطلب والترجي والأمر والنهي وغير ذلك من آلاف الوظائف اللغوية"[1]

وبهذا الانتقاد الشهير أعيد الاعتبار للنظريات السياقية، حيث دخلت مجال اللسانيات بقوّة، كنظرية أفعال الكلام لفلاسفة اللغة العادية، ونظريات التداول والملفوظية، ونظريات النحو الوظيفي[2] هذه الأخيرة تعد من أبرز" ثمرات الدراسات الوظيفية في السبعينيات؛ إذ تهتم بوظيفة اللغة الأساسية (التواصل)، وموضوع اللسانيات في نظرها هو وصف القدرة التواصلية لدى المتكلم والسامع، ممّا جعل بعضهم يعدّها نظرية في التركيب والدلالة من وجهة نظر تداولية، وتقدّم في هذا المجال بحوث سيمون ديك؛ التي طوعها للغة العربية: أحمد المتوكل[3]

1 النحو الوظيفي: (بحوث سيمون ديك حسب التّصوّر المتوكّلي)

النحو الوظيفي هو "النحو لا يقتصر على البحث عن الدور الذي تؤديه الكلمات أو العبارات في الجملة، أي الوظائف التركيبية (أو النحوية كالفاعل والمفعول)؛ لأنّ هذه الوظائف لا تمثّل إلّا جزءا من كلّ تتفاعل مع وظائف أخرى مقامية (أو تبليغية:هي الوظائف الدلالية والتداولية)، بحيث تترابط الخصائص البنيوية للعبارات اللغوية بالأغراض التبليغية (التواصلية) التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها"[4]

وبهذا يكون النحو الوظيفي هو:" ذلك الجهاز المركب من محصلة كل هذه الوظائف (التركيبية، الدلالية، التداولية)"[5]

---

[1] الزايدي بودرامة، النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي دراسة في نحو الجملة، ص 26.

[2] المرجع نفسه، ص 26.

[3] ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 40.

[4] أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية: الوظيفة المفعول، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1987، ص 5. نقلا عن: يحيى بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 43.

[5] الزايدي بودرامة، النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي دراسة في نحو الجملة، ص 33.

أو هو تلك النظرية التي تنطلق من مبدإ أنّ بنية الجملة تخضع إلى حدّ كبير للوظيفة التواصلية التي جاءت لتأديتها[1]

ومهما يكن؛ فإنّ هذه النظرية ترجع أصولها إلى البلدان المنخفضة (هولندا) (Pays-bas)، وبالذات إلى مدينة أمستردام الهولندية مع مؤسسها الأول سيمون ديك من خلال أبحاثه المتعددة التي رسم بها الإطار النظري والمنهجي العام للنظرية لأتباعه السائرين على نهجه؛ الذين أجروا دراسات لغوية متنوعة تجاوزت عقدين من الزمن، مسّت مجال: الدلالة، والتداول، والمعجم، والتركيب، في لغات متنوعة تنتمي إلى فصائل متباينة نمطيا: كاللغة الهولندية، والإنجليزية، والفرنسية، والعربية. تمكنت من خلالها أن تؤسّس لنفسها مكانة علمية متميّزة بين النظريات اللسانية المعاصرة بصفة عامة، والنظريات النحوية بصفة خاصة، حيث أصبحت الوريث الشرعي للنظريات النحوية الوظيفية قبلها، وتطمح منذ الثمانينات أن تكون بديلا عن النظرية التوليدية التحويلية بكل نماذجها [2]

وفي هذا السياق لا يخفى في العالم العربي بصفة عامة، وفي المغرب العربي بصفة خاصة، البحوث القيّمة التي أجراها أحمد المتوكل على النحو العربي في إطار هذه النظرية، حيث تمكن بفضل رسوخ قدمه في التراث اللغوي العربي، وحسن استيعابه للنظريات اللغوية الحديثة، من إغناء الدراسات النحوية العربية بمفاهيم ومصطلحات حديثة، شكلت نظرية علمية متماسكة، وهي مرشحة أكثر من غيرها لأن تكون بديلا معاصرا للنظرية النحوية القديمة، بفضل كفايتها النفسية والتفسيرية والنمطية والتطبيقية، وبفضل بنية نحوها أو جهازها الواصف الذي يتميز بالدقة والمرونة"[3]

[1] الزايدي بودرامة، النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي دراسة في نحو الجملة، ص 44.

[2] يحيى بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 77.

[3] المرجع نفسه، ص 77.

ومهما يكن؛ فإنّ المغرب كان " جسرا لعبور النحو الوظيفي إلى أقطار عربية أخرى، (...) الجزائر، وتونس، وموريتانيا، والعراق، وسورية، بدرجات متفاوتة في التبني ورقعة الانتشار"[1]

وتقوم هذه النظرية على مبادئ أهمها[2]:

1 – وظيفة اللغات الطبيعية الأساسية هي التواصل

2 – موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم–المخاطب

3 – النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة منظورا إليهما من وجهة نظر تداولية

4 – يجب أن يسعى الوصف اللغوي الطامح إلى تحقيق أنواع ثلاثة من الكفايات:

أ – الكفاية النفسية

ب – الكفاية التداولية

ت – الكفاية النمطية

[1] ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006، ص 62.

[2] أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص 9.

المحاضرة رقم (13): مدرسة أكسفورد*

تمهيد:

بادئ ذي بدء نقول بأنّ مدرسة أكسفورد هي امتداد لفلسفة اللغة العادية، هذه الأخيرة تعدّ فرعا من فروع الفلسفة التحليلية في القرن 20م، حيث إنّ الفلسفة التحليلية* تتفرع إلى ثلاثة اتجاهات هي:

- الوضعانية المنطقية* Positivisme logique : بزعامة: رودولف كارناب
- الظاهراتية اللغوية** Phénoménologie du langage : بزعامة: هوسرل
- فلسفة اللغة العادية Philosophie du langage ordinaire ***: بزعامة فيتغنشتاين

ويعتبر الاتجاه الأخير (فلسفة اللغة العادية) بزعامة فيتغنشتاين* مرتكزا ساعد على انبثاق نظرية أفعال الكلام بزعامة أوستين* وسورل*؛ التي تعتبر من أهم محاور الدرس التداولي المعاصر[1]

---

* يطلق عليها أيضا تعبير: فلسفة اللغة العادية. ينظر: رشيد الحاج صالح، مدرسة أكسفورد وفلسفة اللغة، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، نيسان أبريل، 2001، العدد 451، ص11.

* الفلسفة التحليلية تعتبر المدرسة الفلسفية الأشد شيوعاً بين فلاسفة البلدان الناطقة بالإنكليزية. وقد اعتمدت في نشأتها على أفكار مؤسيسها من جامعة كامبردج: جورج .إي مور وبرتراند راسل. لكن كليهما في النهاية كان متأثرا بأفكار ومؤلفات الفيلسوف الألماني غوتلوب فريغه، والعديد من الفلاسفة الرواد في المنحى التحليلي أتوا أساساً من ألمانيا والنمسا، ويعتبر كل من المنطق وفلسفة اللغة أساسيين في الفلسفة التحليلية منذ بداياتها.

* الوضعية المنطقية هي الاتجاه الوحيد الذي يمثل النزعة التجريبية تمثيلا حقيقيا في الفلسفة الأوروبية في القرن العشرين للميلاد، وقد انطلقت نشاطات هذه المدرسة فلسفيا كحلقة بحث قادها الفيلسوف مورتز شليك، تحمل اسم حلقة فيينا، ثمّ تعاقبت مؤتمرات عديدة لهاته المدرسة في كل من جامعات براغ، باريس، كوبنهاغن، كامبردج، ومن أهم فلاسفتها: رودولف كارناب، هانز ريشنباخ، مورتز شليك، لودفيج فيتجنشتين. كارل بوبر. ينظر: طيرشي كمال، كلام موجز في الوضعانية المنطقية.

** الظاهراتية اللغوية: اهتم هذا الاتجاه الفلسفي بالأشياء اللغوية المجردة المستبطنة في الذهن ثمّ في الوجدان، وقد تزعم هذا الاتجاه الفلسفي: هوسرل.

*** فلسفة اللغة العادية :تزعم هذا التيار فتجنشتاين، إذ اهتمت هذه الفلسفة بالمعنى عند الإنسان العادي، وتنقض المعنى المنطقي الثابت، فالمعنى لدى فتجنشتاين شيء متغير وليس ثابتا.

على هذا النحو شارك فلاسفة أكسفورد فتجنشتاين اهتمامه باللغة العادية وطريقة استخدامها، كما شاركوه في الثورة على النظرية الاسمية التصورية في المعنى، كما طوروا هذه النظرية (نظرية المعنى في الاستخدام)، وقدّموا إضافات أصيلة[2] محاولين إيجاد معايير وتصنيفات عديدة تجعل من هذه النظرية أكثر دقة ووضوحا.[3]

إذا انبثق ميلاد هذه المدرسة من التساؤلات حول وظيفة الفلسفة في توضيح منطق اللغة والفحص الدقيق لكيفية عملها، فنهض للإجابة عن هذه التساؤلات العديد من الأنحاء الفلسفية لعلّ أبرزها ما طرحه الوضعيون المناطقة من تصورات لوظيفة اللغة وكيفية عملها، حيث إنّهم ميّزوا بين وظيفتين رئيستين للغة، " إحداهما هي الوظيفة المعرفية التي تستخدم اللغة فيها كأداة تشير إلى وقائع وأشياء موجودة في العالم الخارجي، ولا تزيد مهمّة اللغوي بذلك على أن تجيء تصويرا لهذه الوقائع وتلك الأشياء، أمّا الوظيفة الثانية للغة فهي الوظيفة الانفعالية ومفادها أنّ الإنسان قد يستعمل اللغة أحيانا للتعبير عن مشاعر وانفعالات قد تضطرب بها نفسه كما هو الحال عند الشاعر مثلا، والعبارات التي تعالج مسائل الأخلاق والميتافيزيقا والجمال، هذه الوظيفة الثانية حذف فلاسفة الوضعية المنطقية العبارات الدالة عليها من دائرة المعنى، بحجة أنّنا لا نجد لها من وقائع العالم ما تطابقه، مصرين على أنّ العبارات التجريبية هي العبارات ذات المعنى

---

* فيتغنشتاين: (1889– 1951): فيلسوف نمساوي– إنجليزي، ولد في فيينا وتوفي في كامبردج، واحد من أكبر فلاسفة القرن العشرين، حظي بالتقدير بفضل كتابيه "رسالة منطقية فلسفية" وتحقيقات فلسفية. عمل في المقام الأول في أسس المنطق، والفلسفة والرياضيات، وفلسفة الذهن، وفلسفة اللغة. اعتقد فتغنشتاين أنّ معظم المشاكل الفلسفية تقع بسبب اعتقاد الفلاسفة أنّ معظم الكلمات أسماء. كان لأفكاره أثرا كبيرا على كل من "الوضعانية المنطقية وفلسفة التحليل".

* جون لانجشو أوستين (1911–1960): فيسلوف لغة بريطاني، واضع نظرية أفعال الكلام.

* جون روجرز سورل: (1932): فيلسوف أمريكي، له إسهامات في فلسفة اللغة، وفلسفة العقل، والفلسفة الاجتماعية، اهتم بتطوير نظرية أفعال الكلام.

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 34.

[2] رشيد الحاج صالح، مدرسة أكسفورد وفلسفة اللغة، ص11.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص10.

وتحددت بالتالي مهمّة العبارة ذات المعنى في وصف أو تصوير حالة من حالات الوجود الخارجي، ثمّ يجيء الحكم على هذه العبارة بعد ذلك بالصدق أو بالكذب، بناء على قابلية هذه العبارة للتحقق[1]

غير أنّ هذا التصور للغة يطرح مشكلة مفادها: ما الذي يمكن أن نفعله بكل أنواع العبارات الأخرى التي لا تقوم بوصف الوجود الخارجي، وليس لها صلة البتة بالصدق والكذب؟ ماذا نحن فاعلون بالجمل الطلبية، والجمل الاستفهامية وغيرها من الجمل؟ إنّ هذه الجمل غير قابلة للتحقق، فهل يصح الحكم عليها بأنّها خالية من المعنى؟[2]

وفي سبيل الإجابة عن التساؤلات تولدت مدرسة أكسفورد.

1 - فحوى نظرية مدرسة أكسفورد:

ترى مدرسة أكسفورد بأنّ معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة، وهو ما نصّ عليه أعلام المدرسة، خاصة: فتجنشتاين؛ الذي حاول في فترة 1930 التخلص من بعض الأفكار التي طرحها في مصنفه: (رسالة منطقية فلسفية)* داعيا في الآن ذاته إلى أفكار أخرى؛ محصولها بأنّ معنى الكلمة يتحدد من خلال استعمالها. وقد تأثر مجموعة من فلاسفة كمبردج الشبان بهذه الأفكار تأثرا كبيرا والتفوا حول فتجنشتاين على هيئة مدرسة عرفت باسم مدرسة كمبردج، ومن أبرز فلاسفة هذه المدرسة: ويزدوم[3]

---

[1] ينظر: صالح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص ص 12-13

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 13.

* لودفيج فتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، تر: عزمي إسلام، مراجعة وتقديم: زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968.

[3] ينظر: صالح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص ص 13-14.

ومهما يكن؛ فإنّ مدرسة أكسفورد تناولت بالدراسة والتحليل والتطوير فلسفة اللغة العادية عند فتجنشتاين، إذ قامت بتعميق نظرية المعنى في الاستخدام، وحاولت إيجاد معايير وتصنيفات عديدة تجعل من هذه النظرية أكثر دقة ووضوحا.[1]

على هذا النحو شارك فلاسفة أكسفورد فتجنشتاين اهتمامه باللغة العادية وطريقة استخدامها، كما شاركوه في الثورة على النظرية الاسمية التصورية في المعنى، كما طوروا هذه النظرية (نظرية المعنى في الاستخدام)، وقدّموا إضافات أصيلة.[2]

كما توجه فلاسفة أكسفورد بالنقد للنظرية الاسمية عند الوضعية المنطقية، واصفين إيّاها بأنّها نظرية قاصرة لا يمكنها الإلمام بطبيعة اللغة ووظائفها المتعددة[3] فهي كما يقول رايل:"(...) تقول بافتراض أنّ كل الكلمات هي أسماء، وأنّ كلّ موضوع نحوي ممكن في جملة يمثّل شيئا ما(...) لذا فإنّ دحض هذه النظرية هو أمر هيّن إذ يمكننا القول: إنّه إذا كانت كل كلمة مفردة اسما، إذن فالجملة المكونة من ثلاث كلمات (الثلاثة عدد أولي) ستكون قائمة من موضوعات ثلاث؛ تسميتها: هذه الكلمات الثلاث، غير أنّ قائمة مثل: أفلاطون، أرسطو، الأكويني، لوك، باركلي. ليست جملة لأنّها لا تقول شيئا يفيد المعنى، وبالتالي فليس من الضروري أن تكون فكرة امتلاك المعنى هي فكرة تمثيل الأشياء، ذلك أنّ الكلمات المرتبطة في جملة تفعل على الأقل شيئا ما يختلف عن الشيء الذي تفعله لو كانت كل منها على حدة، وبالتالي لا يجوز تحليل الجملة إلى مجموعة الأشياء التي تمثلها الكلمات في الجملة"[4]

[1] ينظر: رشيد الحاج صالح، مدرسة أكسفورد وفلسفة اللغة، ص10.

[2] المرجع نفسه، ص11.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص11.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص ص 11-12.

من هذا المنطلق "إذا سأل شخص ما ما معنى الكلمة؟، فإنّه يسأل بصورة عادية عن توضيح الطريقة التي يتم فيها استعمال الكلمات، وليس يسأل عن ما الذي تشير إليه الكلمة" [1]

بناء على هذا النقد الذي وجهه فلاسفة أكسفورد للنظرية الاسمية في المعنى، توجهوا إلى إقامة نظريتهم في المعنى والقائمة على نظرية "المعنى في الاستخدام"، ومن أهم من تناول نظرية المعنى في الاستخدام بالتحليل: جون أوستين؛ الذي قدّم نظرية أفعال الكلام، بالإضافة إلى سورل الذي كانت له تعليقات وإضافات مهمّة على نظرية الأفعال الكلامية[2]

1 1 - نظرية أفعال الكلام (les actes de langage) عند جون أوستين

عرف أوستين من خلال محاضراته التي قدّمها بجامعة هارفارد في 1955 في فلسفة اللغة، ونشرت في 1962 بعد وفاته بعنوان:" كيف ننجز أفعالا بالألفاظ". حيث نصّ بأنّ اللغة تتجاوز وظيفة الاتّصال إلى وظيفة التأثير، وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية، وقُدِّم بشأن مفهوم " أفعال الكلام"*أو "أفعال اللغة"** مقترح في الستينيات من الفيلسوف الإنجليزي (ج. ل. أوستين) ثمّ كرّر وطوّر من

---

[1] ينظر: رشيد الحاج صالح، مدرسة أكسفورد وفلسفة اللغة، ص12.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص13.

* هذا المقترح له ما يقابله في الأساليب العربية، حيث ميزت الخبر الذي يؤدي غرض الإنشاء. ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 54.

** يرد أحيانا هذان المصطلحان بعدهما مترادفين، ترجمة لـ: (les actes de langage) (بالفرنسية) المأخوذة من الإنجليزية speech acts بالنظر إلى مدلول فكرة أفعال الكلام، والتي هي في جوهرها تمييز لأفعال اللغة كما يقصدها المرسل، وبقيمتها الإبلاغية، فالأحسن في ترجمتها القول: أفعال اللسان؛ لأنها متعلقة باللسان. ينظر: جون سورل، من سوسير إلى فلسفة اللغة (مقال)، إشراف ومراجعة مطاع الصفدي، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العددان 13-14، ربيع 1991، ص 95. نقلا عن: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 89.

طرف الأمريكي (ج. ر. سورل)، ومفاد هذا المقترح: أنّ كل قول ملفوظ يعدّ عملا[1]، أو " أنّ هناك أفعالا لا تنجز إلّا باللغة" [2]

إذا نشأت فكرة أفعال الكلام أو أفعال اللغة من أهم مبدإ في الفلسفة اللغوية الحديثة– مجال نشأة التداولية وتطورها– وهو أنّ:" الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معيّن أيضا في الوقت نفسه"[3] وذلك بعدما كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياسا وحيدا للحكم على دلالة جملة ما، وهو مقياس الصدق والكذب[4]. ممّا حصر العبارات اللغوية في منوال واحد؛ هو العبارات الخبرية، كأن تصف واقعا ما. ويحكم على صدقها أو كذبها بمدى مطابقتها لذلك الواقع، نحو (الجوّ جميل: صادقة في حال واحدة هي جمال الجوّ واقعا، وكاذبة في غير ذلك)، وجوهر الخبر عند هؤلاء الفلاسفة أنّه لا يُقبل إلّا إذا كان خاضعا للتمحيص والتجريب، وأنّ الوظيفة الأساسية للغة هي وصف حالات العالم وإثباتها [5]

في مقابل هذا الرأي– رأي الوضعيين المناطقة– انتبه أوستين لدراسة بعض المقولات التي " لا تصف واقعا خارجيا، ولا تعيّنه، ولا تحيل إليه، مع أنّها خبرية، نحو:

1 – التزم بالحضور
2 – أعلن عن افتتاح الجلسة
3 – أعدك بالزيارة، غدا إن شاء الله
4 – سأعيد لك مالك، الشهر القادم بحول الله

---

[1] ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 53.

[2] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 18.

[3] فان ديك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للطباعة والنشر، ط1، 2001، ص 18. نقلا عن: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 89.

[4] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 89

[5] المرجع نفسه، ص ص 89–90.

فهذه الجمل ونحوها لا يمكن وصفها بالصدق والكذب، وهي لا تعكس واقعا موصوفا، بقدر ما هي أفعال منجزة من المتلقي أو المتكلم على حد سواء. ومن خصائصها أيضا، أنّها جمل محكومة بالتلفظ بها، حيث إنّ نطقها سبب في إنجاز الأفعال المبنية عليها: ففي (1) وعد، وفي (2) أمر بمباشرة أشغال الجلسة، وفي (3) وعد وطلب، وكذلك في (4). ممّا يغيّر في سلوك متلقي هذه الجمل بتوفر ظروف ذلك، وتنوع المتلقين بتنوع الأخبار وأغراضها، وهي جمل شبيهة بالجمل المنطوية على موجهات (أمر، استفهام ...الخ)[1]

ومن ثمّ فإنّ أوستين يتساءل:" فبماذا نسمي جملة من هذا النوع؟، أو عبارة متلفظا بها من هذا القبيل، إنّي اقترح أن أطلق عليها مصطلح: جملة إنجازية، أو عبارة إنشائية، أو اختصار الإنشاء"[2]

من هذا المنطلق ميّز أوستين بين نوعين من الملفوظات: الملفوظات الثابتة التقريرية، والملفوظات الإنجازية.

1 1 1 - الملفوظات الثابتة التقريرية(Constatifs)*:

تعنى بوصف العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة، أو هي تلك التي تمثل حالات أشياء، وهي قابلة لأن تكون حقيقية أو خاطئة[3]

1 1 2 - الملفوظات الإنجازية*(performatifs)

هي " التي تحض على فعل أو تنهي عنه (...) أو التي ترد أوصافا لأحداث"[1] ووظيفتها –في نظر أوستين– ليست هي تقديم صورة صادقة أو فاسدة عن واقع معيّن للأشياء، وإنّما هي إنشاء ذلك الواقع بموجب عملية التلفظ بها ذاتها"[2]

---

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 91.

[2] جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العام " كيف ننجز الأشياء بالكلمات"، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1996، ص 17.

* يطلق عليها أيضا: الوصفية، الإخبارية، الإثباتية.

[3] ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص ص 52-53.

* يطلق عليها أيضا: الأدائية، الإنشائية.

-شروط الملفوظات الإنجازية(performatifs)

الملفوظات أو العبارات الإنجازية لا يحكمها مقياس الصدق والكذب، ويتزامن النطق بها مع تحقق مدلولها، كما أنّ لها شروطا أوضحها الدارسون، ولا تتحقق إنجازيتها إلّا بها، تتمثل في:

1 - أن يكون الفعل فيها منتميا إلى مجموعة الأفعال الإنجازية (وعد، سأل، قال، حذر، أوعد...الخ)
2 - أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم؛ أي أنّها تمثّل الفردية ممّن يقولها
3 - أن يكون زمن دلالتها المضارع مبنيا للمعلوم[3]

كما لا حظ أوستين أنّه يمكن تقدير فعل وفق الشروط المذكورة في العبارات الوصفية (الخبرية)، نحو: (أقول) الجوّ جميل، لتصير إنجازية هي الأخرى. وعليه فكل العبارات الملفوظة إنجازية على نوعين:

أ - إنجازية (صريحة/ مباشرة): فعلها ظاهر (أمر، حضّ، دعاء، نهي) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم
ب - إنجازية (ضمنية/ غير مباشرة): فعلها غير ظاهر، نحو: الاجتهاد مفيد = (أقول) الاجتهاد مفيد = آمرك أن تجتهد.

ثمّ تبيّن لأوستين أنّ هذا التقسيم غير جامع وهذا لاشتمال بعض الجمل على هذا المعيار وهي وصفية تقريرية، وعدم اشتمال أخرى عليه وهي إنجازية؛ ومثال ذلك: (زوَّجتك موكلتي): أي قبلت الزواج. حيث إنّ الفعل جاء بصيغة الماضي، فهذا الملفوظ إنجازي على الرغم من خلوه من الشروط الآنفة الذكر(وجود فعل مضارع مبني للمعلوم مسند إلى ضمير مفرد متكلم في الزمن الحالي المثبت)، ثم إنّنا نجد

---

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 90.

[2] إدريس سرحان، الأمر كفعل إنجازي غير مباشر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية (دراسات لسانية)، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراز، فاس، عدد خاص 11، 1416هـ/ 1995، ص77. نقلا عن: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 18.

[3] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 95.

جملا توفرت فيها الشروط الآنفة الذكر(وجود فعل مضارع مبني للمعلوم مسند إلى ضمير مفرد متكلم في الزمن الحالي المثبت) لكنّها تقريرية تحتمل الصدق أو الكذب وفق منظور أوستين. مثال ذلك:

-أنا ألقط الحب

-أنا أطيع والدي

-أنا أقرّر أنّ الأرض كروية

ومن هنا حاول أوستين تقديم حل لهذه المشكلة؛ فاهتدى إلى أنّ الجمل الإنجازية (الصريحة/ المباشرة/ الإنشائية الأولية) هي أيسر للإدراك لأنّها تعلن عن نفسها في كل سياق تقال فيه، بينما الجمل الإنجازية (الضمنية/ غير مباشرة) يكون فيها المعنى مقصودا أو غير مقصود، ويتدخل عنصر السياق للكشف عن هويتها الأدائية[1]

1 2 - أنواع الأفعال الكلامية عند أوستين:

ميّز أوستين بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية:

1 2 1 - فعل القول locutoire :

بقصد به الجانب المادي فهو:" النطق ببعض الكلمات أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة متصلة بنوع ما بمعجم معيّن ومتمشية معه وخاضعة لنظامه"[2]

أو هو الذي يقابل التلفظ بالأصوات (فعل صوتي)، والتلفظ بالتراكيب (فعل تركيبي)، واستعمال التراكيب حسب دلالاتها (فعل دلالي)[3]

---

[1] ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجديدة، مصر، 2002، ص ص 66-67.

[2] جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص 116.

[3] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص ص 96-97.

1 2 2 – الفعل المتضمن في القول أو الفعل الإنجازي أو (القول الفاعل) illocutoire :

هو "الفعل الخاص والمحدّد الذي يقصد المتكلم إلى تحقيقه من وراء إنتاجه ملفوظا معيّنا داخل مقام تخاطبي محدّد"[1]

أو هو الذي يحصل بالتعبير عن قصد المتكلم من أدائه، نحو: يعد، يخبر، يعجب، ينذر، ويشمل (الجانب التبليغي والجانب التطبيقي)[2]

1 2 3 – الفعل الناتج عن القول أو فعل التأثير (استلزامي) perlocutoire

ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المرسل إليه[3]

أو هو الذي يحصل حين يغيّر الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثير عليه، كأن (يرعبه، يجعله ينفعل) ويتميز كل فعل من هذه الأفعال بتوفره على قوّة إنجازية، وهي تفترض تزامنا تاما بين موضوع الملفوظية، والمتلفظ.[4]

مما سبق نستنتج أنّ أوستين يميّز بين ثلاث مراحل من أجل تحديد المعنى؛ الأولى مرحلة (القول يعني الفعل)؛ حيث فصّل في البداية مدلول القول ومدلول الفعل فصلا يقوم على مبدأ أنّ الكلام يناقض الحدث، وبذلك فبين القول والفعل تضاد، أمّا في المرحلة الثانية فقد جعل ترادفا نسبيا بينهما في حالة القول الملفوظ بشروط معيّنة؛ حيث يصبح مرادفا للفعل، وتطوّر هذا الترادف النسبي إلى ترادف تام في آخر مرحلة؛ حيث تمّ تعميم الفرضية بمفهوم تداولي؛ وعدّ كلّ قول فعلا [5]

1 3 – تصنيفات أوستين للأفعال الكلامية:

وضع أوستين تصنيفا للأفعال الكلامية وذلك وفق النحو الآتي:

---

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 120.

[2] المرجع نفسه، ص ص 96-97.

[3] المرجع نفسه، ص 121.

[4] المرجع نفسه، ص ص 96-97.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص 54.

1 3 1 – **الأفعال الحكمية (الإقرارية/ الأحكام/الحكميات)** verdictifs

وهي التي تعبّر عن حكم يصدره محلّف، أو محكّم، أو حكم[1] مثل: حكم، وعد، وصف[2] وليس ضروريا أن تكون الأحكام نهائية أو نافذة، فقد تكون تقريرية أو ظنية: مثل: يبرئ، يقدر، يعين، يقوّم، يشخّص(مرضا) يحلّل [3]

1 3 2 – **الأفعال التمرسية(القرارات/ التنفيذيات)** exersitives

التي تعبّر عن اتّخاذ قرار في صالح شيء أو شخص أو ضدّه، مثل: يأذن، يطرد، يحرم، يجند، يختار، يوصي، يحذر، يُصرّح بـ، يُحدث، يعتذر، ينصح[4]

1 3 3 – **أفعال التكليف (التعهد/ الوعدية/ الوعديات)** commissives

هي التي تعبّر عن تعهد المتكلم بفعل شيء أو إلزام نفسه به، مثل: أعد، أتعهد، أتعاقد على، أضمن، أقسم على، أقبل.[5]

1 3 4 – **الأفعال العرضية (التعبيرية/ العرضيات/ الإيضاح)** expositives :

هي الأفعال التي تستخدم لتوضيح وجهة النظر أو بيان الرأي وذكر الحجة، مثل: الإثبات والإنكار...الخ [6]

1 3 5 – **أفعال السلوكيات(الإخباريات)** comportementaux :

هي التي تعبّر عن رد فعل لسلوك الآخرين، ومواقفهم ومصائرهم، كالاعتذار والشكر والتعاطف والفقد...الخ[1] أو هي: ردود أفعال، تعبيرات تجاه لسلوك: اعتذر، هنّأ، حيّى، رحّب...الخ[2]

---

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 69.

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 97.

[3] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 69.

[4] المرجع نفسه، ص ص 69-70.

[5] المرجع نفسه، ص 70.

[6] المرجع نفسه، ص 70.

1 4 - نظرية أفعال الكلام (les actes de langage) **عند سورل (John Sorle):**

يعدّ سورل أوّل من أوضح فكرة أوستين السابقة، وشرحها أكثر بتقديمه شروط إنجاز كلّ فعل، إلى جانب بيانه شروط تحوّل فعل من حال إلى حال أخرى، وآليات ذلك، وتوضيح استنتاج الفعل المقصود[3]

ومهما يكن فقد أعاد سورل تقسيم الأفعال الكلامية، مميّزا بين أربعة أقسام:

1 4 1 - **فعل القول:** يتمثل في التلفظ بكلمات وجمل. أي: التلفظ (الصوتي والتركيبي)

1 4 2 - **فعل الإسناد أو الفعل القضوي:** يرتبط بين المتكلم الأول والمتكلم الثاني، بمعنى الإحالة على الأنا مع الإسناد.

1 4 3 - **فعل الإنشاء:** تحقيق الفعل الإنشائي المقصود المعبّر عنه في القول.

1 4 4 - **فعل التأثير:** تفسير الفعل حسب المقام.[4]

1 5 - تصنيفات سورل للأفعال الكلامية:

1 5 1 - الأخبار (الإخباريات/ التقريريات/ التأكيدات/ الأفعال الحكمية assertives :

تشمل الأفعال التي تصف وقائع وأحداث في العالم الخارجي[5] أو هي التي تبلغ خبرا، وتعمل على تمثيل للواقع[6] والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما

---

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 70.

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 97.

[3] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص ص 66-68. نقلا عن: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 98.

[4] ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996، ص 25.

[5] شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية مواجهات ومقترحات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010، ص 30.

[6] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص ص 99-100.

(بدرجات متفاوتة) من خلال قضية يعبّر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف كلّها تحتمل الصدق والكذب(...) ويتضمن هذا الصنف أفعال الإيضاح عند أوستين وكثيرا من أفعال الأحكام.[1]

1 5 2 - الأوامر (الأمريات/ التوجيهات) directives:

غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما[2]، أو هي التي (تحمل المخاطب على فعل معيّن)[3] ويدخل في هذا الصنف: الاستفهام، الأمر، الرجاء، الاستعطاف، التشجيع، الدعوة، الإذن والنصح، بل التحدي أيضا الذي جعله أوستين في أفعال السلوك، وكثير من أفعال القرارات عند أوستين تدخل في هذا الصنف[4]

1 5 3 - الالتزامية(الالتزاميات/ أفعال التعهد/ الوعديات) commissives

هي أفعال التكليف عند أوستين، حين يلتزم المتكلم بفعل شيء معيّن.[5] وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل[6]

1 5 4 - التصريحات(البوحيات/ التعبيريات) expressives

هي الأفعال التمرسية عند أوستين، وتعبّر عن حالة، مع شروط صدقها.[7] وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص(...) ويدخل في هذا الصنف: أفعال الشكر، التهنئة، الاعتذار، التعزية، الترحيب[8]

---

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ص 78-79.

[2] المرجع نفسه، ص 79

[3] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 99-100.

[4] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 79.

[5] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 99-100.

[6] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 79.

[7] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 99-100.

[8] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 80

1 5 5 - الإنجازيات (الإدلاءات/ الإيقاعيات/ الإعلانيات) déclarations

إنّ السمة المميزة لهذا الصنف من الأفعال أنّ أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، فإذا أديت أنا فعل تعيينك رئيسا للوفد أداء ناجحا فأنت رئيس للوفد، وإذا أديت فعل إعلان الحرب أداء ناجحا فالحرب معلنة. وأهم ما يميّز هذا الصنف من الأفعال عن الأصناف الأخرى أنّها تحدث تغييرا في الوضع القائم، فضلا عن أنّها تقتضي عرفا غير لغوي[1]

كما أنّه وضع اثني عشر مقياسا لنجاح الفعل الإنجازي، منها: غاية الفعل، توجيهه، حالته السيكولوجية[2] وسمّاها شروط النجاح، وهي تستند كثيرا إلى قوانين المحادثة لغرايس. ووسع مفهوم الفعل الإنجازي ليتجاوز ارتباطه بالمتكلم إلى العرف الاجتماعي اللغوي، وجعل للقوّة الإنجازية أدلة عليها (تقديم، تأخير، نبر، تنغيم، علامات ترقيم...)[3]

-محصول الحديث:

1 -أسّس أصحاب مدرسة أكسفورد توجها يرى بأنّ اللغة مرآة العالم والإنسان، ومنها يفهم الوجود، وليست أيّ لغة وإنما اللغة العادية.

2 يمثل الفعل الكلامي في الدراسات اللسانية الحديثة مفهوما ثوريا بحيث شكل نواة أساسية للتيار التداولي وارتبط ظهوره بمناخ فلسفي (الفلسفة التحليلية).

3 خلص أوستين إلى أنّ الفعل الكلامي يملك ثلاث خصائص أساسية هي:

أ - إنّه فعل دال

ب - إنه فعل إنجازي(أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات)

---

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 80

[2] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 63. نقلا عن: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 100.

[3] ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 100.

ت – إنّه فعل تأثيري (أي يترك آثارا معيّنة في الواقع خصوصا إذا كان الفعل ناجحا).

ويقوم كل فعل كلامي على مفهوم القصدية وبدورها تقوم القصدية على أسس تداولية[1]

4 لقد قدّمت أفعال الكلام دراسة نسقية لعلاقة العلامات عموما بمستعمليها ومؤوّليها[2]

5 إنّ العبارات مشروطة بالوضع الاجتماعي العام للمتخاطبين، وطبيعة مقاصد المتكلم من إسعاد السامع أو الإساءة إليه، أو إزعاجه، أو تهديده أو وعده...الخ. كل ذلك يبقى مرتبطا بنية المتكلم وقصده.

6 إنّ المتكلم ليس محتّما عليه أن يجعل أمره في صيغة أمر، والخبر في صيغة الخبر، والوعد في صيغة الوعد، وبالمقابل ليس ضروريا أن يتلقى السامع هذا الخطاب النسقي بقدر ما يكون ملزما بتأويل الدلالات؛ فقد يجد بعض أنواع الطلب في صيغة الخبر؛ كأن يدخل الأستاذ حجرة الدرس قائلا: الجوّ خانق. فينهض أحد لفتح النافذة دون أن يُطلب منه ذلك.[3]

7 مرّت نظرية الفعل الكلامي بعدّة مراحل:

أ – المرحلة التأسيسية مع أعمال أوستين

ب – مرحلة النضج والضبط المنهجي مع أعمال سورل

ت – مرحلة الفعل الكلامي غير المباشر مع أعمال بول غرايس وأعمال سورل المتأخرة

ث – مرحلة الفرضية الإنجازية أين انتقل الفعل الكلامي إلى النحو التوليدي، حيث أدخل المكوّن الدلالي في البنية العميقة وأصبح يمثّل له تمثيلا دلاليا على يد مجموعة من علماء الدلالة التوليدية.

---

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 44.

[2] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 60. نقلا عن: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 94.

[3] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص ص 91-92.

ج – مرحلة الفعل الكلامي الكلي لدى فان ديك

المحاضرة رقم (14): المدرسة الخليلية

تمهيد:

يقول عبد الرحمن الحاج صالح: " (...) هذا وقد حاولنا منذ ما يقرب من ثلاثين سنة أن نحلّل ما وصل إلينا من تراث فيما يخص ميدان اللغة وبخاصة ما تركه لنا سيبويه وأتباعه ممّن ينتمون إلى المدرسة الخليلية، أو ما أطلق عليها بالنظرية الخليلية الحديثة؛ فهي نظرية على نظرية، تشرفت بعرضها لأول مرة عام 1979. وكلّ ذلك بالنظر في الوقت نفسه فيما توصلت إليه اللسانيات الغربية، وكانت النتيجة أن تكوّن مع مرور الزمن فريق من الباحثين المختصين في علوم اللسان بمعناها الحديث يريد أن يواصل ما ابتدأه الخليل وسيبويه ومن تابعهما(...) فالغاية من هذا البحث هو قبل كل شيء التعريف بهذه النزعة التي تصف نفسها بأنّها امتداد منتقى للآراء والنظريات التي أثبتها النحاة الأولون وخاصة الخليل بن أحمد وفي الوقت نفسه مشاركة ومساهمة للبحث اللساني في أحدث صورة وخاصة البحث المتعلق بتكنولوجيا اللغة هذا لبّ البحث[1]

1 - النظرية الخليلية: مفاهيمها الأساسية

اعتمد العلماء العرب –وزعيمهم في ذلك الخليل– على عدد من المفاهيم والمبادئ لتحليل اللغة وأهمها:

1. مفهوم الاستقامة وما إليها وما يترتب على ذلك من التفريق المطلق بين ما يرجع إلى اللفظ وما هو خاص بالمعنى
2. مفهوم الانفراد في التحليل وما يتفرع من هذا المفهوم
3. مفهوما الموضع والعلامة العدمية[2]
4. مفهوما اللفظة والعامل[1]

---

[1] عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 2012، ج1، ص 208.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص 217.

5. مفهوم الباب والمثال
6. مفهوما الأصل والفرع
7. مفهوم القياس

1 1 – مفهوم الاستقامة وما إليها:

يقول سيبويه (ت180هـ) في أوّل كتابه: « فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأمّا المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسأتيك غدا، وأمّا المحال فأنْ تنقض أوّل كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غدا، وسأتيك أمس، وأمّا المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبل، وشَرِبْتُ ماء البحر ونحوه، وأمّا المستقيم القبيح فأنْ تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، كيْ زيد يأتيك، وأشباه ذلك، وأمّا المحال الكذب فأنْ تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس»[2]

فسيبويه على إثر الخليل هو أوّل من ميّز بين السلامة الراجعة إلى اللفظ (المستقيم/ الحسن/ القبيح) والسلامة الخاصة بالمعنى: المستقيم/ المحال. ثمّ ميّز أيضا بين السلامة التي يقتضيها القياس (أي النظام العام الذي يميّز لغة من لغة أخرى) والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين (وهذا معنى الاستحسان وهو استحسان الناطقين أنفسهم): مستقيم/ حسن. فعلى هذا يكون التمييز بهذه الكيفية:

8. مستقيم حسن = سليم في القياس والاستعمال
9. مستقيم قبيح = غير لحن ولكنّه خارج عن القياس وقليل
10. محال = قد يكون سليما في القياس والاستعمال ولكنّه غير سليم من حيث المعنى[3]

ومن ثمّ جاء التمييز المطلق بين اللفظ والمعنى، وأعني بذلك أنّ اللفظ إذا حدّد أو فسّر باللجوء إلى اعتبارات تخصّ المعنى فالتحليل هو تحليل معنوي

---

[1] عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 218.

[2] سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، ص 8.

[3] عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 218.

(sémantique) لا غير. أمّا إذا حصل التحديد والتفسير على اللفظ نفسه دون أيّ اعتبار للمعنى فهو تحليل لفظي نحوي (semiologico-grammatical) والتخليط بين هذين الاعتبارين يعتبر خطأ وتقصيرا، وذلك كالاقتصار على تحديد الفعل بأنّه « ما دلّ على حدث وزمان» فهذا تحديد على المعنى فهو جيّد ولكنّه من وجهة المعنى. أمّا التحديد على اللفظ فهو« ما تدخل عليه من زوائد معينة كقد والسين ويتصل به الضمير في بعض صيغه» وقد بنى على ذلك النحاة أنّ اللفظ هو الأوّل لأنّه هو المتبادر إلى الذهن أولا ثمّ يفهم منه المعنى ويترتب على ذلك أنّ الانطلاق في التحليل يجب أن يكون من اللفظ في أبسط أحواله وهو الأصل (الذي ليس فيه زيادة ولا علامة له بالنسبة إلى ما يبنى عليه)[1]

1 2 - الانفراد وحدّ اللفظة:

يقول الخليل بلسان تلميذه: « إنّه لا يكون اسم مظهر على حرف أبدا لأنّ المظهر يسكت عنده وليس قبله شيء ولا يلحق به شيء» (الكتاب، 2/ 304) الذي يسكت عنده وليس قبله شيء هو الاسم الذي « ينفصل ويبتدأ» (الكتاب، 1/ 96). وبالفعل كان المنطلق عندهم كل ما ينفصل ويبتدأ وهي صفة الانفراد ويمكن أن يكون بذلك الأصل لأشياء أخرى تتفرع عليه، ولهذا فيجب أن ينطلق من أقلّ ما ينطق به ممّا ينفصل ويبتدأ (= ينفرد) وهو الاسم المظهر بالعربية، وكل شيء يتفرع عليه ولا يمكن لما في داخله أن ينفرد فهو بمنزلته، ولهذا سمّى النحاة الأولون هذه النواة بالاسم المفرد و« ما بمنزلة الاسم المفرد» وأطلق عليها ابن يعيش والرضي اسم « اللفظة» (وترجمناها بـ Lexie)[2]

فالانفصال والابتداء يمكّن الباحث من استكشاف الحدود الحقيقية التي تحصل في الكلام[3] ويحمل النحاة "اللفظ" على غيرها من المثل والنماذج فتفرع إلى لفظات هي نظائر للنواة، ولكنّها أوسع منها من خلال تعاقب زيادات قبلية وبعدية عليها دون أن

---

[1] عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص ص 218- 219.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص 219.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص 219.

تفقد وحدتها أو تنفرد فيها أجزائها، فلا تخرج عن كونها لفظة (أي قطعة واحدة)، وسمى النحاة هذه القابلية للزيادة يمينا ويسارا "تمكن"، ولاحظوا أنّ لهذا التمكن درجات تترتب كالآتي:

أ - **المتمكن الأمكن:** الذي يحمل معناه بداخله ولا يحتاج إلى غيره، ويتمثل في: اسم الجنس المنصرف كرجل وفارس وشجرة

ب - **المتمكن غير الأمكن:** ويتمثل في الممنوع من الصرف

ت - **غير المتمكن ولا أمكن:** ويتمثل في الاسم المبني[1]

1 3 - مفهوم الموضع والعلامة العدمية:

إنّ المواضع التي تحتلها الكلم هي خانات تحدّد بالتحويلات التفريعية؛ أي الانتقال من الأصل إلى مختلف الفروع بالزيادة التدريجية، وهذه الزيادة هي نفس التحويل (في هذا المستوى)، وإذا أردنا أن نعبّر عن هذا باصطلاح الرياضيات فيمكن أن نقول بأنّ ما يظهر بالتفريع في داخل المثال المولد للفظة هي عبارات متكافئة حتّى ولو كانت بعضها أطول بكثير من البعض الآخر وذلك لا يخرجها عن كونها لفظة[2]

ثمّ يضيف عبد الرحمن الحاج صالح: إنّ خلو الموضع من العنصر له ما يشبهه وهو « الخلو من العلامة» وهو ما نسميه نحن بالعلامة العدمية Expression (zéro)* وهي التي تختفي في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر، وذلك كجميع العلامات التي تميّز الفروع عن أصولها (المفرد والمذكر والمكبر لها علامات غير ظاهرة بالنسبة للجمع والمثنى والمؤنث والمصغر)[3]

---

[1] محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، العدد العاشر، 2005، ص 12.

[2] عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 221.

* العلامة العدمية نصّ عليها ابن جني قائلا:" الفروع هي المحتاجة إلى العلامة والأصول لاتحتاج إلى علامة". كما نصّ الرضي:" لأنّ المتكلم لما كان أصلا جعلوا ترك العلامة له علامة". (ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، سلسلة علوم اللسان عند العرب 2، موفم للنشر، الجزائر، د ط/ 2012، ص 151).

[3] عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 222.

وعليه فإنّ مفهوم الموضع* وكذلك المثال لا يوجد مثلهما في اللسانيات الغربية إطلاقا، وهو أعظم فارق يفترق فيه النحو عن اللسانيات الغربية الحديثة[1]

1 4 - مفهوم العامل:

ليست اللفظة الوحدة الصغرى التي يتركب منها مستوى التراكيب (niveau syntaxique) لأنّ لهذا المستوى وحدات أخرى من جنس آخر أكثر تجريدا، وههنا أيضا ينطلق النحاة من العمليات الحملية أو الإجرائية: يحملون مثلا أقلّ الكلام ممّا هو أكثر من لفظة باتّخاذ أبسطه وتحويله بالزيادة مع إبقاء النواة، كما فعلوا باللفظة للبحث عن العناصر المتكافئة (من بعض الوجوه) فلاحظوا أنّ الزوائد على اليمين تغيّر اللفظ والمعنى، بل تؤثر وتتحكم في بقية التركيب كالتأثير في أواخر الكلم (الإعراب)، فتحصلوا بذلك على مثال تحويلي يتكوّن أيضا من أعمدة وسطور (مثل المصفوفة اللفظية) وذلك مثل:

∅	زيد	قائم
إنّ	زيدا	قائم
كان	زيد	قائما
حسبت	زيدا	قائما
أعلمت عمرا	زيدا	قائما
1	2	3

ففي العمود الأيمن يدخل عنصر قد يكون كلمة أو لفظة بل تركيبا وله تأثير على بقية التركيب ولذلك سمي عاملا، ثم لاحظوا أنّ العنصر الموجود في العمود الثاني

* يرى عبد الرحمن الحاج صالح بأنّ البنية مجموعة مرتبة من المواضع، والموضع يشبه إلى حدّ بعيد الموضع الطبولوجي في الرياضيات الحديثة، ولا يعرف هذا المفهوم الكثير من علماء اللسانيات، وهذا المفهوم ينطبق على كل مستويات اللغة بما فيها الجمل. عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 291.

[1] ينظر: محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، ص 15.

لا يمكن بحال أن يقدّم على عامله فهو عند سيبويه « المعمول الأول» (م1)، ويكوّن إذن مع عامله « زوجا مرتبا» (couple ordonne) أمّا المعمول الثاني (م2) فقد يتقدّم على كلّ العناصر اللّهم إلّا في حالة جمود العامل (مثل إنّ؛ إلّا إذا كان ظرفا مثل: إنّ في الدار زيدا). وقد يخلو موضع العامل من العنصر الملفوظ (أشرنا إليه بـ∅) وهو الذي يسمونه بالابتداء (وهو عدم التبعية التركيبية وليس معناه بداية الجملة كما يعتقد بعضهم).[1]

إذا كلّ تغيّير يحدث في المبنى والمعنى إنّما يجيء تبعا لعامل في تركيب معيّن، فلا نجد معمولا إلّا وتصوّر له العلماء الأوائل عنصرا لفظيا أو معنويا هاما هو العامل؛ الذي يكوّن مع معموله زوجا مرتبا، وهاهنا ينطلق النحاة من العمليات الحملية الإجرائية (حمل الشيء على الشيء) فيحملون مثلا أقلّ الكلام ممّا هو أكثر من لفظه، وينطلقون من الجملة التي تتكوّن من عنصرين، نحو: زيد منطلق، ثمّ يشرعون في تحويلها بالزيادة مع إبقاء النواة للبحث عن العناصر المتكافئة؛ أي البنية التي تجمع وتشترك فيها الأنواع الكثيرة، بل اللامتناهية من الجمل[2]

1 5 – مفهوم الباب والمثال:

اسم الباب يطلق على كلّ وزن من أوزان الكلم المكوّنة من الفاء والعين واللام، كما يطلق على مجموع الحروف الأصلية (المواد الأصلية للكلم)[3] وهو يعادل النظير؛ فهو مجموعة من النظائر، والنظير هو العنصر المساوي أو المكافئ لعنصر آخر.[4]

إنّ الباب هو مجموع العناصر اللغوية المتشابهة التي تشترك في صيغة واحدة، كالعناصر التي تنتمي إلى صيغ الكلمات وأبنية التراكيب، ولهذا يطلق سيبويه كلمة (الباب) على المجموعات المرتبة من الحروف الأصلية للكلمة الثلاثية مثل:

---

[1] عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص ص 222–223.

[2] ينظر: محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، ص 17.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص134.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص 138.

(ض–ر–ب)، وكذلك على أبنية الكلام أو الأوزان، مثل: باب (فَعَلَ)، ويتجاوز سيبويه مستوى الكلمة فيسمي التراكيب أبوابا، وذلك مثل قولك في "باب حسبك" (ج1، ص300) وباب "لقيا وحمدا" (ج1، ص 186). ثمّ إنّ عناصر الباب لا تجمعها صفتها الذاتية فقط كما هو الشأن في الجنس، بل تجمعها كذلك بنية مشتركة تكشف بعملية منطقية رياضية تسمى قديما بالقياس؛ أي حمل الشيء على الشيء[1]، ثمّ إنّ رسم الباب وتمثيله يسمى (مثالا)، ويمكن أن تصور هذه العمليات الحملية هكذا: أ= مَكْتَبْ. ب= مَلْعَبْ.

فالقياس والحدّ* هنا ناتج عن انتماء كل من مكتب وملعب إلى جنس واحد هو (اسم المكان) من الثلاثي، وفي الوقت نفسه من تواجد عناصر على ترتيب معيّن في كل من الوحدتين، ولولا الترتيب المعين لما كان هنا كقياس أو حدّ[2] وبهذا نكون قد حملنا مجموعة على مجموعة لنستخرج في الأخير البنية أو المثال الجامع (مفعل)

1 6 – مفهوما الأصل والفرع:

الأصل هو الشيء الذي ليس فيه زيادة، وإذ زدنا فيه شيئا أصبح فرعا، والفرع هو الأصل مع زيادة إيجابية أو سلبية، وبحذفنا لهذه الزيادة تكون قد أرجعنا الشيء إلى أصله

---

[1] كريمة أوشيش حماش، منهج النظرية الخليلية الحديثة في تحليل اللسان، مجلة الآداب واللغات، جامعة الجزائر (2)، العدد (12)، سبتمبر 2015، ص 14.

* الحدّ: يدل على الوصف المميز لطريقة معينة لبناء العبارة (ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 124) فهو نمط تتحدد به عمليات معيّنة؛ فالتكسير والنسبة وجمع السلامة والتأنيث وغير ذلك فيما يخصّ صياغة المفردات من جهة، ومن جهة أخرى كل العمليات التي تؤدي إلى صياغة الجمل فهي حدود. فالحدّ من الوسائل العربية لنحاتنا القدامى يجهله المتأخرون واحتفى به فقط أوائل النحاة (المدرسة الخليلية) وكذلك الباحث الفرنسي: جان كانيوبان ومدرسته (ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 124)

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العربي والبنوية: اختلافهما النظري والمنهجي، ص 24.

وبالنسبة للنظرية الخليلية كل العناصر اللغوية المكوّنة للّغة هي أصول وفروع، والأصل عند العرب هو العنصر الثابت الذي لا يتغيّر، وهو ما يبنى عليه ولا يبنى على غيره، أمّا الفروع فهي بالمقابل متغيّرات متعددة وجودها يتعلق بالأصل من جهة، وبصفاتها الذاتية من جهة أخرى[1]

1 7 - مفهوم القياس:

القياس بنية رياضية يسميها الرياضيون المحدثون بالزمرة[2] والقياس الصحيح –كما حدّده الرمّاني في كتابه الحدود– هو الجمع بين الشيئين بما يوجب اجتماعهما في الحكم، كالجمع بين الاسم والفعل بالرفع بعامل الرفع. أو هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع [3]

ويكون القياس بين الوحدات اللغوية التي تنتمي إلى نفس المجموعة، ولها نفس البنية والوظيفة، فهو عملية استنباطية لاستخراج المثال، مثلما رأينا في مفهوم الباب، فنقيس مثلا: (خَ، رَ،جَ) على (كَ، تَ، بَ)، فالقياس إذن له علاقة بمفهوم الباب ومفهوم النظائر.[4] لذا فإنّ كلّ الأفراد (الوحدات اللغوية) التي تجمعها هيئتها تكوّن بابا وهي نظائر بعضها إزاء بعض، لأنّه يوجد فيما بينها تناظر لا مجرد تشابه، إذ قد تختلف بعضها عن بعض اختلافا شديدا، وكلما اختلفت أكثر كان الجامع بينها– إن وُجد– أعمق والبحث عنه أقرب إلى المنهج العلمي كما يتصوره علماء الفيزياء والأحياء في عصرنا هذا، ويلجأون في ذلك إلى حمل هذه الأفراد بعضها على بعض وذلك بجعل كلّ جزء منها إزاء الجزء الذي يقابله في المرتبة، ويعتمدون ههنا مثل البنوية على مقياس التكافؤ؛ وهو صلاحية قيام الشيء مقام الشيء (الاستبدال) في الاصطلاح اللساني الحديث، إلّا أنّ البنوية تريد بذلك أن تعرف عن الجزء من الكلام هل هو وحدة قائمة بنفسها (أو مورفيم كل في مستواه) وبالتالي ماهو جنسه، أما النحاة العرب فيريدون أن يكشفوا لا عن هوية الجزء وجنسه فقط بل مكانته ودوره من

---

[1] كريمة أوشيش حماش، منهج النظرية الخليلية الحديثة في تحليل اللسان، ص 16.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 184

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص 301.

[4] كريمة أوشيش حماش، منهج النظرية الخليلية الحديثة في تحليل اللسان، ص 17.

المجموعة من أجزاء العبارة التي ينحصر فيها[1] ومن ثمّ فإنّ التحليل البنوي هو من قبيل القسمة الأفلاطونية* وأهمّ صفة تتّصف بها هذه القسمة هو اندراج شيء[2] في شيء أو اشتمال شيء على شيء، مثل: (كلّ إنسان مائت وسقراط إنسان فسقراط مائت) فالانسان مندرج في كلّ مائت ويندرج فيه سقراط، أو نقول: (إنسان) كحدّ أوسط يشتمل على (سقراط) وهو يشتمل عليه جنس المائت[3] بينما التحليل العربي هو من قبيل القسمة التركيبية وهو إجراء شيء على شيء طردا وعكسا، والقياس النحوي العربي جوهره هذا الإجراء ولا طرد ولا انعكاس في القسمة الأفلاطونية[4]

كما ينبغي التنبيه بأنّ القياس لا يصلح فقط لتوليد المفردات الجديدة مثل المصطلحات، بل هو كذلك "عملية يجريها المتكلم والسامع معا في كل كلام في جميع أحوال الخطاب" [5]

11. محصول الحديث:

إنّ النحاة العرب الأولين انطلقوا في تحليلهم للّغة من أقلّ ما يمكن أن ننطق به من الكلام وبه فائدة، واعتمدوا في ذلك على مجموعة من المبادئ منها مبدأ الانفصال والابتداء وهو الوقف على قطعة من الكلام، مبدأ الأصل والفرع فميّزوا الأصول عن فروعها بعملية التحويل؛ الذي يكون إمّا بالزيادة أو الحذف، وبيّنوا أيضا أنّ عملية التحويل لا تتم إلّا على مثال سابق مقيس على كلام العرب، وهو ما يسمّى بالقياس أو الحدّ، وبهذه العملية وصلوا إلى اكتشاف مجموعة من المفاهيم التي بني عليها النحو العربي كلّه، كمفهوم الانفراد والانطلاق في التحليل من هذا المفهوم، ومفهوم الموضع، والعلامة العدمية، ومفهوم اللفظة، ومفهوم العامل، ومفهوم البناء والوصل،

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العربي والبنوية: اختلافهما النظري والمنهجي، ص 23.

* القسمة الأفلاطونية أو القياس الأفلاطوني برهاني محض غير استكشافي فهو أحسن وسيلة لتحصيل الحاصل. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 25.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العربي والبنوية: اختلافهما النظري والمنهجي، ص 28.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 300.

[4] عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العربي والبنوية: اختلافهما النظري والمنهجي، ص 28.

[5] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 157.

هذه المفاهيم التي حاولت بعض الدراسات تطبيقها في ميدان التعليميات، وميدان علم أمراض الكلام، وميدان العلاج الآلي للّغة[1]

[1] ينظر: كريمة أوشيش حماش، منهج النظرية الخليلية الحديثة في تحليل اللسان، ص 38.

12. **القرآن الكريم**

أولا: المصادر

1 ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، د ط، د ت.

2 - سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.

ثانيا: المراجع

1 أحمد المتوكل:

* اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط2، 2010.

* المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006.

* دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1986.

2 أحمد حساني:

* دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009.

* مباحث في اللسانيات، سلسلة الكتاب الجامعي، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، الإمارات العربية المتّحدة، ط2، 1913.

* السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية-مقاربة لسانية-، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993.

3 أحمد عزوز، المدارس اللسانية أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، دار الرضوان، وهران، ط2، د ت.

4 أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998.

5 أحمد ملاح، المختصر في تاريخ الإبستمولوجيا، منشورات مختبر الفلسفة وتاريخها، دار القدس، وهران، الجزائر، د ط، 2010.
6 أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط/ 2002.
7 أندري مارتيني، مبادئ اللسانيات العامة، تر: سعدي زبير، دار الآفاق، الجزائر، د ط، د ت.
8 جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن.
9 جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العام " كيف ننجز الأشياء بالكلمات"، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1996.
10 – جون لاينز، علم الدلالة الفصلان التاسع والعاشر من كتاب مقدمة في علم اللغة النظري، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة وحليم حسين فالح وكاظم حسن باقر، كلية الآداب، جامعة البصرة، د ط، 1980.
11 – الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996.
12 – حسام بهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث في مجالي مفهوم اللغة والدراسات النحوية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994.
13 – خليفة بوجادي:
* اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2012.
* في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2009.
14 – السعيد شنوفة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 2008.

15 – سميّة المكي، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
16 – شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية مواجهات ومقترحات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010.
17 – صالح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
18 – صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
19 – عبد الجليل مرتاض، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، دار هومة، الجزائر، د ط، 2014.
20 – عبد الرّحمن الحاج صالح:
* بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 2012.
* منطق العرب في علوم اللسان، سلسلة علوم اللسان عند العرب 2، موفم للنشر، الجزائر، د ط/ 2012.
21 - عبد السلام المسدي، صياغة المصطلح وأسسها النظرية، في تأسيس القضية الاصطلاحية، بيت الحكمة، قرطاج، د ط، 1989.
22 – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب– مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004.
23 – عرفات فيصل المنّاع، السِّياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2013.
24 – عز الدين مجدوب، المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة، تونس، ط1، 1998.
25 – علي منصوري، مباحث أساسية في علم الدلالة، منشورات ألفا للوثائق، الجزائر، ط1، 2020.

26 – كاثرين فوك وبيار لي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تعريب المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

27 – لودفيج فتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، تر: عزمي إسلام، مراجعة وتقديم: زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968.

28 – محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، د ط، 2001.

29 – محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة–مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000.

30 – محمد شكري عياد، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، دار المريخ للنشر، الرياض، د ط، 1984.

31 – محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 7، 2011.

32 – محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية "البنيوية والتوليدية"، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2012.

33 – محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجديدة، مصر، 2002.

34 – مصطفى عواطف كنوش ، الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب للطباعة والنشر، لندن، ط1، 2007.

35 – مصطفى غلفان ومحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنويي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.

36 – مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2013.

37 – ميشال زكريا:

* الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983.
* مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2، 1985.
38 - نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، دط / دت.
39 - نواري سعودي أبو زيد، اللغة وبناء الإنسان دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل التعليميات، دار قرطبة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2016.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1 ابن شماني محمد، النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2014-2015.
2 ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1423.
3 الزايدي بودرامة، النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي، دراسة في نحو الجملة، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، دفعة 2013-2014.
4 يحيى بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، دفعة 2005-2006.

رابعا: الدوريات

1 رشيد الحاج صالح، مدرسة أكسفورد وفلسفة اللغة، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، نيسان أبريل، 2001، العدد 451.
2 شنان قويدر، مفهوم النظرية في اللسانيات، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، المجلد (2)/ العدد (4).
3 عبد الرحمن الحاج صالح:

* النحو العربي والبنوية: اختلافهما النظري والمنهجي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد الأوّل، أفريل 2002.

* مدخل إلى علم اللسان الحديث، الباب الثاني في المذاهب والنظريات اللسانية الحديثة، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، العدد (7).

4 عبد العزيز لعناني، تحولات الدرس اللساني (من البنية إلى الوظيفة)، مجلة الممارسات اللغوية، تيزي وزو، الجزائر.

5 فطومة لحمادي، السياق والنص –استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي– مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، جانفي– جوان، 2008، العددان الثاني والثالث.

6 فرواز نجمة، النقد الشكلاني، مجلة الناص، جامعة جيجل، العدد 21 جوان 2017.

7 كريمة أوشيش حماش، منهج النظرية الخليلية الحديثة في تحليل اللسان، مجلة الآداب واللغات، جامعة الجزائر (2)، العدد (12)، سبتمبر 2015.

8 محمد الفتحي، "انتظام مستويات اللغة في اللسانيات البنيوية"، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد 11، المجلد الثالث، شتاء 2015.

9 محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، العدد العاشر، 2005.

10 – نادر سراج:

* مبدأ الاقتصاد بين النظرية اللسانية والحقيقة اللغوية"، جريدة المستقبل، بيروت، لبنان، الأحد 5 سبتمبر 2005.

* لقاء مع مفكر، مجلة الفكر العربي، بيروت، لبنان، جويلية 1984.

خامسا:الكتب الأجنبية

1. C. Lévi-Strauss et R. Jakobson: («Les Chats" de Charles Baudelaire), **L'Homme**, *revue française d'anthropologie*, t. II, n° 1, 1962.
2. André martinet, économie des changements phonétiques, berne, Franke édition, 1955
3. André martinet, élément de linguistique générale, nouvelle édition remaniée et mise à jour, éd.- Armand colin, Paris

سادسا: المواقع والشبكات

1 رشيد الأركو، الدلالة اللغوية اعتباطيتها وقيمتها عند دي سوسير، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، تاريخ الإضافة: 2017/12/13.

2 رقية العوض، خطوات المنهج التجريبي: الملاحظة والفرضية والتجربة، موقع فيلو زاد.

3 عز الدين مجدوب، النحو العربي واللسانيات: من الخصوصية إلى الكونية، أمسية لغوية من أمسيات مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، بمكة المكرمة، أقيمت يوم السبت الموافق لـ: 1439/06/01 هـ.

4 عمر أوكان، اللسانيات والتواصل، مدونة اللسانيات اللغة التواصل والتفاعل والمجتمع.

5 منجي العمري، نظريات لسانية – نموذج النحو التوليديّ- جامعة القيروان، مدونة إلكترونية.

فهرس الموضوعات

مقدّمة ..... أ- ب
المحاضرة رقم (01): مدخل: المدرسة/ الحلقة/ النظرية 3
المحاضرة رقم (02): لسانيات دو سوسير.....8
المحاضرة رقم (03): حلقة موسكو.....25
المحاضرة رقم (04): مدرسة براغ (01).....31
المحاضرة رقم (05): مدرسة براغ (02).....40
المحاضرة رقم (06): مدرسة كوبنهاغن (الغلوسيماتيّة).....52
المحاضرة رقم (07): المدرسة الوظيفية الفرنسية.....58
المحاضرة رقم (08): المدرسة السياقية.....74
المحاضرة رقم (09): المدرسة التوزيعية.....87
المحاضرة رقم (10): النظرية التوليدية التحويلية (01).....99
المحاضرة رقم (11): المدرسة التوليدية التحويلية (02).....141
المحاضرة رقم (12): المدرسة الوظيفية الأمريكية.....146
المحاضرة رقم (13): مدرسة أكسفورد.....**151**
المحاضرة رقم (14): **المدرسة الخليلية**.....167
قائمة المصادر والمراجع.....177
فهرس الموضوعات.....184.